


٥٣٩٠

٢٤٨
ش ٠ م

شرح نصيحه الحبيب ،لمحمدبن عبد السلام ؟ كتب
في القرن الرابع عشر الهجري تقديرا .

٢٣(١٥٧ق)	٢٩س	٢٥x٣٦سم

٥٣٩٥	نسخه جيده ،خطها مغربي مقروء

أ - الشعائرو التقاليدو الاخلاق الاسلاميه
أ - المولف	ب - تاريخ النسخ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

تصحيح الكتب
في الكتاب الكتاب من تصنيف [illegible] الشيخ محمد بن عمر [illegible]
للعبد ربه [illegible]
[illegible] كله [illegible]

قال الناظم رحمه الله تعالى وعفا عنه بفضله

راع لسانك واحفظه وانطقا • إن البلاء موكل بالمنطق •

لما فرغ من الكلام على الحث على طلب العلم وتعلمه وتعليمه وما هو أولى وما أكد بالتقديم في الطلب أنتقل يتكلم على شيء آخر فقال راع لسانك الخ فقوله راع هو أمر من راعيته لاحظته وراعيت الأمر نظرت إلى ما يصير كما في القاموس ولسانك بالنصب مفعول به والجملة مستأنفة أو معطوفة على جملة قوله اطلب أخي العلم وحفظ أمر معطوف على راع يقال حفظت الشيء بل الأمر احفظه إذا أتيقنته ويقال حفظته بالتثقيل مبالغة كما في المصباح وانطق أمر من نطق ينطق بالكسر نطقا بالضم ومنطقا كما في المختار والبلاء بالمد وفتح ضرورة العذاب ويطلق على الاختبار والمعنى لاحظ أيها الأخ في الله لسانك عن النطق وتيقن ما تقول وانطق بعد ذلك به فإن البلاء موكل بالمنطق أي أن العذاب الديني والدنيوي إنما ينشأ عن اللسان قال الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس الآية وقال صلى الله عليه وسلم إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ علم ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم إن لسان المؤمن وراء قلبه فإذا أراد أن يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم أمضاه بلسانه وإن لسان المنافق أمام قلبه فإذا هم بشيء أمضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضا في الباطل وقال أبو هريرة إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وإن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يلقي لها بالا يرفعه الله بها في أعلى الجنة وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيامة

أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن إبراهيم التيمي إذا أراد المؤمن أن يتكلم نظر فإن كان له تكلم وإلا سكت والفاجر إنما لسانه رسلا رسلا وقال عيسى ويحيى بن دينار تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فأكثر فقال له صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني قال أفما كان لك في ذلك ما يرد كلامك وعن وهب بن منبه قال في حكمة داود حق على العاقل أن يكون عارفا بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شأنه قال الإمام الغزالي في الإحياء اعلم أن أحسن أحوالك أن تحفظ ألفاظك من جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والنميمة والكذب والمراء والجدال وغيرها وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيه ولا على مسلم أصلا إلا أنك تتكلم بما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليه فإنك مضيع به زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير لأنك لو صرفت زمان الكلام إلى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه ولو هللت الله سبحانه وذكرته وسبحته لكان خيرا لك فكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ مكانه مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فإنه وإن لم يأثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم بذكر الله تعالى فإن المؤمن لا يكون صمته إلا فكرا ونظره إلا عبرة ونطقه إلا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم بل رأس مال العبد أوقاته ومهما صرفها إلى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الآخرة فقد ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه اهـ وقولنا إن البلاء موكل بالمنطق صحيح فقد قال الثعالبي رب إياك أن تضرب عنقك بلسانك وقالوا ربما يستفتح بالنطق مقاله الحمام وقال سيدنا علي رضي الله عنه زلة الرجل تخبي وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر ولبعضهم

يموت الفتى من عثرة بلسانه • وليس يموت المرء من عثرة الرجل •
• فعثرته بالقول تذهب رأسه • وعثرته بالرجل تبرا على مهل •

وقال آخر

• احفظ لسانك أيها الإنسان • لا يلدغنك إنه ثعبان •
• كم في المقابر من قتيل لسانه • كانت تهاب لقاءه الشجعان •

وقال الحارث منكما هذه جمعا وسكوت شعب هذا على وفي بعض الكتب أن لقمان عليه السلام قال خدمت أربعة آلاف نبي واخترت من كلامهم ثمان

كلمات ان كنت في الصلاة فاحفظ قلبك واذا كنت في الطعام فاحفظ بطنك
وان كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك وان كنت بين الناس فاحفظ لسانك
واذكر اثنين وانس اثنين اما اللذان تذكرهما فالله والموت واما اللذان
تنساهما فاحسانك في حق الغير واساءة الغير في حقك وقال الصاحب بن
عباد حفظ اللسان راحة الانسان فاحفظه حفظ الشكر للاحسان فآفة الانسان
في اللسان وقالوا اللسان اجرح جوارح الانسان وقال الشاعر

• ويا رب السنة كالسيوف • تقطع اعناق اصحابها •

آخر • وقد يرجى لجرح السيف برء • وجرح الدهر ما جرح اللسان •

وقالوا رب لسان اتى على انسان يحكى ان رجلا من العرب وقف على شيخ وبنيه
لما قتل ابنه وبنيه فقال له الحمد لله الذي قتل ابنك وبنيك على يديك وملكك ما كنت احق
به منه واراحنا من عتوه وكبره وتجبره وبخله وجهله فانه كان ياخذ بالاحنة ويقتل
بالظنة ويخيف البريء ويخذل المسيء فلما سمع شيخ وبنيه كلامه قال لحاجبه احمله
الي فلما مثل بين يديه قال كم كان رزقك قال الكثير قال والان قال ما زيد
شيء قال فما دعاك الى الوقوع فيه وانما ابتداء نعمتك من عنده ولم تزع له
ذلك وامر بنزع لسانه من قفاه

• الصمت ابقى على الارواح من كلم • قد تنتهي كالحي مقتولا ومكلوما •

ونظير هذا ما حكي ان سنمار الذي بنى القصر العجيب المسمى بالخورنق للنعمان
بن امرئ القيس ملك الحيرة قال له متى فاليه بالتحدق وحسن الحرفة لو شئت
انك توفيني اجرتي وتحسنون بي ما استحقه لبنيته بناء يدور مع الشمس حيث
دارت فقال له النعمان وانك لتبني ما هو افضل منه ولم تبنه فامر به فطرح
من اعلى الجوسق وفي بعض الروايات انه قال له اني لاعرف في هذا القصر
في ركنه موضع حجر لو زال لتداعى القصر اجمع فقال له اما والله
لا يدل عليه احد ابدا ثم رمى به من اعلى القصر وكان سنمار هذا روميا الاصل
مشهورا باتخاذ المصانع والحصون وبناء القصور للملوك وصار يضرب به
المثل في المكافاة على الاحسان بضده قال الشاعر

• جزتنا بنو ابي الغيلان عن كبر • وحسن فعل كما يجزى سنمار •

لطيفة روى ابن الجوزي في كتاب الاذكياء والحافظ ابو نعيم في الحلية عن
الشعبي انه قال مرض الاسد فعادته السباع ما خلا الثعلب فنم عليه الذيب فقال
له الاسد اذا حضر فاعلمني به فلما حضر عاتبه الاسد في ذلك فقال له كنت في

طلب

في طلب الدواء لك قال فلاي شيء اصبت قال خرزة في ساق الذيب ينبغي ان تخرج
فضرب الاسد بمخالبه في ساق الذيب وانسل الثعلب فمر به الذيب بعد ذلك
ودمه يسيل فقال له الثعلب يا صاحب الخف الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر
ماذا يخرج من فيك قال الحافظ ابو نعيم لم يقصد الشعبي من هذا سوى انه
ضرب به المثل وقصد به تعليم الناس وتاديب العقلاء وتاكيد الوصية بحفظ
اللسان وتهذيب الاخلاق والتاديب بكل طريق وفي مثل ذلك قيل

• احفظ لسانك لا تقول فتبتلى • ان البلاء موكل بالمنطق •

ويحكى ايضا ان ابا نمي بن مروان اكل مع بعض مقدمي الاعراب على سماط فيه
حجلتان مشويتان فاخذ الاعرابي واحدة وضحك فساله ابن نمي عن ذلك فقال
قطعت الطريق في عنفوان الشباب على تاجر فلما اردت قتله تضرع فلم اقبله
فلما راى انه لابد منه التفت الى حجلتين كانتا في راس الجبل فقال اشهدا الي بانه
قتلني ظلما فقتلته فلما رايت هاتين الحجلتين ذكرت حمقه في استشهاده بهما على
قال ابن نمي وانا فلما سمعت ذلك ضربت عنقه وقلت والله قد شهدتا عليك
والحكايات في هذا كثير وهذا مصداق قولهم ان البلاء موكل بالمنطق تنبيه
اختلف في اول من قال البلاء موكل بالمنطق فقيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم قاله المسعودي في مروج الذهب وعده من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم التي
لم يسبق اليها مثله واخرجه ابن ابي الدنيا في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمي
من طريق ابي الدرداء ومن حديث ابن مسعود من فعله واخرجه احمد في الزهد
موقوفا والقضاعي عن حذيفة بن اليمان وابن السمعاني عن علي كرم الله وجهه
وكذا البخاري في الادب عن ابن مسعود كما في الدرر المنتثرة والجامع الصغير
وشارحه وقيل اول من قاله عبيد بن شرية الجرهمي الذي عاش ثلاثمائة
سنة وادرك الاسلام قال بعض العلماء والصحيح ان اول من قاله ابو بكر الصديق
رضي الله عنه فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انه لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرض نفسه على قبائل العرب
خرج وانا وابو بكر معه حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم ابو بكر وكان
رجلا نسابة فسلم فردوا عليه السلام فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال واي ربيعة
انتم امن هامتها ام من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال فاي هامتها العظمى
انتم قالوا ذهل الاكبر قال امنكم عوف الذي كان يقال فيه لا حر بوادي عوف
قالوا لا قال امنكم جساس بن مرة حامي الذمار ومانع الجار قالوا لا قال امنكم بسطام

بسطام بن قيس ذو اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها
انفسها قالوا لا قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فانتم اخوال
الملوك من كندة قالوا لا قال فانتم اصهار الملوك من لخم قالوا لا قال فلستم من ذهل الاكبر
انما انتم من ذهل الاصغر قال فقام اليه غلام من بني شيبان حين بقل وجهه فقال

• ان على سائلنا ان نسأله • والعبء لا تعرفه او تحمله •

يا هذا انك قد سألتنا فلم نكتمك شيئا فممن الرجل فقال ابو بكر من قريش فقال بخ بخ
اهل الشرف والرياسة فمن اي قريش انت قال من ولد تيم بن مرة فقال امكنت والله الرامي من سواء
الثغرة افمنكم قصي بن كلاب الذي جمع الله به القبائل من فهر فكان يدعى مجمعا قال لا قال
فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال فمنكم شيبة الحمد مطعم
طير السماء الذي كأن وجهه قمر يضيء في الليلة الظلماء الداجية قال لا قال افمن
المفيضين بالناس انت قال لا قال افمن اهل الندوة انت قال لا قال افمن اهل
الرفادة انت قال لا قال افمن اهل الحجابة انت قال لا قال افمن اهل السقاية انت قال
لا واجتذب ابو بكر زمام ناقته فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

• صادف درء السيل درءا يدفعه • يهيضه حينا وحينا يصدعه •

اما والله لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش او ما انا بدغفل قال فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقلت يا ابا بكر لقد وقعت من الغلام على باقعة قال اجل ان لكل
طامة طامة وان البلاء موكل بالمنطق ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة السدوسي
النسابة المشهور اسلم وعاش الى خلافة معاوية رضي الله عنه فوفد عليه واعجب
معاوية بعلمه وقال له بم ادركت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وقتله
الخوارج [illegible] وهو احد العصفين تثنية عصف بكسر العين المهملة
وبالفاء المعجمة وهو الداهية من الرجال قال في القاموس والعصفان زيد بن الحارث
النمري ودغفل بن حنظلة الذهلي علما الحي بالحكمة وابا معاذه وقال القطامي

• احاديث من انباء عاد وجرهم • يثورها العصفان زيد ودغفل •

تتمة يروى عن ذي النون المصري رحمه الله قال بينما انا اسير في نواحي الشام
اذ وقفت على روضة خضراء وفيها شاب يصلي فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد
علي السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز في صلاته وكتب باصبعه في الارض

• منع اللسان من الكلام لانه • كهف البلاء وجالب الآفات •
• فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا • لا تنسه واحمده في الحالات •

قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت له في الارض باصبعي



• وما من كاتب الا سيبلى • ويبقي الدهر ما كتبت يداه •
• فلا تكتب بكفك غير شيء • يسرك في القيامة ان تراه •

قال فصاح الشاب وخرجت روحه رحمه الله فهممت ان اغسله فاذا بهاتف يقول خل
عنه فان الله تعالى وعده ان لا يتولى امره الا الملائكة قال فجلست الى شجرة بجنبه فصليت
عشر ركعات ثم اتيت الموضع الذي مات فيه الشاب فلم اجد له اثرا فتعجبت
(سبحان) من كانت اولياؤه في امين قال الناظم رحمه الله

• والصمت ان لم يك في الكلام • منفعة اولى لذي الملام •
• فالصمت خير للفتى وزينة • يستر عيبه ويخفي شينه •

فقوله الصمت هو بفتح الميم اسم من صمت يصمت من باب كتب او بكسر من باب
ضرب صمتا بفتح الصاد وحكى صمعا وصماتا وصموتا ومعناه السكوت والنفع
خلاف الضر يقال انتفعت بالشيء ونفعني الله به والاسم المنفعة والملام العذل
يقال لام لوما وملاما وملامة فهو مليم وملوم والذي بيته بالكسر ما يتزين به
كالزين بان كتاب كما في القاموس والعي ضد البيان يقال عيي في المنطق
كرضي عيا بالكسر حصر كما فيه ايضا والشين ضد الزين والمعنى انه ينبغي
للعاقل اذا اراد ان يتكلم ان ينظر فيما يريد فان كان ما يريد ان يتكلم به
خيرا يثاب عليه واجبا او مندوبا مثلا فليتكلم به وان كان ما يريد ان يتكلم به
شيئا لا منفعة فيه او يجر الى الملام عليه اما في الدنيا او في الاخرة فليصمت فان
الصمت خير له كما يشير الى ذلك قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت رواه البخاري ومسلم
اي من كان يؤمن بالله الايمان الكامل المنجي من العذاب لان المتوقف على ذلك
كمال الايمان لا حقيقته وقوله صلى الله عليه وسلم خيرا اي كلاما يثاب عليه
وقوله او ليصمت اي يسكت عما لا خير فيه قال شراح الحديث وهو شامل
للصمت عن الشر وعن اللغو وعن المباح لان المباح ربما جر الى محرم او مكروه وعلى
انه لا يجر اليهما ففيه ضياع الوقت فيما لا يعني واعلم ان الانسان اما
ان يتكلم او يسكت فان تكلم بما فيه خير فهو ربح او بشر فهو خسران وان تكلم
بما عرى عن خير وشر واما عن خير فخسران فله في كلامه وسكوته رجحان ينبغي
تحصيلهما وخسران ينبغي التخلص منهما ولذلك قال الدقاق من
سكت عن الحق فهو شيطان اخرس الان في افات الكلام الكثير ومصالح
السكوت اجلى واوضح ولما كانت افات الكلام كثيرة وخطر اللسان عظيما

ولا تجد منه الا بالصمت مدح الشرع الصمت وحث عليه قال صلى الله عليه
وسلم من صمت نجا وقال صلى الله عليه وسلم امسك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال
عليه الصلاة والسلام من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي الشر كله
القبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقال صلى الله عليه وسلم
الصمت حكم وقليل فاعله اي حكمة وحزم وعن عبد الله بن سفيان عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال
قل آمنت بالله ثم استقم قال قلت فما اتقي فاوما بيده الى لسانه وعن
معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك
امك يا ابن جبل وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم
وعن انس بن مالك رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم
ايمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل
الجنة رجل لا يامن جاره بوائقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم
فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال اذا اصبح ابن آدم اصبحت الاعضاء كلها تذكر اللسان تقول
اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي
عن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واسكت
عن شر تسلم من قبل ان تندم فقيل له يا ابا عبد الرحمن اهذا شيء تقوله او
شيء سمعته فقال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر
خطايا ابن آدم في لسانه وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
ثلاثة غانم وسالم وشاحب فالغانم الذي يذكر الله تعالى والسالم الساكت والشاحب
الذي يخوض في الباطل وقال عليه الصلاة والسلام اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا
منه فانه يلقن الحكمة وكان ابو بكر رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها
نفسه عن الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا الذي اوردني الموارد وقال
ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال
بعض الحكماء دبر كلامك كما تدبر سهمك وارفق الا تكسر واعلم ان اللسان
متى يخطئ ويصيب واغتنم السكوت فان ادنى نفعه السلامة وان اشقى الناس
من ابتلي بلسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت

وقال

وقال في من اطلق لسانه بكل ما يعلم كان اكثر مقامه حيث لا يحب
وقيل لابن المقفع اي شيء انفع للانسان قال عقل يولد به قيل فان
فاته ذلك قال ادب يقومه قيل فان فاته ذلك قال مال يستره قيل فان فاته
ذلك قال صمت يلزمه قيل فان فاته ذلك قال قبر يحبسه وقال لقمان
لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب ونظمه من قال

اذا ما الفكر رتب لي كلاما . فدعها ولباب السكوت افهم .
فلو كان التكلم من فضة . لكان سكوتك من عسجد .

وفي معناه للعتكي . قالوا سكت فكم من فضلة لهم . ما قدر السد يأتيني بلا ذهب .
ولو يكون كلامي حين انشره . من اللجين لكان الصمت ذهبا .

وسال رجل الامام مالك في مرض موته فقال له اوصني قال ان شئت جمعت
لك علم العلماء وحكم الحكماء وطب الاطباء في ثلاث كلمات اما علم العلماء
فاذا سئلت عما لا تعلم فقل لا اعلم واما حكم الحكماء فاذا كنت جليس قوم
فكن الصمت فان اصابوا كنت من جملتهم وان اخطؤوا سلمت من خطئهم
واما طب الاطباء فاذا اكلت طعاما فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم
بجسدك غير من الموت وقال الحسن البصري من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر ماله كثر اثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وقال سهل بن
عبد الله التستري من اراد الصمت والعزلة وقلة الطعام صار من الابدال ابدا الا قال
الامام الغزالي رضي الله عنه في الاحياء فان قلت فهذا الفضل الكبير
للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة افات اللسان من الخطا والكذب والغيبة
والنميمة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخوض في الباطل
والخصومة والفضول والتحريف والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات
فهذه افات كثيرة وهي سباقة الى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث
من الطبع ومن الشيطان والخائض فيها قلما يقدر ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحب
ويمسكه ويكفه عما لا يجب فان ذلك من غوامض العلم كما يأتي تفصيله ففي الخوض
خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظمت فضيلته هذا مع ما فيه من جمع الهم
ودوام الوقار والفراغ للفكر والذكر والعبادة والسلامة من تبعات القول في الدنيا
ومن حسابه في الاخرة فقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قال
ويدلك على فضل لزوم الصمت امر وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض
وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة اما الذي

هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر
واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الـ
خسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلاثة ارباع الكلام وبقي ربع وهذا
الربع فيه خطر اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية
النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى دركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن
عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره من الآفات وعلم الا حتى انه علم
قطعا ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا
فلقد اوتي والله جوامع الكلم قطعا وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت احاد كلماته
من بحار المعاني الا خواص العلماء هـ ولله در الناظم ابي حيث قال في لاميته

• فيا خيرا على الناس ان سكنا • الصمت وفي الصمت منجاة من الزلل •

وقال آخر
• احفظ لسانك واستعذ من شره • ان اللسان هو العدو الكاشح •
• وزن الكلام اذا نطقت بمجلس • فيه يلوح لك الصواب اللائح •
• فالصمت ما سعد السعود بطالع • يحيى به والنطق سعد الذابح •

وآخر
• احفظ لسانك واع ما تقول به • فكم لسان رمى بلاء اسا اذ عقبى ا •
• ولا تعار التعنت قبل الكلام واما • نطقت ليلا فلا تجهر اذا تجهر ا •
• نطق اللسان سهام لا ترد وما • يبرئ علما رد سهم ولا رب الوتر ا •
• الصمت حكم وقليل فاعله • ولا نطق بغير ما امتنا تنجح الا ا •

وآخر
• عليك بالصمت فخير الناس • كلامه اهدى الى كلمه •
• ان اللسان الذي اهدى السعا • غي نه والسعد من خصمه •
• يتمى ما حقيقي الحجي مستقبلا • وجي مدالكبي مصاح منه •

فائدة استثنى العلماء رحمهم الله العلم وجميع القربات والكلام
مع الضيف والاهل وسائر المسلمين واما ما تدعو الحاجة اليه من الصحة وزيارات
والمصالح فهو خارج عن هذا والله اعلم ثم ذكر الناظم بعض فضائل الصمت
وفوائده بقوله والصمت خير للفتى الخ يعني انما امرتك بالصمت عن الكلام الذي
لا خير فيه ولا منفعة لان الصمت خير للفتى وزينة له يبتني بها بهاؤه ولانه يستر على الانسان
ويخفي عيبه وشينه عن الناس اما كونه خيرا فلما فيه من السلامة من ضرر
النطق كما تقدم وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل يا معاذ انت سالم
ما سكت فان تكلمت فلك او عليك وقال عليه الصلاة والسلام من صمت
نجا واما كونه زينة فقد قال صلى الله عليه وسلم عليك بحسن الخلق وطول

الصمت

الصمت فوالذي نفسي بيده ما تجمل الخلائق بمثلهما وبذلك تصحب العالم
وقد قال امامنا مالك رحمه الله اكثر الكلام يمج العالم ويذله وينقصه ويذهب
بهاءه وقد ورد في الخبر العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والجزء العاشر
في ترك مجالسة السفهاء واما كونه يستر على الانسان ويخفي شينه
فهو معلوم لان السكوت للجهال احسن عليهم قال الشاعر

• رأيت الازراء بالعيي بنفسه • وصمت الذي قد كان بالقول اعلما •
• وفي الصمت ستر للعيي وانما • صحيفة لب المرء ان يتكلما •

يحكى ان رجلا كان في مجلس ابي يوسف وكان يطيل الصمت فقال له ابو يوسف
يوما مالك لا تتكلم وتسأل عما بدا لك فقال له بلى ايها الفقيه اني سائلك عن
شيء فقال له سل عما بدا لك فقال متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس
قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل فتبسم ابو يوسف وتمثل بقوله في الصمت
البيت السابق ونظير ذلك ما روي ان رجلا كان يجالس الاحنف بن
قيس وكان يطيل الصمت حتى اعجب به الاحنف ثم انه تكلم يوما فقال للاحنف
يا ابا بحر اتقدر ان تمشي على شرف المسجد فتمثل الاحنف بقوله

• وكائن ترى من صامت لك معجب • زيادته او نقصه في التكلم •

ومن كلام كسرى في معنى الصمت يغني من عن الكلام فاعلم ان السكوت
اسلم والعي خير من ارسال اللسان في فضول الكلام وفيما لا يعني ولله در القائل

• اذا انت لم تنطق بحق ولم تقل • صوابا فعض على لسانك فاسكت •
والصمت فقه • وان لسان المرء ما لم تكن له • حصاة على عوراته لدليل •
وآخر • لسان الفتى ينبي عن جهله • وعي الفتى يستره السكوت •

قال بعض العلماء في الصمت سبعة آلاف خير وقد جمعتها في سبع
كلمات اولها انه عبادة من غير تعب ثانيها انه زينة من غير حلي
ثالثها انه هيبة من غير سلطان رابعها انه حصن من غير حائط
خامسها ان فيه غنى عن الاعتذار من فضول الكلام سادسها انه راحة
للكرام الكاتبين سابعها ان فيه سترا للعيوب الحاصلة من فضول
الكلام التي يعرف بها الجاهل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه
الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره ويروى ان رجلا قال لبعض العارفين
اوصني قال له اجعل لدينك غلافا كغلاف المصحف اي جلدة لئلا تدنسه

قال وما غلاق الحديث فلك نهى الكلام الا فيما لا بد منه ونهى طلب الدنيا الا ما لا بد منه ونهى مخالطة الناس الا فيما لا بد منه **ومن الحلية** لا ينبغي للانسان ان يخرج من كلامه الا ما يحتاج اليه كما انه لا ينفق من مكسبه الا ما يحتاج اليه **وقال** بعضهم لو كنتم تشترون الورق للحفظة لامسكتم عن كثير من الكلام **وقيل** لبعضهم لم لزمت السكوت فقال لاني لم اندم على السكوت قط وقد ندمت على الكلام مرارا ومن لسيدنا علي رضي الله عنه

• ولا تكثر القول في غير وقته • وادمن على الصمت المزين للعقل •
واخي • الصمت اجمل بالفتى • من منطق في غير حينه •

وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وقلّ فيما شئت **وقال** سبحان الصمت امان من تحريف اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه وقال ابن دراس

• خل جنبيك لرام • وامض عنه بسلام • مت بداء الصمت خير • لك من داء الكلام •
• انما العاقل من الجم فاه بلجام • شبت يا هذا وما تترك اخلاق الغلام •
• والمنايا اكلات • شاربات للانام •

ومن وصايا بعض الاكابر اياك وكثرة الكلام فانه يكفيك من عيوبك ما بطن ويخرج من عدوك ما سكن **تنبيه** اختلف العلماء هل يكتب على العبد كل ما يتكلم به حتى المباح وهو ظاهر قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد او لا يكتب الا ما فيه ثواب او عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره وعليه فتكون الاية مخصوصة اي ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء وعلى انه يكتب المباح فالذي يكتبه كاتب السيئات والله سبحانه اعلم ذكر ذلك العلامة الشبرخيتي في شرح الاربعين جعلنا الله ممن ملك لسانه وذكر الله تعالى في كل حال وشكر احسانه في امين ثم قال الناظم

• • **واكفف عن احسان حالك التي** • **انت بها من شدة وعيلة** • •

يقول اكفف هو بضم الفاء امر من اكف يكف من باب نصر كفا وكتمانا كما في المختار وحالك بالنصب مفعول به والحال صفة الشيء يذكر ويؤنث فيقال حال حسن وحال حسنة وقد يؤنث بالهاء فيقال حالة قاله في المصباح والشدة كثرة الحال يقال اشتد اي استغنى والاسم منه الشدة بالفتح والمد والعيلة بالفتح الفقر قاله في المصباح وهي مصدر عال يعيل من باب سار فهو عائل والجمع عالة وهو في تقديره فعلة مثل كافر وكفرة **والمعنى** انه ينبغي لك ايها الاخ في الدنيا

تخفى

تخفى عن حسادك الحالة التي انت عليها من غنى وفقر اما الفقر فلما ينشا عن اظهاره والشكوى منه من الاهانة والاستخفاف واظهار الشماتة وغير ذلك واما عدم اظهار الغنى فلما ينشا عنه كذلك من كثرة الحسد وتسليط الظلمة واللصوص عليه ولما في اظهاره ايضا من التفاخر والخيلاء والتعاظم الذي هو شان ارباب الاموال فالواجب على الفقير ان يكون على احسن احواله مكتفيا بالغنى بالله عن الناس فان الغنى الحقيقي هو غنى النفس كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وان يتعفف عن سؤال الناس ما امكن فقد مدح الله الفقراء المتعففين بقوله في قوله يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الاية وروي ان ابا ذر رضي الله عنه كان اذا سقط سوطه من يده لم يرض ان يقول لاحد ناولنيه **تنبيهان**

الاول قال العلماء الفقر على قسمين خاص وعام فالعام هو احتياج الخلق كلهم الى الله تعالى قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد اي انتم المحتاجون الى الله والله غني عنكم واما الفقر الخاص فهو الذي الامر بكتمانه **الثاني** اختلف هل الفقر افضل من الغنى او الغنى افضل فذهب جمهور الصوفية الى ان الفقر افضل من الغنى اذا كان معه رضا بالمقسوم ولذلك اختاره صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه مفاتيح خزائن الارض فقال بل اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت تضرعت الى الله تعالى واذا شبعت حمدته وشكرته **وقال** تعالى للفقراء المهاجرين الخ وقال تعالى للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الخ **قال** الشيخ ابو طالب المكي رضي الله عنه فقدم الله وصف اوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر والله تعالى لا يصف من يحبه الا بما يحب فلولا ان الفقر احب الاوصاف اليه ما مدح به احباءه واثنى عليهم به وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر واخبر بفضله في غير حديث **وحديث** ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للصحابة اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله عز وجل في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا من خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده **وحديث** بلال انه صلى الله عليه وسلم قال له الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا **وحديث** لا افضل من الفقير اذا كان راضيا **وفي الحديث** الآخر ان الله تبارك وتعالى يحب الفقير المتعفف ابا العيال **وفي** الخبر المشهور ان يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم

روي ان لقمان قال لابنه يا بني اكلت الحنظل وذقت الصبر فلم ار شيئا امر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسال الله تعالى من فضله فمن ذا الذي سال الله فلم يعطه

خمسمائة عام والحديث الاخر اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين فهذا منه صلى الله عليه وسلم تفضيل للفقر اي واي امر لهم وتنبيه ومن
على فضل الفقر وروينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال خير هذه الامة
فقراؤها واسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها قال وروينا في خبر اسماعيل
النبي عليه السلام المعروف بخبر موسى عليه السلام ان اسماعيل قال يا رب اين
اطلبك فقال الله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم فقال تعالى
الفقراء الصادقون ومن حديث زيد بن اسلم عن انس بن مالك رضي الله عنهما
قال بعث الفقراء رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول
الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم الله فقال
يا رسول الله ان الاغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ونحن لا نقدر عليه ويتصدقون
ونحن لا نقدر عليها ويعتقون ولا نقدر عليه فاذا مرضوا بعثوا بفضل اموالهم
ذخرا فقال صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء ان لمن صبر منكم واحتسب ثلاث
خصال ليس للاغنياء منها شيء اما الخصلة الاولى فان في الجنة غرفا من
ياقوتة حمراء ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى النجوم لا يدخلها الا نبي
فقير او شهيد او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف
يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها كيف شاءوا ويدخل سليمان
بن داود عليه السلام بعد دخول الانبياء عليهم الصلاة والسلام الجنة باربعين
سنة وذلك بسبب ما اعطاه الله تعالى في الدنيا والثالثة اذا قال الفقير
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مخلصا ويقول الغني مثل ذلك مخلصا
لم يلحق الغني الفقير وان انفق الغني معها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر
كلها فرجع الرسول اليهم واخبرهم بذلك فقالوا رضينا وذهب اخرون الى
ان الغني افضل واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من
اليد السفلى وقالوا اليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي يد السائل لكن
قال في حياة القلوب حديث اليد العليا خير لا حجة فيه عليهم لان اليد العليا
تنال الفضيلة بالاجر ما فيها واليد السفلى تنال الفضيلة بحصول الشيء فيها
وفي تفضيل السخاء والعطاء دليل على فضل الفقر على الغنى لانه لو كان ملك شيء
محمود لكان بذله مذموما فمن فضل الغنى على الفقر فضل الامساك على العطاء
ولا شك ان العطاء يكون بالاجر الملك الملقى عن الله عز وجل هذا وكان بعض
العلماء يفضل الفقر على الغنى بامور منها ان الفقير متواضع والغني متكبر

والفقير

والفقير اذا عصى الله كان وحده والغني يعصي الله مع اعوانه واخوانه فيعود وباله
عليه ومنها ان الفقير في ممشاه الى الله ومشي الغني الى الكيس والكسب والفقر
سنة عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والغنى سنة فرعون وقارون والفقير امن
في السجن والحبس وفي النوم واليقظة والغني بخلاف ذلك حيث سلك والفقير غير
مطالب بالخراج وغيره مطالب في الاخرة بالحساب والغني مطالب بهما جميعا
وكفى بالاغنياء ان رئيسهم قارون وكفى بالفقراء شرفا ان رئيسهم عيسى بن
مريم عليه السلام واختلف العلماء ايضا هل الفقير الصابر افضل
او الغني الشاكر فذهب الجمهور الى الثاني واختاره العسقلاني والسيوطي قال
العلامة الشبرخيتي وهو الاصح لان الغني يرجى منه وجوه منها الشكر ومنها الصبر
على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير
يرجى منه وجه الصبر على الفقر مع ان قلة الشكر والثاني ثمرته فيما لا بد منه من
نفقة نفسه ومن يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو اول احوال النبي صلى الله عليه وسلم
والغنى مع الشكر هو اخرها وعادة الله الجارية مع انبيائه ورسله انه لا يختم لهم
الا بافضل الاحوال فختمه لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل على انه افضل من
الفقر مع الصبر ولحديث سعد في الوصية انك ان تذر ورثتك اغنياء خير
من ان تذرهم عالة ولحديث كعب بن مالك حين استشار في الخروج عن ماله
كله فقال له صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك
وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر افضل واليه ذهب جمهور الصوفية
لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها
وذلك مع الفقر اكثر منه مع الغنى وقال الداودي ان الذي اعطى الكفاف
افضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر والغنى وان الفقر والغنى محنتان
من الله يختبر بهما من يشاء من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل
رزق ال محمد كفافا وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف
فيمن يصلح حاله بالغنى والفقر بان كان اذا استغنى قام بجميع وظائف الغنى
من البذل والاحسان والمواساة واداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا
افتقر قام بجميع وظائف الفقر كالرضا والصبر والقناعة واما من يصلح حاله
بالغنى فقط بان يؤدي حق الله تعالى في حالة الغنى ولا يؤديه في حالة الفقر
فالغنى افضل له اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر فقط بان يؤدي حق الله في حالة

فيه ولا يبديه في حالة الغنى والفقر افضل اتفاقا قال الشيخ جسوس فان قلت ما حقيقة
الغنى وما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغنى ما زاد
على المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح
والمندوب والفقير الصابر هو الذي لا يشتكي فقره اهـ ومحاصل ما تقدم ان العاقل
ينبغي له ان يكتم حاله ما امكنه ففي حالة الغنى يكون حامدا شاكرا مستترا عن اعين
مظهر للفقر والخيلاء وفي حالة الفقر يكون شاكرا صابرا غنيا متعففا ولا يشكو الى احد
الا الى الله تعالى كما قال زين العابدين رضي الله عنه

واذا ابتليت بعسرة فاصبر لها • صبر الكريم فان ذالك احزم
لا تشكون الى الخلائق انما • تشكو الرحيم الى الذي لا يرحم

وقال الحكيم

لا تكشفن لعاذل او عاذر • حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة • في القلب مثل شماتة الاعداء

وقال ابو بكر الاندلسي

لا تشكون اذا عثرت • الى خليط سوء حالك
فيجيبك الوانا من الاذ • لا لا لم تكن بذالك

ولابن الوردي اكتم الامرين فقرا وغنى • واكسب الفلس وحاسب من بطل

قال الناظم رحمه الله

اياك ان تبوح بالاسرار • لا سيما بمجلس الاشرار
واحذر اخي من العدو مرة • واحذر من الصديق الف مرة

يقول الناظم اياك مفعول بفعل محذوف تقديره جنب او احذر ونحوهما وتبوح
مضارع باح بسره يبوح من باب قال اذا اظهره والاسرار جمع سر وهو الذي يكتم
والسريرة مثل ذالك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه
يوم تختبر سرائر القلب وهو ما اسر من العقيدة والنية والاشرار جمع شر قال
في المختار وفلان شر الناس ولا يقال اشر الناس الا في لغة رديئة وقوم اشرار واشراء
كاشداء وقال يونس واحد الاشرار رجل شر كزند وازناد وقال الاخفش واحدها
شر مثل يتيم وايتام والعدو خلاف الصديق والصديق من الصداقة في المودة
والمخالة فالى جل صديق والانثى صديقة والجمع اصدقاء وقد يقال للواحد
والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا • باعين اعداء وهن صديق

وبعض

ولفظة عدو وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث
تقول هم عدو قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال تعالى
فانهم عدو لي وهم صديق وحبيب اهـ من شرح لامية العجم والمعنى احذر
ايها الاخ في الله ان تكشف سرك لاحد ولا سيما ان كنت في مجلس قوم اشرار
فان كتمان الاسرار يدل على فضل الرجال فكما انه لا خير في انية لا تمسك
ما فيها فكذالك لا خير في انسان لا يكتم سره فكتمان السر من الخصال المحمودة
في جميع الخلق قال الله تعالى حكاية عن يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك
على اخوتك الخ ولما افشى يوسف سره بمشهد امراة يعقوب اخبرت اخوته
بذالك فحل به ما حل ومن الحديث قال صلى الله عليه وسلم استعينوا
على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال سيدنا علي
رضي الله عنه سرك اسيرك فاذا تكلمت به كنت اسيره وقال سيدي ناصح بن عبد الغني
القلوب اوعية والشفاه اقفالها والالسنة مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفاتيح سره
وقال بعض الحكماء سرك من دمك فلا تجره في غير اوداجك فاذا تكلمت به
فقد ارقته وقيل لبعض الحكماء ما اصعب الاشياء على الانسان قال ان يعرف
نفسه ويكتم سره ومن منثور الحكمة من افشى سره كثر عليه المتآمرون وقيل
ايضا انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون

اذا المرء افشى سره بلسانه • ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ضاق صدر المرء عن كتم سره • فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضنينا
بالاسرار عن جميع الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخل
بمكتوم السر ومن كلامهم قلوب الاحرار قبور الاسرار وقال اكتم ان سرك
من دمك فلا تعط ايمانك فيه وقال بعضهم السر ما كتمته في نفسك فاذا اسررته
الى غيرك فليس بسر

اذا ضاق صدرك من حديث • فافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي • وسري عنده فانا الظلوم

ومن كلام بعض الفصحاء ما لم تغيبه الاضالع فهو مكشوف ضائع

ولا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا
فاني رايت وشاة الرجا • ل لا يتركون اديما صحيحا

قال الامام الماوردي رضي الله عنه في كتاب ادب الدنيا والدين وكم من اظهار

أراق ماء صاحبه ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفي عواقبه سالما ولنجاح حوائجه راجيا **وقال** أنوشروان من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات **تنبيهان** الأول ينبغي للمرء أن يحذر كثرة المستودعين لسره فإن كثرتهم سبب الإذاعة وطريق إلى الإشاعة قال الماوردي لأمرين أحدهما أن اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز ولا بد إذا كثروا أن يكون فيهم من أخل ببعضها والثاني أن كل واحد منهم يجد سبيلا إلى نفي الإذاعة عن نفسه وإحالة ذلك على غيره فلا يضاف إليه ذنب ولا يتوجه عليه عتب وقال بعض الحكماء كلما كثرت خزان الأسرار ازدادت ضياعا قال الشاعر

• فلا تنطق بسرك كل سر • إذا ما جاوز الاثنين فاش •

ومن المستظرف هنا وما يجاب به الأموال الأموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الأسرار فإنها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها قال كعب

• ولست بمبد للرجال سريرة • ولا أنا عن أسرارهم بسؤول •

الثاني اعلم أنه كما يجب عليك كتم سرك كذلك يجب عليك حفظ سر غيرك فإن إفشاء سر غيرك أقبح من إفشاء سر نفسك لما يلزم في الثاني من الخيانة والنميمة قال صلى الله عليه وسلم إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة وقال عليه الصلاة والسلام إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره **قيل** لبعض الأدباء كيف حفظك للسر قال أنا قبره **وقيل** لآخر كيف تحفظ السر قال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر **وقال** المهلب

• أدنى الأخلاق الشريفة كتمان السر وأعلى الأخلاق نسيان ما أسر إليه •

• ولقد أسر إلي الصفي حديثه • نسي الصفي بأنه في كيسه •

ولبعض الشعراء

• ولو قدرت على نسيان ما اشتملت • منى الضلوع على الأسرار والخبر •

• لكنت أول من ينسى سرائره • إذ كنت من نشرها يوما على خطر •

حكى الماوردي أن عبد الله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال

• ومستودعي سر تضمنت سره • فأودعته من مستقر الحشا قبرا •

فقال ابنه عبيد الله وهو صبي

• وما السر في نفسي كميت في حفرة • لأني أرى المدفون ينتظر النشرا •

• ولكنني أخفيه حتى كأنني • من الدهر يوما ما أحطت به خبرا •

وافشى

وافشى بعضهم سره إلى أخيه ثم قال له أحفظت فقال لا بل نسيت

• يا ذا الذي أودعني سره • لا ترج أن تسمعه مني •

• لم أجره بعدك في خاطري • كأنه ما مر بأذني •

وقال ءاخر

• ومستودعي سر الكتمت مكانه • عن الحس خوفا أن يلم به الحس •

• ونعت عليه ما هو التعرش تم • فلو ودعته ما عيت لا يبلغ الحس •

ومن الكشف قول المتنبي

• وللسر مني موضع لا يناله • نديم ولا يفضي إليه شراب •

وقد عد الإمام أبو حامد الغزالي في الإحياء إفشاء السر من آفات اللسان قال وهو منهي عنه لما فيه من الإيذاء والتهاون بحق المعارف والأصدقاء قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي أمانة **وقال** الحسن إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك **وروي** أن معاوية أسر إلى الوليد بن عتبة حديثا فقال لأبيه يا أبت إن أمير المؤمنين أسر إلي حديثا وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك قال فلا تحدثني به فإن من كتم سره كان الخيار إليه ومن أفشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه فقال لا والله يا بني ولكن أحب أن لا تذلل لسانك بأحاديث السر قال فأتيت معاوية فأخبرته فقال يا وليد أعتقك أبوك من رق الخطأ فإفشاء السر خيانة وهو حرام إذا كان فيه إضرار ولؤم إن لم يكن فيه إضرار **وروي** أن سيدنا عثمان رضي الله عنه كان له كاتب يقال له حمران ولما اشتكى عثمان قال له اكتب العهد بعدي لعبد الرحمن بن عوف فانطلق حمران إلى عبد الرحمن بن عوف وهو مولاه وقال له البشرى فقال له عبد الرحمن البشرى لك ماذا فأخبره الخبر فانطلق عبد الرحمن فأخبر عثمان بذلك فقال عثمان أعاهد الله لا يساكنني حمران أبدا ونفاه إلى البصرة فلم يزل بها حتى قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه **وقوله** واحذر أخص من العدو صديقا إذ أخشى زيف عدوك على سرك مرة واحذر صديقك على سرك مرة لأن الصديق ربما انقلب عدوا ببعض الأحيان فيكون مطلعا على أسرارك وعوراتك وهذا يشير إلى معنى قول القائل

• احذر عدوك مرة • واحذر صديقك ألف مرة •

• فلربما انقلب الصديق • فكان أعلم بالمضرة •

وقال أبو عثمان • لا تبع ما بينك يوما بيوم • لصديق ولا العيني صديق •

• ان سر اجاوز الصدر فاش • بذريه العدا وساء الكاشح •
• ولا تبح بانه من سر عن كل مستخبر • وحاذر فما الحزم الا الحذر •
• اسيرك سرك ان صنته • وانت اسير له ان ظهر •

روي عن معاوية رضي الله عنه قال العجز من كثر سره عن صديقه مخافة ان تنتقل
عداوته فيه بعد حين وفي معناه كان يقال احق الناس من لا يفشي سره الى صديقه
مخافة ان يقع بينهما شيء فيفشيه عليه وروي عن بعض الحكماء قال ما كتمته
من عدوك فلا تطلع عليه صديقك فانك يكاد تجد ما اذا اعتد لغيبة تفتضيه
من صديق مساهم واستشارة ناصح مسالم من صفات امينا السر ان يجتمع فيه عقل
ودين ونصح ومودة فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب حفظ الامانة
وقال الماوردي رضي الله عنه واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق
مساهم واستشارة ناصح مسالم فليختر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمه سبيلا
وليتحر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال امينا
كان على الاسرار مؤتمنا والعفة عن الاموال ايسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان
قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشح باليسير من ماله حفظا له وضنا
به ولا يرى ما اذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخل عليه
من اجل ذلك كان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال وكان حفظ
المال ايسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال منيعة واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان
ناطق ويشيعها كلام سابق ثم قال ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل صاد
ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور كتوما بالطبع فان هذه الامور تمنع من الاذاعة
وتوجب حفظ الامانة فمن كملت فيه فهو عنقاء مغرب قال وليحذر صاحب السر
ان يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر الوقوف عليه فان طالب الوديعة خائن وقيل
في منثور الحكمة لا تبح بالحب سرك وقال صالح بن عبد القدوس

• لا تذع سرا الى طالبه • منك فالطالب للسر مذيع •
• تبرح بسرك ضيقا به • وتحسب كل اخ يكتم • وكتمانك السر ممن تخاف • ومن لا تخاف هو الحزم •
• اذا ضاق سرك من مخبر • فانت اذا الجنة الوم •

تتمة قال في روح البيان قال ابي ابن اللطيم اعطيكني من الصديق فقيل له في ذلك
فقال العدو ربما اكثر من الحذر من العدو وقال سيدنا علي رضي الله عنه اخوان هذا الزمان
جواسيس العيوب ثم تكلم الناظم على الصداقة والاخوة ونبه وكيف احوالها
وانه لا يستغني احد عن الصديق والاخ والصاحب فقال

والمرء

• والمرء لا بد له من صاحب • يعينه في شدة النوائب •
• خير الفتى فكاين من بالفه • بحسن خلقه اخ ويولف •

الواو للاستئناف والمرء بفتح الميم هو الرجل تقول هذا مرء صالح وضم الميم لغة فيه
وهما مرءان ولا يجمع وهذه مرأة ومرة بفتح الراء وتترك الهمز فالدية المختار وفي
الصحاح المرء الرجل تقول هذا مرء ورأيت مرءا ومررت بمرء وضم الميم لغة وهما
مرءان ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة بترك الهمز
وفتح الراء فان جئت بألف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل
حال حكاها الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ
ورأيت امرءا ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة
الراء على كل حال هـ وقوله لا بد له اي لا عوض له عن الصاحب ولا استغناء له عنه والنوائب
جمع نائبة وهي المصيبة النازلة والمعنى ان الرجل كيفما كان فهو محتاج الى
صاحب يميل اليه ويشاوره ويعينه في اموره ولا سيما في نوائب الدهر الشديدة فلا بد
للانسان من صاحب تسكن اليه نفسه ويشكو اليه حزنه ويتقوى به على من ظلمه
ويتخذه عونا على مكاربه ويتوصل به الى ما شق عليه بلوغه قال صلى الله عليه
وسلم عليكم باخوان الصدق فانهم معونة على حوادث الزمان وشهداء في السراء
والضراء وقال صلى الله عليه وسلم المرء كثير باخيه وقال اكثروا من الاخوان
فان الله حيي كريم يستحيي ان يعذب عبده بين اخوانه وقال المغيرة بن شعبة
التارك للاخوان متروك والرجل بلا اخ كيمين بلا شمال وقالوا من لم يرغب
في الاخوان بلي بالعداوة والخذلان وقالوا مثل الصديق كاليد تتصل باليد والعين
تستعين بالعين وقال الثعالبي الحاجة الى الاخ المعين كالحاجة الى الماء
المعين وقالوا لا آفة اشد من مفارقة الاخوان ولا نسيم اروح من ملاطفة
الخلان وقالوا الاخ الصالح خير لك من نفسك لان النفس امارة بالسوء والاخ
الصالح لا يأمرك الا بخير وكان الشيخ يقول الصديق انسان هو انت الا انه غيرك
وقيل لعبد الحميد الكاتب ايما احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما احب اخي
اذا كان صديقي وفي المثل رب اخ لك لم تلده امك وقال اكثم الغريب محتاج الى
مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة شعر

• ما ضاع من كان له صاحب • يقدر ان يصلح من شانه •
• وانما الدنيا بسكانها • وانما المرء باخوانه •

وينسب لسيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه

عليك بإخوان الصفاء فإنهم • عماد إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب • وإن عدوا واحدا لكثير

ولده رضي الله عنه الغريب من ليس له حبيب وقال ديرناعم رضي الله عنه لقاء الإخوان جلاء الأحزان وقال ابن المعتز من اتخذ إخوانا كانوا له أعوانا وقيل الصديق المساعد عضد وساعد واتخاذ الإخوان مسلاة للأحزان وقال زياد خير ما اكتسب المرء الإخوان فإنهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء

إن الصديق لعون • في كل ما تبتغيه • فلا تبع الصديق • واحذر وقوعك فيه
فالمرء قيل كثير • بنفسه وأخيه

وقالوا العيش إقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الإخوان وقالوا حلية المرء كثرة إخوانه لطيفة الأولى بن وما ان المأمون قال للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما هي يا أمير المؤمنين قال خبز الحنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والرائحة الطيبة والفراش الوطيء والنظر إلى الحسن من كل شيء فقال له الحسن وأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة ذوي العقول قال صدقت وهي أولاهن

ما ذاقت النفس على شهوة • ألذ من حب صديق أمين
من فاته ود أخ صالح • فذلك المغبون حق اليقين

الثانية قيل للحكيم أي ما شهوة ساعة قال الجماع قيل فما شهوة يوم قال دخول الحمام قيل فما شهوة جمعة قال غسل الثياب قيل فما شهوة شهر قال تجديد الثياب قيل فما شهوة سنة قال تزوج الأبكار قيل فما شهوة الأبد قال أما في الدنيا فمشاهدة الإخوان وأما في الآخرة فنعيم الجنان واعلم رحمني الله وإياك أنه ورد في فضل الألفة والأخوة من الآيات والأخبار والآثار ما فيه كفاية ولا سيما إن كانت الرابطة هي التقوى والدين وحب الله قال تعالى مظهرا عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية وقال فأصبحتم بنعمته إخوانا ثم ذم التفرقة وزجر عنها فقال عز من قائل واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا إلى قوله تهتدون وقال صلى الله عليه وسلم في الثناء على الألفة في الدين والأخوة من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه وقال صلى الله عليه وسلم مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى

وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرا وقال في الذي غيب في الأخوة في الله من آخى أخا في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله وقال أبو إدريس الخولاني لمعاذ إني أحبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال المتحابون في الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه ويقال إن المتحابين إذا كان أحدهما على مقام أعلى من مقام الآخر رفع الآخر معه إلى مقامه وإنه يلتحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين والأهل بعضهم ببعض لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله لم تكن دون أخوة الولادة قال الله تعالى ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يقول حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي وقال صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه وقال صلى الله عليه وسلم إن لله ملكا نصفه من النار ونصفه من الثلج يقول اللهم كما ألفت بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك الصالحين وقال ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة وقال سيدنا علي رضي الله عنه عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

فصل في بيان الحب في الله وغيره

قال في اختصار الإحياء قال صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال إن روحي المؤمنين ليلتقيان على مسيرة يوم وما رأى أحدهما صاحبه قط قال فالإنسان يحب غيره إما لذاته لكونه جميلا محبوبا في ذاته أو لكونه وسيلة إلى غرض خارج عن ذاته وذلك الغرض متعلق بمصالح الدنيا وإما أن يكون وسيلة إلى حظ في الآخرة وإما أن يكون في الله ولله لا ينال به دنيا ولا أخرى بل لكونه من عباد الله ومن أحب شيئا أحب من أحبه وهذا هو الأخوة في الله وكما يلزم من الحب في الله فلا بد من البغض في الله ومن أحب إنسانا لكونه حبيب حبيبه ومطيعا له فلا بد أن يبغض عدوه لكونه عاصيا له وقولنا يعينه في شدة النوائب هذا لا بد منه في الصحبة والصداقة فإن إعانة المرء صاحبه في الشدة أمر مطلوب ومندوب ولكن في الحق لا في الباطل قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا في الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله في عون

العبد ما دام العبد في عون أخيه وهذا في الأمور المباحة وأما الأمور المحرمة المحظورة فلا
يعينه فيها ولا يساعده عليها وإن فعل فقد شاركه وصار له كفل منه فالصديق
الصادق هو الذي يسعى في انقاذك من الشدائد والأهوال ولا يبرح في عنقك إذا تغير
الزمان أو حال قال الشاعر

وكل أخ عند الهوينا ملاطف • ولكنما الإخوان عند الشدائد

وفي المثل عند النازلة تعرف أخاك وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أخوك
من واساك في الشدة وقال بعضهم

جزى الله الشدائد كل خير • وإن كانت تغصصني بريقي
وما مدحي لها شكرا ولكن • عرفت بها عدوي من صديقي

وفي الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يا رسول الله أنصره مظلوما
فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك إياه لطيفة
ذكر الصفدي في شرح لامية العجم قال حدثني عمرو بن سعيد بن سالم الباهلي قال كنت
في حرس المأمون فجعل يطوف حين خرج من إسحاق بعد قتل الأمين واستقامت الخلافة
له فخرج ليتمشى إلى العسكر في بعض الليل فخشيت منه ولم يعرفني فنظر في غفلته وجاء من ورائي حتى
وضع يده على كتفي فقال من أنت فقلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله
ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذي تكلؤنا في هذه الليلة فقلت الله يكلؤك
يا أمير المؤمنين وانشأت له

إن أخاك الحق من كان معك • ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك • شتت فيك شمله ليجمعك

فقال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت أن تكون الأبيات كثيرة فأجد
الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال هات فقلت
وإن غدوت كنت لها غدا معك • فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف
دينار فما برحت من موضعي حتى أخذت خمسة آلاف دينار قال الصفدي
ما جمع المأمون من البيت الأخير إلا ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الحديث أعني السابق وهو قوله انصر أخاك الخ ثم لما كانت الألفة ثمرة حسن
الخلق لأنه يوجب التحابب والتآلف والتوافق كما أن سوء الخلق ثمرته التنافر لأنه
يوجب التباغض والتحاسد والتدابر نبه الناظم على ذلك بقوله خير العباد الخ
وأشار بذلك إلى ما ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن أقربكم مني مجلسا
أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال صلى الله عليه وسلم

المومن

المومن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقال صلى الله عليه وسلم إن أحب
إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغض إلى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون
بين الإخوان وأما حسن الخلق فلا تخفى فضيلته وسيأتي الكلام على ذلك عند قوله
وحسن الخلق مع كل أحد إن شاء الله والله الموفق تتمة المؤاخاة كما يؤخذ
من كلام الماوردي في أدب الدنيا والدين قسمان مؤاخاة اتفاق ومؤاخاة قصد
فالأولى تقع من اتفاق أو لعلة التجانس ومهما قوي التجانس قوي الائتلاف ثم يحدث من
التجانس المواصلة وسببها وجود الاتفاق بين المتواخيين لأن الاختلاف منع كما قيل

الناس إن وافقتهم عذبوا • ومع الخلاف جناهم مر
كم من رياض لا أنيس بها • تركت لأن طريقها وعر

ثم تحدث عن المواصلة المؤانسة وسببها الانبساط ثم تحدث عن المؤانسة المصافاة
وسببها خلوص النية ثم تحدث عن المصافاة المودة وسببها الثقة فإن اقترنت بها
المعاضدة فهي الصداقة ثم تحدث عن المودة المحبة وسببها الاستحسان فإن كان
لفضيلة النفس حدث منه التعظيم وإن كان لجمال الصورة حدث منه العشق
وما بعد العشق فهو ممازجة النفوس ومخالطة الأرواح وإن اقترنت بالأجساد وأما
الثانية وهي مؤاخاة القصد فلا بد لها من باعث يبعث عليها وداع يدعو
إليها وذلك من وجهين رغبة وفاقة فأما الرغبة فأن يتخذ من الإنسان فضائل
يرغب في إخائه من أجلها والأكمل أن تكون كلها طبعا أو بعضها طبعا وبعضها
تطبعا فإن كانت كلها تطبعا فهي متقلبة والمتكلف لا يدوم والفاقة
أن يفتقر الإنسان لغيره فيوالي إليه ويواخيه لوحشة انفراده ومعاناة وحدته ولا
ينبغي أنه لا ثقة بهذا لأن من أحبك لشيء زالت محبته بزوال ذلك الشيء والله
أعلم ولما كان الإنسان موسوما بسيما من قارنه ومنسوبا إليه أفعال
من صاحبه بشين فعدو بصحبة فقد رد بالخطا رتبته قال الناظم رحمه الله

فاصحب إذا اصطحبت ماجدا • بشيمه إن كنت لذا واجدا
صحبته لا شك أنه تشرف • والحي بالصاحب قد يعرف
وانتخب ذا عقل ودين وإبا • فليس ذو الصدق أخا كذابا

فقوله اصحب هو بفتح الحاء فعل أمر من صحب من باب سلم يقال صحبته أصحبه صحبة
فأنا صاحب وهي مفعول به والجمع خلاف الصحب وجمعه أي أرا ماجدا نعت له وهو
الكريم وقوله بشيمه أي بشيء لك إن قد ظهرت بكل خير إن كنت لهذا واجدا
وبصحبة متعلق بتشرف والإشراف مضاف إليه ما قبله وهو جمع شيء

وهو عالي الرتبة وانت مبتدأ في محل رفع وتشفى في موضع الخبر والجملة مبتدأ وبالعلا
وبالصاحب متعلق بتشفى وجملة يعني في محل الخبر والمعنى اذا اصحبت
ايها الاخ في الله صاحبا فاصحبه حتى يعلو بنيالك بان الانسان يتشرف ويعلو
قدره بصحبة الاشراف كما ينحط بصحبة الاشرار والاجلاف والمرء يعرف
بصاحبه روي عن امير المؤمنين علي رضي الله عنه قال الاخ رقعة في ثوبك فانظر بم ترقعه
وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شانته
وفي معناه قال بعض ادباء العصر الباسيين

فلا تصحبن من تنحط به • وصاحب اخا من علت رتبته
اذا لم تكن رقعة الثوب مثلها • استبشعت رؤيته

وقال العتابي لا تستكثرن من الاخوان الا ان كانوا اخيارا فان غير الاخيار بمنزلة
النار قليلها متاع وكثيرها بوار وعن ابن مسعود قال ما شيء ادل على شيء
ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال بعض الادباء يظن
بالمرء ما يظن بقرينه وقال بعض الحكماء اعرف اخاك باخيه قبله

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه • فكل قرين بالمقارن يقتدي
اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم • ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

ولبعض الفضلاء
صن الود الا عن الاكارم مبتغى • ومن بمواخاته تشرف
ولا تعتقد ود كل خليل • وان موهوا الدا وزخرفوا

وقال اخر
صاحب ذوي الفضل تسعد من اتبع • واخدع بهم فلا ادفع فما
كم صحبة لوقت ما بينهما درر • وصحبة الخفيف ما شئت مثلهن راء
وشاهد كلب اهل الكهف مع فئة • ما انحل حتى ينتبع في الوحي فذكرا

ولآخر
عليك بارباب الصدور من غدا • مضافا لارباب الصدور تصدرا
واياك ان ترضى بصحبة ساقط • فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

ولابي عثمان
انت في الناس تقاس • بالذي اخترت خليلا
فاصحب الاخيار تعلو • وتنل ذكرا جميلا
صحبة الخامل تكسو • من يواخيه خمولا

وفي القصيدة الزينبية
واجعل جليسك سيدا تحظى به • حبر لبيب عاقل متادب
واختر صديقك واصطفيه تفاخرا • ان القرين الى المقارن ينسب
واحذر مواخاة الدني لانه • تعدي كما يعدي السليم الاجرب

ومن

ومن كلام الحكماء الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفترق وعلى قدر تشاكل
الاجناس تتألف قلوب الناس يحكى ان عبد الله بن جعفر جاء مكة ليلا
فبات خارجها فلما اصبح دخلها فقال يا اهل مكة من فينا اخياركم مما
انتم ارتم في ليلة واحدة فقيل له وكيف عرفت ذلك قال نزلنا ومعنا
اخيار واشرار فجمع اخيارنا على اخياركم واشرارنا على اشراركم وقال
بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير يطير مع
جنسه نادرة حكي ان حكيما راى غرابا مع حمامة فعجب من تآلفهما
مع قلة تناسبهما في الجنس فلما طارا اذا كل منهما مكسور الجناح
فقال انما جمعت بينهما العلة ومن المعنى قيل

لكل امرئ شكل من الناس مثله • واكثرهم شكلا افلحهم عقلا
وكل اناس يالفون لشكلهم • واكثرهم عقلا اقلهم شكلا
لان كثير العقل ليس بواجد • له في طريق كل حين له مثلا

ومن معنى ما تقدم قيل ايضا
تخير من الاخوان كل ابن حرة • يسرك عند النائبات بلاؤه
وقارن اذا قارنت حرا فانما • يزين ويزري بالفتى قرناؤه

وقول الناظم بشهامة فيه اشارة الى قلة وجود هذا الصاحب الذي هو على هذه الصفة
وخصوصا في وقتنا هذا فهو اقل من بيض الانوق واعز من الابلق العقوق قيل
لبعضهم ما الصديق فقال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود وانشد

سمعنا بالصديق ولا نراه • على التحقيق يوجد في الانام
واحسبه محالا نمقوه • على وجه المجاز من الكلام

وقال بعضهم
تغربت اسأل من عن لي • من الغرب هل من صديق صدوق
فقال الرواة بيان لا يوجدان • صديق صدوق وبيض الانوق

وقال
عن الوفاء فلا وفاء وانه • لاعز وجدانا من الكبريت

وللصفي
لما رايت بني الزمان وما بهم • خل وفي للشدائد اصطفي
ايقنت ان المستحيل ثلاثة • الغول والعنقاء والخل الوفي

وللعلامة الزمخشري
زمان كل حب فيه خب • وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق • فنافق فالنفاق له نفاق

ولمؤلفه عفا الله عنه في التنبيه على قلة وفاء اخوان هذا الوقت والتحذير منهم

تغيرت الدنيا فما انت واجد • صديقا صدوقا او خليلا يساعد •
اذا كان خل المرء لا يرعى حقه • فما هو خل بل عدو معاند •
فاياك ان تصغي الى ابن ابالس • عذاب وفيها السم لا شك جامد •
فاخوان هذا الوقت كالوقت ايتها • بلا فرق الا الجهول يعاند •
خليلك من واساك فضلا بماله • ومن هو فيما تبتغيه مساعد •
ومن هو يرعاك ان كنت حاضرا • وان غبت عنه فهو منش وحامد •
وان كنت محتاجا الى بذل نفسه • يسارع في ما تروم لانت قاصد •
وليس الذي يبدي صفاء ما لا يفي له • وهو بقلب مبغض لك حاسد •
يريك حسن القول والفعل كاملا • ويخفيك مني او هو للفضل جاحد •
تجانب لقاء الخل واصرم حباله • وان كنت واوالله ما ثم واحد •
فلا بين جمع الا من الجهل ومفسد • والا ضعيف الذي للعقل فاقد •
اخي فارع ما قلته لك واحتفظ • وشد عليه الكف ان انت ماجد •
ولا ترج الا الله لا ترج غيره • تحل به ان اعترتك الشدائد •
تانس به فالله افضل صاحب • واحسن من يرجى اذا الخلق كائد •
هنيئا لمن قد احتمى في اموره • وهو له في كل شيء يشاهد •

روى عن وهب بن منبه رحمه الله قال صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا اقالني عثرة ولا ستر لي عورة وقال سيدنا علي رضي الله عنه اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل احد عجز وقال ابو الدرداء كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر

• يا من يرى بعد وفاء عهد الصاحب • منعتهم كم لذا من طالب •
• هون عليك فاين ما تذر منه • ذهب الوفاء ذهاب امس الذاهب •

قيل لبعض الولاة كم لك من صديق فقال اما في حالة الولاية فكثير وانشد

• الناس اخوان من دامت له نعم • والويل للمرء ان زلت به القدم •

ثم اشار الناظم الى بعض شروط من يصحب فقال واختر ذا عقل ودين وادب
يعني انه يجب عليك ان تختار لصحبتك من يكون متصفا بهذه الصفات

وهي

وهي العقل والدين والادب قال الامام الغزالي رضي الله عنه فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في امر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال
الاولى العقل فلا خير في صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع اخرها واحسن احواله انه يضرك وهو يريد ان ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق قال سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه

• ولا تصحب اخا الجهل • واياك واياه • فكم من جاهل اردى • حليما حين واخاه •
• يقاس المرء بالمرء • اذا ما المرء ماشاه • كحذو النعل بالنعل • اذا ما النعل حاذاه •
• وللشيء من الشيء • مقاييس واشباه • وللقلب على القلب • دليل حين يلقاه •

الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذي لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردي رحمه الله في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال يا بني اذا اردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك واذا صحبته زانك واذا قعدت بك مؤونة مانك اصحب من اذا مددت يدك للخير مدها وان رأى منك حسنة عدها واذا رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت امرا اعانك ونصحك واذا تنازعتما في شيء آثرك وقال سيدنا علي رضي الله عنه ان اخاك الحق من كان معك الخ
الثالثة الصلاح فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاغراض والاحوال قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا واحذر صحبة الفاسق فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن القلب كراهية المعصية ويهون عليك امرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب او ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه والغيبة اشد من ذلك الرابعة لا تصحب حريصا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تزيد في حرصك ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب قاله في بداية الهداية ومن الاحياء قال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب

ويؤنسك بالحق غائبا وينشي حسنتك ويكتم سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا في امر دينك فينفعك او رجل تعلمه شيئا فيقبل منك والثالث فاهرب منه وقال بعض الناس الاخوان اربعة فواحد حلو كله فلا يشبع منه وءاخر مر كله فلا يوكل منه وءاخر فيه حموضة فخذ منه قبل ان ياخذ منك وءاخر فيه ملوحة فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال بعضهم لا تصحب الكذاب فانك منه على غرور وقال ابن ابي الحواري قال لي استاذي ابو سليمان يا احمد لا تصحب الا احد رجلين رجلا تنتفع به في امر دنياك او رجلا تزيد معه وتنتفع به في امر ءاخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال الماوردي الخصال المعتبرة في اخاء الاخ بعد المجانسة التي هي اصل الائتلاف اربع خصال الخصلة الاولى عقل موفور يهدي الى مراشد الامور فان الحمق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحمق شؤم وقال بعض الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحمق لان الاحمق ربما ضر وهو يقدر ان ينفع وقال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العقلاء وقال بعض الشعراء

اذا ما كنت متخذا خليلا • فلا تثقن بكل اخي اخاء
فان خيرت بينهم فالصق • باهل العقل منهم والحياء
فان العقل ليس له اذا ما • تفاضلت الفضائل من كفاء

والخصلة الثانية الدين الواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين عدو لنفسه فكيف يرجى منه مودة غيره وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان ذا الدين والحسب والراي والادب فانه ردء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك وقال سيدنا حسان

وكل اخ يقول انا وفي • ولكن ليس يفعل ما يقول
سوى خل له حسب ودين • فذاك لما يقول هو الفعول

الخصلة الثالثة ان يكون محمود الاخلاق مرضي الافعال مؤثرا للخير امرا به تاركا للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء وتفسد الاخلاق ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة قال بعض الحكماء مخالطة الاشرار على خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم منه ببدنه

لم يسلم بقلبه من الحذر منه وقال بعض البلغاء صحبة الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقال بعض البلغاء من خير الاختيار صحبة الاخيار ومن شر الاختيار صحبة الاشرار وقال بعض الشعراء

مجالسة السفيه سفاه راي • ومن عقل مجالسة الحكيم
فانك والقرين معا سواء • كما قد الاديم من الاديم

الخصلة الرابعة ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة في مؤاخاته فان ذلك اوكد لحال المؤاخاة وامد لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب اليه طالب ولا كل من رغب اليه راغب ومن طلب ودا ممتنع عليه ورغب الى زاهد فيه كان معنى خائبا ... في المثل لو كرهتني يدي ما صحبتني

لا ابتغي وصل من يبتغي صلتي • ولا الين لمن لا يبتغي ليني
والله لو كرهت كفي مصاحبتي • لقلت للكف بيني اذ كرهتني

ولما كان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كالنكاح بين الزوجين فكما يقتضي النكاح حقوقا يجب الوفاء بها فكذلك عقد الاخوة يقتضي حقوقا يجب الوفاء بها ولذلك قال الناظم رحمه الله

وارع له الحق وكن عليه • اشفق من اب على بنيه
وانصحه واشفق واحفظ المعاشرة • وابداه بالسلام والمباشرة
وناده باحسن الاسماء • وخصه بصالح الدعاء

فقوله وارع فعل امر بمعنى احفظ وله متعلق به والضمير للصاحب والحق بالنصب مفعول بارع وكن فعل امر من كان الناقصة واسمها ضمير مستتر يعود على المخاطب واشفق بالنصب خبرها وعليه متعلق به والمساعفة المواتاة والمساعدة وقوله واحفظ المعاشرة هو على حذف مضاف اي اداب المعاشرة وهي المخالطة والمباشرة الملاحظة والمعنى انه يجب عليك اذا اتفق لك اخ في الله جامع للخصال السابقة المعتبرة في الصاحب ان تحفظ له الحق الواجب له عليك وان تكون اشفق عليه من الاب على بنيه مع المبادرة الى ما يبقى فيه مما يؤكد وداده ويبني يده في محبته والسعي في ادخال السرور عليه والاكثار من تعظيمه وتبجيله والنصار نصحه على الوجه الذي هو مع مساعدته وحفظ اداب العشرة معه من البداءة له بالسلام وملاقاته بالبشر والدعاء له باحب الاسماء والدعاء له وغير ذلك قال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان احبهما الى الله ارفقهما بصاحبه وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل اجمة فاجتنى

منعا سواكيت احدهما معوج والاخر مستقيم وكان معه صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة
فاعطاه المستقيم وامسك لنفسه المعوج فقال يا رسول الله انت احق مني بالمستقيم فقال صلى
الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيها
حق الله تعالى او اضاعه

اذا انت صاحبت الرجال فكن فتى • كانك مملوك لكل صديق
وكن مثل طعم الماء عذبا وباردا • على الكبد الحرى لكل رفيق

قال في الاحياء اعلم ان عقد الاخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضي
النكاح حقوقا يجب الوفاء بها قياما بحق النكاح كما سبق فكذا عقد الاخوة فلاخيك
عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالدعاء وبالاخلاص والوفاء وبالتخفيف
وترك التكلف والتكليف وذلك يجمعه ثمانية حقوق ثم قال رضي الله عنه في هذه
الحقوق الثمانية فانظم ومن منهاج العابدين وفي اداب الصحبة الايثار بالمال والاعانة
بالنفس على سبيل المبادرة من غير احتياج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت
عن تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس له وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء
عند الحديث وترك المماراة فيه وان يدعوه باحب اسمائه اليه وان يثني عليه بما يعرف
من محاسنه وان يشكره على صنيعه في وجهه وان يذب عنه في غيبته اذا تعرض له كما
يذب عن نفسه وان ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه وان يعفو عن زلته وهفوته
وان يدعو له في خلوته في حياته وبعد موته وان يحسن الوفاء مع اهله واقاربه بعد موته
وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئا من حاجته ويروح قلبه من مهماته وان يظهر الفرح بجميع
ما يتاح من مساره والحزن بما يناله من مكاره وان يضمر في قلبه مثل ما يظهر فيكون صادقا
في وده سرا وعلانية وان يبدأه بالسلام عند لقائه وان يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه
وان يشيعه عند قيامه وان يصمت عند كلامه حتى يفرغ من خطابه ويترك المداخلة في كلامه
وعلى الجملة فيعامله بما يحب ان يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته
نفاق وهي عليه في الدنيا والاخرة وبال واشار الناظم الى بعض هذه الاداب والحقوق
بقوله وكن عليه اشفق من ابيه اما شفقة الاخ على اخيه فقال العلماء رضي الله عنهم هي
ثمرة الصحبة والاخوة فلا تتم الصحبة الا بالشفقة حتى يشفق الاخ على اخيه كما يشفق على نفسه
بل اخيه فيما قال ميمون بن مهران من رضي تنتفع بصداقته فتح له عداوته وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا ان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب الاواني الى الله اصفاها
واصلبها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها في الدين وارقها على الاخوان وقال تعالى
رحماء بينهم اشارة الى الشفقة والاكرام قال الغزالي ومن كمال الشفقة ان لا ينفرد بطعام لذيذ

او بحضور في مسرة دونه بل يتنغص لفراقه ويستوحش لانفراده عن اخيه ومن
شفقتك عليه ان تعينه بمالك ونفسك اما المال فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وانما شبههما
باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما
تتم اخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد
وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء قال تعالى وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وروي ان
فتح الموصلي جاء الى بيت اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتح
واخذ حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة لوجه الله سرورا
بفعل اخيه واما الاعانة بالنفس يعني في قضاء حاجة الاخ والقيام بها قبل السؤال
وتقديمها على الحاجة الخاصة مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول
المنة قال بعضهم اذا استقضيت اخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانيا لعله ان يكون
قد نسي فكبر عليه واقرأ هذه الاية والموتى يبعثهم الله وكذا قال ابن شبرمة
لبعض اخوانه اذا سألت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة
وكبر عليه اربع تكبيرات وعده في الموتى وقد كان في السلف من يتفقد عيال
اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد كل يوم اليهم ويمونهم
من ماله فكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لم يروا من ابيهم
في حال حياته وبهذا تكمل الشفقة والاخوة كما قال ابو حامد رضي الله عنه
واما النصح للاخ فيعرف من الحقوق قال في الاحياء ومن ذلك التعليم والنصيحة
فليس حاجة اخيك الى العلم باقل من حاجته الى المال فان كنت غنيا بالعلم فعليك
مواساته من فضلك وارشاده الى كل ما ينفعه في الدين والدنيا فان علمته وارشدته
ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بان تذكر افات ذلك الفعل
وفوائد تركه وتخوفه مما يكرهه في الدنيا والاخرة لينزجر عنه وتنبهه على عيوبه
وتقبح القبيح في عينه وتحسن الحسن ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه
احد فما كان على الملا فهو توبيخ وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة
اذ قال صلى الله عليه وسلم المؤمن مرآة المؤمن اي يرى منه ما لا يرى من نفسه
فيستفيد المرء من اخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد قال الشافعي
رضي الله عنه من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه
وشانه وقيل لمسعر اتحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه

[illegible]

فنعم وان فني عمر بين الملا فلا فالموافقة منه واما النصح على الملا ففضيحة والله تعالى
يعاتب العبد المؤمن يوم القيامة تحت كنفه في ظل ستره فيوقفه على ذنوبه سرا وقد
يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا ابواب
الجنة اعطوه الكتاب مختوما ليقرأه واما اهل المقت فينادون
على رؤوس الاشهاد وتستنطق جوارحهم بفضائحهم فيزدادون بذلك خزيا وافتضاحا
ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الاكبر فان قلت فاذا كان في النصح ذكر
العيوب ففيه ايحاش القلب فكيف يكون ذلك من حق الاخوة فاعلم ان الايحاش
انما يحصل بذكر عيب يعلمه اخوك من نفسه فاما تنبيهه على ما لا يعلمه فهو عين
الشفقة وهو استمالة القلوب اعني قلوب العقلاء واما الحمقى فلا يلتفت اليهم
فان من ينبهك على عيب مذموم تعاطيته او صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك
عنها كان كمن ينبهك على حية او عقرب تحت ذيلك وقد همت بهلاكك فان
كنت تكره ذلك فما اشد حمقك ولذلك كان عمر رضي الله عنه يستهدي ذلك
من اخوانه ويقول رحم الله امرءا اهدى الى اخيه عيوبه قال وهذا في عيب هو
غافل عنه فاما ما علمت انه يعلمه من نفسه وانما هو مقهور عليه من طبعه فلا
ينبغي ان يكشف فيه ستره ان كان يخفيه وان كان يظهره فلا بد من التلطف في النصح
بالتعريض مرة وبالتصريح اخرى الى حد لا يؤدي الى الايحاش فان علمت ان النصح غير
مؤثر فيه وانه مضطر من طبعه الى الاصرار عليه فالسكوت عنه اولى هذا واما
المساعدة والموافقة بين الاخوين فسببها ائتلاف الاخوة والمحبة ومن يكن
مخالطا اخاه بعد مناسبة والائتلاف هو استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب
والسر والعلانية والجماعة والخلوة والتفاوت في شيء من ذلك مماذقة في المودة
نظر ابو الدرداء رضي الله عنه ثورين يحرثان في فدان فوقف احدهما يحك جسمه
فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الاخوان في الله يعملان لله فاذا وقف احدهما وافقه
الآخر قال ابو حامد رضي الله عنه واعلم ان قوام الاخوة بالموافقة في الكلام والفعل و
والشفقة قال ابو عثمان الحيري موافقة الاخوان خير من الشفقة عليهم لان المساعدة
علامة على الائتلاف وعلامة رسوخ المحبة بين الاحباب الترادف على النفي او الايجاب

• ما كنت مذ كنت الا طوع اخواني • ليست مخالفة الاخوان من شاني •

وآخر

• واذا احببت فاحبب ما احبوا • في الاحباء وعاف وكره •
• فزع للشيء لا ان قلت كلا • واذا قلت نعم قال نعم •

قال الثعالبي ينبغي ان يكون الصديق لصديقه اسمع من خاتم واطوع من نعل

وقال

وقال بعض الحكماء ما بقي من ساعدك في المكاره وقدم شعبة في فضاء
او طارق لكن مساعدة الاخ وموافقته لاخيه انما تكون فيما وافق الحق
واما فيما يخالفه مما يتعلق بالدين فليس من الوفاء موافقته في ذلك بل من
الوفاء المخالفة فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حكي ان الامام الشافعي
رضي الله عنه كان واخى محمد بن عبد الحكم وكان يقربه ويقبل عليه ويقول ما
يقيمني بمصر غيره فاعتل محمد بن عبد الحكم فعاده الامام الشافعي فقال

• مرض الحبيب فعدته • فمرضت من حذري عليه
واتى الحبيب يعودني • فبرئت من نظري اليه •

وكان الناس يظنون لصدق مودتهما ان الشافعي يفوض امر حلقته الى محمد
بن عبد الحكم بعد وفاته فقيل للشافعي في علته التي مات فيها الى من نجلس
بعدك يا ابا عبد الله فاستشرف له ابن عبد الحكم وهو عند رأسه ليومئ اليه
فقال الشافعي سبحان الله ايشك في هذا ابو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد
بن عبد الحكم ومال اصحاب الشافعي الى البويطي مع ان ابن عبد الحكم كان قد
حمل عنه مذهبه كله لكن كان البويطي افضل واقرب الى الزهد والورع
فنصح الشافعي رضي الله عنه لله وللمسلمين وترك المداهنة ولم يؤثر رضا الخلق
على رضى الله تعالى ه توفي الامام ابن عبد الحكم يوم الاربعاء لليلتين خلتا من
ذي القعدة وقيل منتصفه سنة ثمان وستين ومائتين ودفن الى جانب قبر
الشافعي وتوفي ابو يعقوب البويطي يوم الجمعة قبل الصلاة في رجب سنة احدى
وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد كما في ابن خلكان رحمة الله عليهم
اجمعين واما حفظ العشرة فيعز على كثير من الخلق كما تقدم والى اداء حفظ آداب
المعاشرة مع الاخوان من ملاقاتهم بالبشر وطلاقة الوجه والبداءة بالسلام
والتوسعة في المجالس والتزاور معهم وغير ذلك مما يأتي ويحتمل ان يكون
مراده حفظ هنا على الوفاء اي حفظ المعاشرة ولا تضيعها وعليك بالوفاء
والاخلاص فيها بالثبات على الحب ودوامه الى الموت مع من تعاشره وتوافيه
ومع اولاده واصدقائه بعد الموت لان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع قبل
الموت حبط العمل وضاع السعي ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في السبعة الذين
يظلهم الله تحت ظله ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه
وقال بعضهم قليل الوفاء بعد الموت خير من كثير في حال الحياة ولذلك روي انه
صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت
تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين قال في الاحياء من الوفاء

الخلاخ من اعلام جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومن اعانتهم او وقع في قلبه الحصين
مما من اعلام الاخ في نفسه فان فيه بتيقظ من يتعلق به الكثير الا لا يدل على قوة الشفقة
والحب الا نقص بعضا من الحب الى الكل مما يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره ينبغي
ان يميز في القلب عن سائر الكلاب قال ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به
الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متواخيين في الله ومتحابين فيه
قال ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شانه واتسعت
ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر

• ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا • من كان يالفهم في المنزل الخشن •

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه
قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ومن
الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه
كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من
دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد
جئت خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هي قال لا تسمع
علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو
صديقه قال الشافعي رحمه الله اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك
وفي معناه قيل

• تود عدوي ثم تزعم انني • صديقك ليس النوك عنك بعازب •

واما البداءة بالسلام مع المبادرة في القول والتلطف في السؤال فهي ايضا من واجب
للاخ على اخيه وذلك مما يديم الود في القلب قال صلى الله عليه وسلم للمسلم
على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا
لاخيه عليه ان يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويجيبه اذا دعاه ويجيبه
اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات ومن الحديث تبسمك في
وجه اخيك صدقة ومن حديث ابي ذر تعدل بين اثنين صدقة والكلمة الطيبة
صدقة وورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا
وعشرة لاقلهما رواه في العوارف من بر عمر وروي ايضا ان المؤمنين اذا التقيا فبشر احدهما
للآخر تسعون حسنة وللآخر حسنة ذكره
في الاحياء واما ندا الاخ باحب اسمائه فهو كذلك لا في حضوره وفي غيبته
قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه

اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه وقد نظم هذا بعضهم
في قوله

• ثلاث بها تصفو لود اخيك • اذا اجتمعت بعد الاخوة فيكا •
• تسلم عليه ضاحكا متبسما • اليه اذا لاقيته ولقاكا •
• وتوسع له بالود في كل مجلس • لكما كنت يوما موسعا لابيكا •
• وتدعوه من اسمائه باحبها • اليه تكن بالود منه وشيكا •
• وداوم عليها مع اخيك فانه • من السوء عند النائبات يقيكا •

واما تخصيصه بصالح الدعاء فهو كذلك من حقوق الاخوة والصداقة
في حال الحياة ولا بعد الموت فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك
وبينه فان دعاءك له في الحقيقة دعاء لنفسك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك مثل ذلك وفي حديث
اخر يقول الله تعالى بك ابدا يا عبدي وفي الحديث ايضا يستجاب للرجل في اخيه
ما لا يستجاب له في نفسه وفيه ايضا دعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب لا ترد وكان
ابو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لادعو السبعين من اخواني في سجودي اسميهم
باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصبهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك
يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم بما قدمت
وما صرت اليه يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وقد قال صلى
الله عليه وسلم الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد
او والد او اخ او قريب ثم اشار الناظم رحمه الله الى ان من حقوق الاخوة ايضا
الصفح عن زلة الاخ والعفو عنه فقال

• وان هفا فالصفح اولى والنزل • من شيم الانسان واحذر الملل •
• وان تكن ممن ليس ذا عيب وكم • ذا زلل يغتفر ذا احتمل •

الهفوة التي له يقال هفا هفوة زل والضمير في هفا يعود على الصاحب والصفح
عدم المؤاخذة بالذنب والزلل الخطأ يقال زل في منطقه او فعله يزل من
باب ضرب زلة اخطأ وقال الفراء زل يزل بالفتح زللا والاسم الزلة والشيم جمع
شيمة وهي الخلق والملل السآمة ورام الشيء طلبه وحاوله قال والمحمل
المتروك والمعنى ان الصفح عن زلة الصاحب والاخ والعفو عنه اذا هفا اولى من
معاتبته على ذلك ونفي عيبه فان الزلل من اخلاق الانسان فقد قال الواحدي
الاخوان من يستر ذنبك فلم يقرعك به ويمحو من وجه عذرك فلم يمن به عليك
وقال بعضهم احب من اذا جفيته رآك وان خدمته صانك وان اهانك نحامك

الاخ من اعانة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به ومن اعانتهم اوقع في قلب الصديق
مما من اعانة الاخ في نفسه فان فرحه بتفقد من يتعلق به اكثر اذ لا يدل على قوة الشفقة
والحب الا تفقده بمن يتعلق به حتى الكلب الذي على باب داره فينبغي
ان يميز في القلب عن سائر الكلاب قال ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به
الشيطان فانه لا يحسد متعاونين على بر كما يحسد متآخيين في الله ومتحابين فيه
قال ومن الوفاء ان لا يتغير حاله في التواضع مع اخيه وان ارتفع شأنه واتسعت
ولايته وعظم جاهه فالترفع على الاخوان بما يتجدد من الاحوال لؤم قال الشاعر

• ان الكرام اذا ما ايسروا ذكروا • من كان يألفهم في المنزل الخشن •

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه
قرب منك وان استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ومن
الوفاء ان لا يسمع بلاغات الناس على صديقه لا سيما من يظهر اولا انه محب لصديقه
كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب فذلك من
دقائق الحيل في التضريب ومن لم يحترز منه لم تدم مودته اصلا قال واحد لحكيم قد
جئتك خاطبا لمودتك قال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هي قال لا تسمع
علي بلاغة ولا تخالفني في امر ولا توطئني عشوة ومن الوفاء ان لا يصادق عدو
صديقه قال الشافعي رحمه الله اذا اطاع صديقك عدوك فقد اشتركا في عداوتك
وهو في معناه قيل

• تود عدوي ثم تزعم انني • صديقك ليس النوك عنك بعازب •

واما البداءة بالسلام مع المبادرة في القول والتلطف في السؤال فهي من واجب
الاخ على اخيه وذلك مما يزيد الود في القلب قال صلى الله عليه وسلم للمسلم
على المسلم ست خصال واجبات فمن ترك واحدة منها فقد ترك حقا واجبا
لاخيه عليه ان يسلم عليه اذا لقيه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويجيبه
اذا دعاه وينصحه اذا غاب ويشيعه اذا مات ومن الحديث تبسمك في
وجه اخيك صدقة ومن حديث آخر تعدل بين اثنين صدقة والكلمة الطيبة
صدقة وورد انه اذا التقى المسلمان نزل عليهما مائة رحمة تسعون لاكثرهما بشرا
وعشرة لاقلهما رواه في العوارف من طريق وروي ايضا ان المومنين اذا التقيا فيقسم بينهما
سبعون حسنة فيما بينهما كان ابشهما لصاحبه كان له تسع وستون وللاخر حسنة ذكره
في الاحياء واما نداء الاخ باحب اسمائه فيكون ذلك في حضوره وفي غيبته
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود اخيك ان تسلم عليه

اذا

اذا لقيته وتوسع له في المجلس وتدعوه باحب اسمائه اليه وقد نظمها بعضهم
في قوله • ثلاث يصفين ود اخيك • اذا اجتمعت بعد الاخوة فيكا

• تسلم عليه اذا كان متجها • اليه اذا لاقيته ولقاكا •
• وتوسع له بالود في كل مجلس • لكما كنت يوما موسعا لاتيكا •
• وتدعوه من اسمائه باحبها • اليه تكن بالود منه وشبكا •
• وداوم عليها مع اخيك فانه • من السوء عن النائبات يقيكا •

واما تخصيصه بصالح الدعاء فهو كذلك من حقوق الاخوة والصداقة
في حال الحياة ولا بعد الموت فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك
وبينه فان دعاءك له في الحقيقة دعاء لنفسك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك له ولك مثل ذلك وفي حديث
آخر يقول الله تعالى بك ابدأ يا عبدي وفي الحديث ايضا يستجاب للعبد في اخيه
ما لا يستجاب له في نفسه وفيه ايضا دعوة الرجل لاخيه بظهر الغيب لا ترد وكان
ابو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لادعو لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم
باسمائهم وكان محمد بن يوسف الاصبهاني يقول واين مثل الاخ الصالح اهلك
يقتسمون ميراثك ويتنعمون بما خلفت وهو منفرد بحزنك مهتم مما قدمت
وما صرت اليه يدعو لك في ظلمة الليل وانت تحت اطباق الثرى وقد قال صلى
الله عليه وسلم الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد
او والد او اخ او قريب ثم اشار الناظم رحمه الله الى ان من حقوق الاخوة ايضا
الصفح عن زلة الاخ وهفوته فقال

• وان هفا فالصفح اولى والتزلل • من شيم الانسان واحذر الملل •
• وان ترى من ليس ذا عيب ولا • ذا زلة بغيت في امر هملا •

الهفوة الزلة يقال هفا هفوة زل والضمير في هفا يعود على الصاحب والصفح
عدم المواخذة بالذنب والزلل الخطا يقال زل في منطقه او فعله يزل من
باب ضرب زلة اخطأ وقال الفراء زل يزل بالفتح زللا والاسم الزلة والشيم جمع
شيمة وهي الخلق والملل السآمة ورام الشيء طلبه وبابه قال والمهمل
المتروك والمعنى ان الصفح عن زلة الصاحب والاخ وهفوته اذا هفا اولى من
معاتبته على ذلك وتذكيره فان ذلك من اخلاق الانسان وقد قال الواقدي
الاخوان من يستر ذنبك فلم يعاقبك به ويخفي عنك وجه عذرك فلم يمن به عليك
وقال بعضهم الصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان اصابتك خصاصة

مالك واياه امك حسنة عدها وان عثر على سيئة سترها لا تخاف بوائقه ولا تختلف عليك طرائقه وقيل لخالد بن صفوان اي اخوانك اوجب عليك حقا قال الذي يسد خللي ويغفر زللي ويقبل عللي ويسد عنه املي وقال الخليل بن احمد يجب على الصديق مع صديقه استعمال اربع خصال الصفح قبل الاستقالة وتقديم حسن الظن قبل التهمة والبذل قبل المسألة ومخرج العذر قبل العتب وقالوا اجعل حسنات اخيك له محسوبة وسيئاته التي منك منسوبة ولله در القائل

اذا شئت ان تدعى كريما مهذبا * حليما ظريفا ماجدا فطنا اريبا
فلا ما بدت من صاحبك زلة * فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقال الماوردي رحمه الله ثم من حق الاخوان ان تغفر هفواتهم وتستر زلاتهم لان من رام بريئا من الهفوات سليما من الزلات رام امرا معوزا واقترح وصلا معجزا وقد قالت الحكماء اي عالم لا يهفو واي صارم لا ينبو واي جواد لا يكبو

اذا انت لم تترك اخاك وزلة * اذا زلها اوشكتما ان تفرقا

وحكى الاصمعي عن بعض الاعراب انه قال تناس مساوي الاخوان يدم لك ودهم ووصى بعض الادباء اخاه فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا وان لم تجد مواصلا وقال ابن مسعود كاتب الذي كنا نجلس اليه يشتد رجل من اخيه فانشد له

اعذر اخاك على ذنوبه * واستر وغط على عيوبه
واصبر على بهت السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا * وكل الظلوم الى حسيبه
واعلم بان الحلم عند * الغيظ احسن من ركوبه

وحكي عن بنت عبد الله بن مطيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان اجود قريش في زمانه ما رايت قوما الام من اخوانك قال مه ولم ذلك قالت اراهم اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك قال هذا والله من كرمهم ياتوننا في حال القدرة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف بنا عليهم فانظر كيف تاول بكرمه هذا التاويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر غدرهم وفاء وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل ان يتاولوا الهفوات من اخوانهم قال والداعي الى هذا التاويل شيئان التغافل الحادث عن الفطنة والتالف الصادر عن الوفاء تنبيهات الاول هجرة الصديق لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك بتقصير في الاخوة اما ما يكون في الدين بارتكاب معصية او الاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه بما يقيم اوده ويجمع شمله ويعيده الى الصلاح والورع فان لم تقدر وبقي مصرا فقد اختلفت كلمة الصحابة والتابعين في ادامة مودته

او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وقال ابراهيم النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب يذنبه فانه يرتكبه اليوم ويتركه غدا وقال الامام الغزالي وهذا الذي يقتضيه الكلف وامضه ما كان يقتضيه ابو ذر رضي الله عنه ولكن بقية احسن واسلم ثم بين وجه ذلك فانظر في الاحياء واما زلته الاخ في حق اخيه بتقصيره فلا ولى هو العفو والاحتمال بلا خلاف بل كل ما يحتمل تنزيله على وجه حسن ويتصور تمهيد عذر فيه قريب او بعيد فهو واجب بحق الاخوة فقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما اقساك يعتذر اليك اخوك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي ان لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حمارا ولا شيطانا وارض قلبك بنفسك نيابة عن اخيك واحترز ان تكون شيطانا ان لم تقبل ه الثاني قول الناظم وان صفا فالصفح اولى يقتضي ترك المعاتبة اصلا وهو مذهب جماعة من اهل العلم والادب فقالوا من عاتب في كل ذنب اخاه فخليق ان يمله ويقلاه وقالوا العفو الذي يقوم مقام العتاب ما سلم من تعداد السقطات وخلا من تذكار الهفوات وقالوا ليس من العدل سرعة العذل وقالوا العتاب داعية الاجتناب وقالوا عتاب الاحباب داعية الهجر والسباب

شعر

تحمل من صديقك كل ذنب * وعد خطاه من نمط الصواب
ولا تعتب على ذنب حبيبا * فكم هجر تولد من عتاب

اخر

اذا اعتذر الصديق اليك يوما * من التقصير عذر اخ مقر
فصنه عن عتابك واعف عنه * فان العفو شيمة كل حر

بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان انت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت واي الناس تصفو مشاربه
فعش واحدا او صل اخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا اعتبت في كل ذنب * فما فضل الكريم على اللئيم

ومنهم من يرى ان العتاب مطلوب بين الاحباب فقالوا معاتبة الاخ الصديق

خيمي ما بعضه لي فلعلها انكرت سيادة مللته ورشده

• اذا ذهب العتاب فليس ود • ويبقى الود ما بقي العتاب •

وقالوا انه في المعاتبة من علامات الاهل والتواطؤ على منفيات الاعمال وقال سيدنا علي رضي الله عنه عاتب اخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه وقالوا ايضا العتاب يداوي القلوب ويخرج عن خبيئات الغيوب

• اعاتب من اهواه في كل حالة • ليجتنب الامر الذي معه الذنب •

• فاني ارى التاديب عند حدوثه • يمنع لة الغيث الذي بعده الجدب •

لكن قال بعض اهل الادب ينبغي للعاقل اللبيب ان لا يكثر من معاتبة الحبيب اذ كثرة العتاب داعية الاجتناب وعدمه دليل على عدم المبالات وقد قيل علة المعاداة قلة المبالاة

• لا تكثرن في كل حادثة عتب الصديق فانه يصعوا •

• فيمنعه بل يصعوا فيجهد لي • انني المشارب كلها تصعوا •

وانما قال الناظم واحذر الملل لانه اي الملل عند ما اعظم الاسباب والعلل في محبة الملول مذمومة لعدم وفائه وبقائه معك على ود له قيل لابن السماك اي الاخوان اخلق ببقاء المودة قال الوافي غير الوافي عقله الذي لا يملك على القرب ولا ينساك عند البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه رعاك وقال سيدنا علي رضي الله عنه لا راحة لحسود ولا اخ لملول ولا محب لسيء الخلق ومن احب الدنيا والدين واما الملول ومعرالسبع مع التعيين الوثيك التي بعد اذله تقع واخا لاغير لانه لا يبقى على حالة وعلى تحولوا من استحالة وقد قال ابن الرومي

• اذا انت عاتبت الملول فانما • تخط على صحف من الماء احرفا •

• وهبه ارعوى بعد العتاب الا ترى • مودته طبعا فصارت تكلفا •

ومن نوعاه منع ما يكون ملله اسئم احتج بعود الى المعهود من اخلاقه وهذا اصلح المحبين واقرب الى طيبا يسلا مع وقت اسئم احسنه وحينا فيتمن تدليس جع الى الحسنى ويؤوب الى الاخاء وان تقدم الملل بما نظمه الشاعر حيث قال

• وقالوا يعود الماء في النهر بعدما • عفت منه اثار وجفت مشارعه •

• فقلت الى ان يرجع الماء عائدا • ويعشب شطاه تموت ضفادعه •

لكن لا ينبغي ح حقه بالنزوع ولا تنصفحه منه بالنكوس وقال الشاعر

• اذا ما مال عهد اخيك يوما • وحاد عن الطريق المستقيم •

• فلا تعجل بلومك واستدمه • فان لنا العقلة المستديم •

• فان تك زلة منه واولا • فلا تبعد عن الخلق الكريم •

ومنع ما يكون ملله من كان اكثر العلو ولا يبقي اخا ولا ودا ولا يبقى في حالة واحدة كما قال اشجع بن عمرو السلمي

• اني رايت لعامر اهلة • كالسيل تنهض على الشهد •

• فاذا انقضت بعهده متعا • لعب الصدود بذلك العهد •

وهذا الاخ الذي يجب حالا ان مودته من وساوس النكهات وعوارض الشهوات وليس الا استدراك الحال معه بالاقلاع قبل المخالطة وحسن المتاركة بعد الورطة كما قال العباس بن الاحنف

• تداركت نفسي بعد ما كنت نبتها • وبغضتها فيك امالها •

• وما طابت النفس عن سلوة • ولكن حملت عليها الثقل •

رجع حاصل ما تقدم ان ملاك المحبة تحمل الهفوات واقالة العثرات والا فلا يجد الانسان خليلا يصير به خليلا كما قال الناظم وان تجد من ليس يعني انك ان لم تصبر على هفوة صديقك ولم تحتمله ورمت بعقلك صديقا مثله فانه ليس فيه عيب بالكلية ولا زلل ولا هفوة فانك رمت المحال وبقيت في داء زوابل الوحشة والاهمال فانه لا يبرء الانسان من الوهول ولا وسا كانت ما هيئته متفاوتة فهي بالنقص اولى والاعتدال بعيد من الى كب وما سلك الهواء الصديق الا وينكب ولي الى جبال المهذب

• ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها • كفى المرء نبلا ان تعد معايبه •

فالكمال على التحقيق معدوم الا في المعصوم وهم الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم والانسان من حيث هو انسان نتيجة المخالفة والغفلة والنسيان فالناس مذ ادم وان كان العهد قد تقادم فلا يرجعا بالكمال الا الهب خو الجلال ومن كملهم من الانبياء وخواص الاصفياء فلا يبتلى الكمل بالصديق اذا فرح يوما عن جادة الطريق فالشخص قد يغفل عن مساوي نفسه ويعيب الاصل لم يجهلا عن صاحبه وان كان عند الوجلاء من المعظم وقد قيل كطالب الانصاف من قلة الانصاف وقيل لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه ومما كلامهم من طلب هذه الذي ما عالما يعمل بعلمه بقي بلا عالم ومن طلب طعاما بلا شبهة بقي بلا طعام ومن طلب صديقا بغير عيب بقي بلا صديق وقيل لا نوشي وانا هل من احد لا عيب فيه فقال من لا موت له ابوالي ومن

• ومن قلة الانصاف انك تبتغي • مهذب الخلق ولست مهذبا •

لطيفة حكى صاحب الأغاني في أخبار علوية أنه دخل على المأمون العباسي وعنده جماعة من المغنين وهو بين خمار وصبوح فغنى ويقول

عذيري من الإنسان لا إن جفوته • صفا لي ولا إن صرت طوع يديه •
وإني لمشتاق إلى ظل صاحب • يرق ويصفو إن كدرت عليه •

فسمع المأمون منه والمغنون ملح في جوره واستحسنه المأمون وقال له أعد يا علوية ورده له في ذلك سبع مرات فقال المأمون في الأخيرة يا علوية خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب **قال الصفدي** في شرح لامية العجم وما صاحب يبذل المأمون الخلافة في سعة الملك وأبهته وصفاء الوقت من الأكدار إلا من اللئيم بيت الأحج بل ما خلقه الله ولا أوجده ثم نبه الناظم لبيان من تجتنب صحبته فقال

• ولا تصاحب أحمقا وذا الخلل • أو جاهلا من صحبه فيه دخل •

فقوله لا ناهية والعقل بفتحتين رتبة والحمقى ما يعرف به من الحمق وهو قلة العقل يقال حمق من باب كرم فهو أحمق وحمقاء أيضا بالكسر فهو حمق وأي حمقاء وفي القاموس حمق ككرم وغنم حمقا بالضم وبضمتين وحماقة وانحمق واستحمق فهو أحمق قليل العقل وقوم ونسوة حمق وحمق بضمتين وحمقى وحمقان ككسكرى وسكارى وبفتح ها **فائدة** حد الحمق عند بعض الفلاسفة هو قلة الإصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي وضع له وقيل هو فقدان ما يحمد من العاقل وقيل الحمق ربما هيجه ملحد الحمق فقال هو كالعقل لا حد له وقال بعضهم الأحمق هو من ليس له ملكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل والخلل الفساد وقوله من صحبه فيه معطوف على ما قبله بحذف حرف العطف أي ومن صحبه فيه دخل والدخل كما في القاموس الغدر والمكر والداء والخديعة والعيب **والمعنى** أنه ينبغي لك أيها الأخ في الله أن لا تصاحب أحمقا ولا ذا خلل أي فساد وعيب تنهى منه الطباع كالزاني والفاجر والسارق وشبههم ولا جاهلا ولا من يكون في صحبته غش وخديعة **أما الأحمق** فصحبته مذمومة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأحمق أبغض الخلق إلى الله إذ حرمه أعز الأشياء إليه وهو العقل **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما مجامعة العاقل في الغل والوثاق خير من مجامعة الجاهل على السندس والإستبرق **وقال** الأحنف بن قيس إني لأجالس الأحمق في ساعة فأتبين ذلك في عقلي **وقال** لقمان لابنه لا تعاشر الأحمق وإن كان ذا جمال فإنه كالسيف حسن ظاهره قبيح أثره **وقال** الجاحظ لا تجالس الأحمق فإنه يعلق بك من مجالسته يوما من

الفساد

الفساد ما لا يعلق بك من مجالسة العقلاء دهرا لأن الطبع فإن الفساد أشد التحاما بالطبائع **وقال** بعض الحكماء مقاساة الأحمق عذاب الروح **وقال** مسلم بن قتيبة لا تطلب حاجتك إلى الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك فسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وموته خير من حياته **وقالوا** صحبة العاقل في لجج البحار وأهوال القفار أنفع من صحبة الأحمق في جنات وأنهار وألوان الأطعمة وثمار **وقالوا** صحبة الأحمق غرور ومجاورته خطر والبعد عنه كنز **وقال** الحسن بن علي رضي الله عنهما هجر الأحمق قربة إلى الله تعالى **وقال** ابن المعتز الأحمق مثل إن آنسته تكبر وإن أوحشته تكدر وإن استنطقته تخلف وإن تركته تكلف مجالسته غم ومحاورته تعب ومفارقته شفاء ومجاورته شقاء

• لا تباعدن من اللبيب وإن جفا • واقطع حبالك من حبال الأحمق •
• فعداوة من عاقل متجمل • أولى وأسلم من صداقة أحمق •

قيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أتدري لم رزقت الأحمق قال لا يا رب قال ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد

• ومن الدليل على القضاء وكونه • بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق •

يروى أن عيسى عليه السلام أتي بأحمق ليداويه فقال أعياني دواء الأحمق ولم يعيني دواء الأكمه والأبرص وعلاج الأبدان أيسر خطبا من علاج العقول

• لكل داء دواء يستطب به • إلا الحماقة أعيت من يداويها •

وقد قالوا الحمق داء دواؤه الموت **وعن** سعيد بن عمار مكتوب في التوراة من صنع للأحمق معروفا فهي خطيئة مكتوبة عليه **وقال** الأصمعي قلت لغلام من أبناء العرب أيسرك أن يكون لك مائة ألف درهم وأنت أحمق فقال لا والله قلت ولم قال أخاف أن يجني علي حمقي جناية تذهب مالي ويبقى حمقي وقالوا مثل الأحمق كالثوب الخلق إن رقعته من موضع تخرق من موضع آخر قال مسكين الدارمي

اتق الأحمق لا تصحبه • إنما الأحمق كالثوب الخلق • كلما رقعت منه جانبا • حركته الريح وهنا فانخرق
• أو كصدع في زجاج واضح • هل ترى صدع زجاج يرتتق •
• وإذا عاتبته كي يرعوي • زاد جهلا وتمادى في الحمق •

تنبيه قال في الغرر ومما شهر بالعقل الناجح (?) وعرف بالحمق الواضح هم المعلمون قال الجاحظ قسم الله الحمق مائة جزء فجعل منه تسعة وتسعين جزءا

في المعلمين والحمق فاش في سائر الناس وقال الشاعر

• كفى المرء نقصانا بأن يقال بأنه • معلم صبيان وإن كان فاضلا •

وحكى الجاحظ قال مررت بمعلم شاب حسن الهيئة فجعلت اتحدث معه فسمع عني وانشد

• ما كان تحت الخافقين اديب • اقل عقلا من معلم •

• ولقد بلغت في الغنا • عند مرابي رب سلم •

فعلمت انه حمق ابانه بنا وثنى كتبه وكان الجاحظ كثيرا ما ينشد

• وكيف يرجى العقل والرأي عند من • يروح على انثى ويغدو على طفل •

ومن امثالهم احمق من معلم والنساء قالوا لا تدع ام صبيك تضرب به فانه اعقل منها وان كانت اسن منه بل ادبه بيدك وعذبه بعجك ويقال عقل مائة صبي بعقل معلم وعقل مائة معلم بعقل خصي وعقل مائة خصي بعقل امرأة ويكفي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ناقصات عقل ودين ولن يفلح قوم ولوا عليهم امرأة والخصيان قال الجاحظ في الخصي عشر خصال متضادة تجتمع فيه ما كنهم موتى ولا تجتمع ما كنهم مؤمنا وهو ابكى الناس عينا واشدهم فرحا وهو اضعف الناس معدة واشدهم على الطعام وهو اسوأ الناس ادبا ويجمع الادب وهو اغزر الناس دمعة واقساهم قلبا ما خلا مع رجل الا حدثته نفسه انه امرأة ولا خلا مع امرأة الا حدثته نفسه انه رجل قال والحاكة يقال الحمق عشرة اجزاء تسعة منها في الحاكة وواحد في سائر الناس وقالوا لو ان للحائك في زنا التحق به وسأل رجل الاعمش عن الصلاة خلف الحائك فقال له لا بأس بها على غير وضوء قيل فما تقول في شهادته قال تقبلها مع ثلاث عدول عند لبيب وقال الحسن البصري ما من احد يكلم حائكا لم يرجع اليه عقله اربعين يوما والسبب في زوال عقولهم ما ذكر ان مريم عليها السلام ذهبت تطلب عيسى وكان قد ضل منها فلقيت حائكا فسألته عن طريقه فدلها على غير الطريق الذي سلك فقالت اللهم نزهه فلا يوجد الا تائها وقيل قالت اللهم اجعلهم ضحكة الناس وانزع عقلهم تتمة قال في الغرر ايضا مما يستدل به ما ذكره المخالفون على خلاف حمق الاعوج والمائل قالوا مما حكمت به التجربة ان من طالت قامته وصغرت هامته وامتدت لحيته كان حقيقا على من يراه الا يقضي عليه بقلة العقل ابن الرومي

• ان تطل لحية عليك وتعرض • فالمخالي معلوفة للحمير •

• علق الله في عذاريك مخلا • ة ولكنها بغير شعير •

في التورية ان اللحية مخرجها من الدماغ فمن افرط عليه طولها قل دماغه ومن قل

دماغه

دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو احمق وقال مسلمة بن عبد الملك يوما لجلسائه يعرف حمق الرجل باربع طول لحيته وشناعة كنيته وافراط شهوته ونقش خاتمه فدخل عليهم رجل طويل اللحية فقال لهم اما هذا فقد اتاكم بواحدة فانظروا اين هو من الثلاث فقيل له ما كنيتك فقال ابو الياقوت قيل فما نقش خاتمك قال وتفقد الطير قيل فاي الطعام احب اليك قال الجلنجبين وهو الورد المربى فانشد مسلمة

• ما يعرف كنيته وطول لحيته • ونقش خاتمه شك لمعتبر •

واما مصاحبة اخي الخلل اي الفساد وذلك كالزاني وشارب الخمر والسارق والديوث وغيرهم فهي كذلك مذمومة لانه يعلم الانسان معاشرتهم ويحسن له النقص بمصاحبتهم لتنصبغ بلون اخلاقهم ولان الطباع كما تقدم تسرق بالمعاشرة

• انت تجتنب من الجاهل • ان الطباع تسرق الطباعا •

فكما ان الانسان بمعاشرة العلماء واهل الكمالات يصير كاملا كذلك يصير ناقصا بمعاشرة الفسقة واهل الرذائل فمتى جمع بين اهل الفسق نحى الى الفسق ومتى جمع بين اهل الصلاح نحى الى الصلاح

• بني اجتنب كل ذي بدعة • ولا تصحبن مبطلا بوصف •

• فيسري فاسد من فاسد • وانما بذلك لا يخفى •

واما الجاهل فصحبته كذلك تجتنب قال بعض الحكماء الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقا لغيره وقالوا الجهل رأس الفضائح ومعدن القبائح ومضمار العثار وهو الدليل على غلظ الطبع وجمود الخاطر وفساد التركيب واعتلال الذهن وكذب النفس وخبث الطوية وقالوا من عرف بالجهل فهو لكل قبيحة اهل ومن كان لكل قبيحة اهلا فلا خير في صحبته اصلا وقالوا الجاهل يجني على نفسه وليس عنده شيء احب اليه منها وقد نفع قول سيدنا علي رضي الله عنه لا تصحب اخا الجهل واياك واياه

واما من عنده فيه مكر وخديعة وغش فلا يخفى انه ينبغي اجتناب صحبته كذلك لان من كانت هذه صفته لا يدوم على محبة ولا يبقى على صحبة لان صحبته لغرض ولا شك انعطافه ولا بر والله بصير وان اظهر لك اسباب المحبة واعلنها بلسانه فانما قصده ان يتمكن منك حتى تتم حيلته عليك فاهرب منه قبل ان يصيبك مكره وخديعته شعر

• واذا الصديق لقيته متملقا • فهو العدو وحقه يتجنب •

• لا خير في ود امرئ متملق • حلو اللسان وقلبه يتلهب •
• يلقاك يحلف انه بك واثق • واذا توارى عنك فهو العقرب •
• يعطيك من طرف اللسان حلاوة • ويروغ عنك كما يروغ الثعلب •

وهذا شأن اخوان زماننا فان الرجل منهم ليكلمك بكلام لا تشك معه انه منطو على محبتك وبعد ذلك معاملة في الكلام تكشف معه انه طالب لمواهلك فلا يلبث معك على ذلك الا يسيرا من الزمان حتى ينقلب عليك ويبغي لك ما كان كامنا في صدره وما هو منطو عليه مما يبديه ومحي له وللامام الغزالي

• لا تنج من الوحدة وتبغي • وما التفرد في زمانك جائز •
• ذهب الاخاء فليس ثم اخوة • الا التملق باللسان وباليد •
• فاذا كشفت ضمير ما بصدورهم • ابصرت ثم نقيع سم الاسود •
اي • ذهب الوفاء ذهاب امس الذاهب • فالناس بين مخاتل ومواربِ •
• يفشون بينهم المودة والصفا • وقلوبهم محشوة بعقارب •

ثم اشار الى ان من جملة ما تجتنب صحبته ويجب مباعدته النمام فقال

• اياك والنمام فاحذره ولا • تعبأ به فالشر ممن نقله •
• فكل ما ينقل اليك قوله • عن غيره ينقل عنك مثله •

يقول الناظم اياك ضمير منصوب على التحذير واصله احذر تلاقي نفسك والنمام ثم حذف الفعل وفاعله المضاف الاول وانيب عنه الثاني فانتصب فصار نفسك والنمام ثم حذف الثاني وانيب عنه الثالث فانتصب فاياك بدل من اللفظ بالفعل لانه لما كثر في كلام العرب التحذير بها انابوها عنه في عمل النصب في المفعول وهو النمام هنا فاياك على هذا اسم نائب عن فعل الامر ويكون فيه ضمير مستتر وجوبا فيه استتار ضمير في ضمير وفيه اللغز المعروف للهلالي والنمام كثير النم والسعاية بالحديث ليوقع فتنة او وحشة في القلوب يقال نم الحديث اي فته وبابه رد ويتم بالكسر لغة فيه والاسم النميمة والرجل نم ونمام قاله في المختار والهجر ضد الوصل ولا تعبأ به اي لا تبال به وينقل في البيت الثاني بسكون اللام للوزن والمعنى احذر ايها الاخ في الله النمام واهجره ولا تعبأ به ولا تقبل قوله اذا نقل اليك نميمة عن غيره فان الشر كله انما هو من الناقل له وعلامة النمام انه كما ينقل اليك قول الغير بقصد الافساد كذلك ينقل عنك مثل ذلك للغير فيجب هجرانه ومجانبته وعدم قبول قوله لانه فاسق بنص الكتاب العزيز قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا [illegible]

النمام

النمام والنميمة عند الله عز وجل وهو الوليد بن المغيرة بعشرة اوصاف مذمومة وذكر منها النميمة فقال تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم قال الامام ابن قتيبة لا نعلم ان الله عز وجل وصف احدا بالذم مثل ما وصف الوليد بن المغيرة ومن الحديث قال صلى الله عليه وسلم هل تدرون من شراركم قالوا الله ورسوله اعلم قال ذو الوجهين الذي ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وعن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شر الناس ذو الوجهين ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ومن كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال صلى الله عليه وسلم من فار مسلما فليس منا ولسنا منه في الدنيا والآخرة ومن الاحياء ان النمام ينبغي ان لا يوثق به ولا بصداقته وكيف لا ينبغي وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسد في الارض اه وقال الامام الشعبي رضي الله عنه سمعت سيدي عليا الخزاعي يقول اياك ومصاحبة النمام فانه جليس سوء وقد كان سيدي ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه اذا رأى انما ما يقول للامير [illegible] سوق ابليس ومن الحديث ان ابغض عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العنت وفي رواية شر عباد الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبراء العيب يمشي مع السبع وجرى الكلاب واذا كان النمام بهذه الصفة فلا تامنه ولا تسمع كلامه ولا نصيحة لك منه فانه كما ينقل اليك ينقل عنك كما تقدم وقد قالوا من نم لك نم عليك ولله در القائل محذرا منه

• لا تقبلن نميمة بلغتها • وتحفظن من الذي انباكها •
• ان الذي القى اليك نميمة • سينم عنك بمثلها قد حاكها •

وقال بعض الحكماء النميمة تلقي في القلوب البغضاء ومن نقل اليك نقل عنك وقيل لمحمد بن كعب القرظي رضي الله عنه اي خصال المؤمن اوضع له قال كثرة الكلام وافشاء السر وقبول قول كل احد وقال مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه فاتقوا الساعي فلو كان صادقا في قوله لكان لئيما في صدقه حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقال ابو الحجاج البلوي رحمه الله قال ذو ولي فاستبقي فبول

السعاية شيء من السعاية لانها دلالة وقبولها اجازة وليس من دل كمن قبل واجاز
فاصغ السامع على سعايته وان كان صادقا فاللوم في هتك العورة واضاعة
الحرمة مبارزة لله عز وجل بقول البهتان والزور وارتكب ما حمل النمام من
الاثام ولم يقل في نمه سوى ان شيء هابهمه وغيرها في يمه ولم يثبت به في قلب
من سمعه من المحبة وزن حبة

الجلس لست تسلو • اذا عملت المساوي
بل انت للشيخ ابليس في الفعال المساوي
فاحذركي يبعد المعاصي • فان فيها مهاوي

وقالوا لم يمش ماش شر من واش والساعي بالنميمة يهلك نفسه ومن سعى
به ومن سعى اليه كما يحكى ان عمرو بن معاوية ابن ابي عتبة ابن ابي سفيان العتبي
راى رجلا يسعى برجل عند ابيه فقال له يا بني كف سمعك عن استماع الخنا كما
تنزه لسانك عن التكلم به فان السامع شريك القائل وانما نظر شر ما في وعائه
فافرغه في وعائك ولو ردت كلمة سامع الى فيه لسعد رادها كما شقي قائلها
والنمام شر من الساحر فان النمام يفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسد الساحر في
المدة الطويلة وقال المصحفي ما الساعي بالغ عورة ولا فتح الا من قابل
سعايته ولا يخلو الي يعود الساعي حاسد نعمة فلا يشفي غيظه او عدوا فلا
يعاقبه الله عدوك لئلا يشمت به

لا تسمعن من الحسود مقالة • لو كان حقا ما يقول لما وشى

ولقد اكثر الناس من ذم السعاة والتحذير منهم ومن مجالستهم ولبعض تحذيرهم
الله تحذيرهم قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا الخ وكل من اغتاب الناس
او سعى بهم فهو فاسق والفاسق لا تقبل شهادته ولذلك لما قال معاوية رضي
الله عنه للاحنف الثقة بلغني عنك قال له الاحنف الثقة لا يبلغ وقال عمر بن
بن عبد الملك لا يليق باحد منكم بسعاية على احد بشيء فان الصادق فيها فاسق
والكاذب بهتان وروي عن امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه دخل عليه
رجل فذكر عنده رجلا فقال له عمر ان شئت نظرنا في امرك ان كنت كاذبا فانت
من اهل هذه الآية ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل
هذه الآية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين
ولا اعود لمثله لطيفة روي عن حماد بن سلمة قال باع رجل من رجل غلاما فقال له
البائع ليس به عيب الا انه نمام فاستخف المشتري بهذا العيب واشتراه به فمكث الغلام

عنده اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك ويريد ان يتسرى عليك
افتريدين ان يعطف عليك زوجك قالت نعم قال خذي هذه الموسى واحلقي
شعرات من باطن لحيته اذا نام ثم جاء الغلام الى الزوج فقال له ان امرأتك
تخادعك انها اتخذت خليلا وهي قاتلتك اتريد ان يتبين لك ذلك قال نعم
قال فتناوم لها ففعل الرجل فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعر فظن
الزوج انها تريد قتله فاخذ منها الموسى فقتلها به فجاء اولياؤها
فقتلوه وجاء اولياء الرجل ووقع القتال بين القبيلتين وقال بعض البلغاء
النميمة دناءة والسعاية رداءة وهما راس الغدر واساس الشر فتجنب
سبلهما واجتنب اهلهما وقال الامام ابن الوردي في لاميته

مل عن النمام وازجره فما • بلغ المكروه الا من نقل

تتمة من جملة من تذم صحبته ايضا الحريص على الدنيا المتهالك
في جمعها فان مصاحبته سم قاتل كما تقدم قال الغزالي لان الطباع مجبولة على
التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة
الحريص على الدنيا تحرك الحرص ومجالسة الزاهد تزهد في الدنيا فلذلك
تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال سيدنا علي رضي
الله عنه احيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه وقال الامام احمد بن حنبل
رحمه الله ما اوقعني في بلية الا صحبة من لا احتشمه وقال لقمان لابنه
يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب تحيا بالحكمة كما
تحيا الارض الميتة بوابل القطر ومن تاج العروس اذا صحبت ابناء الدنيا
جذبوك الى الدنيا واذا صحبت ابناء الآخرة جذبوك الى الله قال عليه الصلاة والسلام المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وكما تختار لنفسك المآكل الطيبة التي
لا ضرر فيها فكذلك لا تزاحم الا من يعرفك الطريق الى الله سبحانه ومن الحكم
لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله قال ابن عباد رضي الله عنه
تكلم يعني ابن عطاء الله هنا في هذه الصحبة وهي اصل كبير من اصول القوم وفيه
منافع وفوائد ولذلك اشتمل عليها شأنهم قديما وحديثا وقد نبه رحمه الله على ما يحتاط
بقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله الخ فانتهاض الحال ودلالة المقال على الله تعالى هو
فائدة الصحبة ومعنى الحال المنهضة ههنا هو ان تكون همته متعلقة بالله تعالى
مع قطعه عن المخلوقين لا يلجأ في حوائجه الا الى الله تعالى ولا يتوكل في اموره الا على الله
فقد سقط اعتبار الناس من عينه فلا يبالي منعوه او لا نفعوا وسقطت نفسه من عينه

فلا يشاهد لها فعلا ولا يقتضي لها حكما ويكون في أعماله كلها جاريا على
مقتضى الشرع من غير اعتراض ولا تعرض ويماثله محبة العارفين الموحدين فمحبة من
هذا حاله وإن قلت عبادته وتواصلت مؤونته الغافلة محمودة العاقبة جالبة لكل
فائدة دينية ودنيوية لأن الطبع يسري من الطبع والنفس مجبولة على حب الاقتداء
بمن تستحسن حاله ولا يشترط في المحبوب اتصافه بتلك الصفات على غاية الكمال
والتمام فإن ذلك متعذر وإنما يشترط أن يتصف منها بما يكون صاحبه به فقط
بحيث يكون أعلى منه حالا وأقرب منه مقالا ومن ثم يجب على ذوي الوجهة وكان
شأنه المعاملة بالظاهر لا غير فليس له فائدة في محبته بل ربما أداه [illegible]
خلطته تدعوه إلى التصنع له والتزين بها ويؤدي به ذلك إلى كبائر معاصي القلوب
وهي أشد عليه من معاصي الجوارح بكثير ومن ثم نبه الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه
على أن الإنسان ينبغي له أن يجتنب صحبة من هو دونه حالا فيما [illegible] فقال ربما كنت
مسيئا فأراك الإحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالا منك يعني أن صحبتك من
هو دونك في وصف لا تعاطي عنك عيوبك وتريك كمالك فتوجب لك حسن
الظن بنفسك فتعجب بأعمالك وتقنع بأحوالك ولا شك أن ذلك من أعظم النقص
ورؤية إحسانها أصل كل شر فإن كان ولابد فاصحب مثلك لتكون في صحبته لا لك ولا
عليك قال العلامة الشيخ زروق في شرح الحكم ثم اعلم أن صحبة العارفين على قسمين
صحبة إرادة وصحبة تبرك فصحبة الإرادة هي التي يشترط فيها الشهود والصدق ونحوه التي
[illegible] أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدي الغاسل وصحبة التبرك هي التي
يكون القصد بها الدخول مع القوم والتزي بزيهم والانخراط في سلك عددهم [illegible] إلا
[illegible] ولعله [illegible] الطائفة تعود عليه
[illegible] من استند إليهم ولا يشقى جليسهم وفي كلب أهل الكهف أقوى شاهد لذلك وقد
قيل إن لله عبادا إذا نظروا [illegible] أكسبوه سعادة وقال سيدي أبو العباس المرسي
رضي الله عنه الولي إذا أراد أغنى وقال والله ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه
نظرة وقد أغنيته وفيه قال شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنهما أبو
العباس هو الرجل الكامل والله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه فلا يمسي عليه
المساء إلا وصله إلى الله قال الشيخ جسوس في شرح تصوف المرشد والوجه الأول وهو
صحبة الإرادة مانع من تعدادهم والاستكثار منهم في الحياة فإن مقتضاها قصر الوجهة
على الشيخ وعدم الالتفات إلى غيره وإن جاء [illegible] مثل هذا قيل كثير الأصحاب [illegible]

بالملاعب والمياه المختلفة تغير المزاج وتكدره وأعني ذلك أيضا بالآسي [illegible] البنية
إذا اختلفت عليها علاجات الأطباء فإنها تؤول بها جميعا غالبا إلى العطب
وتتعذب به فإنما يكون بعد الثبات [illegible] أن أذن له شيخه في ذلك فلا [illegible] عليه
فيه بأسا وأما الوجه الثاني وهو صحبة التبرك فغير مانع من تعددهم والاستكثار
منهم في الحياة وبعد الموت ثم قال [illegible] رحمة الله [illegible] لكنها
وقل رب زدني علما [illegible] فقال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك
ومن أحسن قول الإمام ولي الله تعالى سيدي ابن الحاج الناظم

• زيارة أرباب التقى مرهم يبري • ومفتاح أبواب الهداية والخير •
[illegible] وكم من معين فرج [illegible] • فجلجلة الفتح المبين من البري •
• وكم من أسير [illegible] • حبيس يعني بالبلاء وما يدري •

وقال ابن باديس في سينيته

• ولا تسمعن ما قاله النفع فيهم • على من يكن جيلا فذاك من الكلس •
• فإن شهود النفع يبقى مقاله • ولا [illegible] على العكس •

ثم قال الناظم رحمه الله

• وفه إذا وعدت بالوفاء • شيمة فضل ما به خفاء •
• والخلف في الوعد بالخير للوعد • فإنه شيمة كل وغد •
• وفقد أنه في الخلف المضروب • أكاذيب ووعد مع عرقوب •

يقول فه هو فعل أمر من الوفاء وهو من الأفعال التي تبقى بالإعلال على حرف
واحد هو عين الكلمة ويجب وصله خطا بهاء السكت كما يجب الوقف عليه
بها وفي الخلاصة وقف بها السكت على الفعل المعل [illegible] وليس حتما في سوى [illegible]
يقال وفيت بالعهد والوعد أي به وفاء والفاعل وفي والجمع أوفياء مثل
صديق وأصدقاء وأوفيت به إيفاء قاله في المصباح وفي المختار الوفاء ضد الغدر
يقال وفى بعهده وفاء وأوفى بمعنى هـ فيكون يستعمل ثلاثيا ورباعيا وقد جمع بينهما
في قول الشاعر • أما ابن عوف فقد أوفى بذمته • كما وفى بقلاص النجم حاديها
والوعد يستعمل في الخير والشر قال الجوهري يقال وعدته خيرا أو وعدته شرا قال الشاعر
• ألا علل [illegible] كل حي معلل • ولا تعدك الشر والخير مقبل •
فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الإيعاد والوعيد
قال عامر بن الطفيل
• وإني وإن أوعدته أو وعدته • لمخلف إيعادي ومنجز موعدي •

وقوله ميسة فقل اي علامة فالسيمة والسيماء والسيمياء بالكسر والسومة
بالضم العلامة كما في القاموس والخفاء الاستتار يقال خفي الشيء يخفى خفاء
بالفتح والمد استتر او كتم بمعونة الاضداد وبعضهم يجعل حرف الصلة فارقا
فيقول خفي عليه اذا استتر وخفي له اذا ظهر قاله في المصباح والخلف بالضم
الاسم من الاخلاف وهو في المستقبل كالكذب في الماضي او هو ان تعد عدة فلا
تنجزها قاله في القاموس والشيمة الخلق كما تقدم والوعد المذكور وعد مقرب
في العيافة والمعنى انه يجب عليك ايها الاخ في الله ان تفي بعهدك ووعدك
اذا عاهدت او وعدت فان الوفاء علامة على فضل صاحبه واياك والخلف
في الوعد فانه خلق كل دني خسيس كما قرب فانه لا ثناء له وعدم وفايه
بالوعد صارت تضرب به الامثال في ذلك ولاشك ان الوفاء بالعهد من الايمان
وهو من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة يعظم صاحبه في العيون وتصدق
فيه خطرات الظنون ولا خفاء في دلالة الشرع والطبع على مطلوبيته وقد اثنى
الله سبحانه على نبيه سيدنا اسماعيل بقوله انه كان صادق الوعد قال ابن
عباس رضي الله عنهما انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة كاملة
وناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء
الله من الصابرين وقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم وقال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال تعالى يا ايها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا اؤتمن خان وقال صلى الله عليه وسلم اضمنوا لي من انفسكم ستا
اضمن لكم الجنة اصدقوا اذا حدثتم واوفوا اذا عاهدتم الحديث وقالت الحكماء
الوفاء افضل شمائل الحر واوضح دلائل المجد واقوى اسباب الاخلاص في المودة
واحق الافعال بالشكر والحمد وقالوا الوفاء اخ حميد الخلال ومنتهى غاية الكمال.
تمس الحاجة اليه وتجب المحافظة عليه ولقد صار رسمه دارسا وعلمه لا ينفع
لهذا الابس ومنفية فلا تجد فيها مستانسا وقالوا من عامل الناس بلسان
صادق وعاملهم بحسن الخلائق والزم نفسه رعي العهود والمواثق فقد رضي
المخلوق والخالق ويقال بالوفاء تملك القلوب وتستدام الالفة بين المحب والمحبوب
وقالوا من تحلى بالوفاء وتخلى عن الجفاء فذلك من اخوان الصفاء وقالوا اذا
ترك الوفاء نزل البلاء وقالوا من اودع الوفاء صدره والى جاه فقد ملك اعنة فرح

• اذا انت عقدت المودة ما فيها • وفي ثنيها وصل الصديق بما فيها •
• ووفيت بالعهد الذي خانه الورى • ولم ار غدرا على العهد ما فيه •
• فقد حزت اسباب المكارم كلها • وجددت للعليا رسوما عوافيا •

ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه والوعد سحابة والانجاز مطرها وقالوا
لا خير في وعد مبسر وانجاز مع بروك وقالوا اخلاف الوعد من اخلاق الوغد

• اذا اجتمع الاخلاف والبخل ثم ها • ونعم من البخل المواعد والمطل •
• ولا خير في وعد اذا كان كاذبا • ولا خير في قول اذا لم يكن فعل •

وقال سيدنا علي رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف تعجيله وانشدوا

• اذا قلت في شيء نعم فاتمه • فان نعم دين على الحر واجب •
• والا فقل لا تسترح وترح بها • لئلا يقول الناس انك كاذب •
• ولا تنس ما كلف الله نفسك كلها • ولا تغرد بيد الاسماء تغنمه •
• فلا تعد عدة الا وفيت بها • واحذر خلاف مقال للذي تعد •

ومن المثل انجز حر ما وعد اي احفظ ويقال نجز الشيء اذا حضر ولعله
وان كان خبرا فمعناه الامر اي ليجز حر ما وعد وهذا المثل قاله الحرث بن عمرو اكل
المرار وهو جد امرئ القيس لصخر بن نهشل بن دارم وذلك ان الحرث قال لصخر هل
ادلك على غنيمة باردة على ان لي خمسها قال نعم فدله على قوم من اليمن فاغار
عليهم صخر بقومه فظفروا وغنموا فلما انصرفوا على ان يعطوا الحرث الخمس فقال ضمرة
اليربوعي والله لا نعطيه من غنيمتنا شيئا وكان لهم طريق على ثنية متضايقة
فلما نزلوا منها صار الجيش حتى مر على راسها ومنعهم الجواز او يعطوا الحرث
الخمس فحمل ضمرة اليربوعي في الثنية فحمل عليه صخر فقتله فلما رأى الجيش
ذلك اعطوه الخمس وفي ذلك يقول نهشل

• وفينا منعنا الجيش ان يتأوبا • على سمعات والجياد بنا تجري •
• حبسناهم حتى اقر بحكمنا • وادى انفال الخميس الى صخر •

فقال الحرث انجز حر ما وعد قال الشهاب في شرح المقامات ولاهل الادب
في انجاز الوعد والتاخير مذاهب فاكثرهم على انجاز الوعد وقد ذم بعض الحي بيع
فيما هو مستقبل وبيع في اجل منك بالعاجل وقال واذا اخلفت ما نادرة متروكة
ودرة موعودة فحمل الى النقد وقال في بيت

• اني لارجو منك خيرا عاجلا • والنفس مولعة بحب العاجل •
• ولا شك ان الخير منك سجية • ولكن جبلي الخير عن العجل •

وبعضهم يرى انه يكون بين الوعد والانجاز مهلة ومنه ان المنصور بن زياد كلم
يحيى بن خالد في حاجة رجل فقال له عده عن قضائها فقال منصور وما يمنعك
الى العدة مع القدرة فقال هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ان الحاجة
اذا لم يتقدمها وعد ينتظر به نجحها لم تتحدث النفس بسرور ورها ان الوعد طعم
والانجاز طعام وليس من فاجاه الطعام كمن وجد رائحته وتلمظ في طعمه فدع
الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها عند المصطنع حسن موقع ولطف محل قال بعض
البلغاء في الوعد يكفي تلاتة … ان تكيني العطاء قبل الوعد قليل وجليله حقير
قال يحيى بن خالد … ورا بموعدها … فكمد ابن …

احسنت في تاخيري لها منة • لو لم تؤخر لم تكن كاملة
وكيف لا يحسن تاخيرها • بعد يقيني انها حاصلة
وجنة النحل وان ابدعت بهذه • عاجلة النحل لا عاجلة

واما عرقوب الذي ذكرناه في الامثال نضرب به في اخلاف الوعد فقد اختلف فيه
فقيل هو عرقوب رجل من العمالقة يضرب به المثل في اخلاف الوعد وقصته انه اتاه
اخ له يساله شيئا فقال له اذا اطلعت هذه النخلة فلك طلعها فلما اطلعت اتاه
فقال له دعها حتى تصير بلحا فلما ابلحت اتاه فقال له دعها حتى تصير زهوا فلما
ازهت قال له حتى تصير رطبا فلما ارطبت قال له دعها حتى تصير تمرا فلما
اتمرت عمد اليها عرقوب من الليل فجدها ولم يعطه شيئا وقيل هو عرقوب بن ما
سعد بن زيد مناة بن تميم ويقول بنو سعد هو منا وقيل هو من الاوس والخزرج

قال علقمة وقد وعدتك موعدا لو وفيت به • كموعد عرقوب اخاه بيثرب
وقال الاشجعي وعدت وكان الخلف منك سجية • مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
في اخي • واكذب من عرقوب يثرب لهجة • وابين شؤما في الحوائج من زحل

قال التبريزي الناس يروون يثرب بهذا اللفظ بالتاء المثلثة والراء
المكسورة وانما هو بالمثناة والراء المفتوحة موضع قرب مدينة النبي صلى الله
عليه وسلم قاله ابن الكلبي اه وقاله ايضا ابو عبيدة ولكنهما نوزعا في ذلك قال ابن
دريد اختلفوا في عرقوب فقيل هو من الاوس فيصح على هذا ان يكون بالمثلثة والمكسورة
وقيل هو من العمالقة فيكون بالمثناة والمفتوحة لان العمالقة كانت من اليمامة
الى وبار ويثرب من ذلك قال وكانت العمالقة ايضا بالمدينة اه وقيل كان عرقوب من
اهل خيبر والصحيح انه من عمالقة الحجاز من بني عبد شمس ابن ثعلبة وهو عرقوب
بن نصر وقيل ابن معبد بن اسد اكذب اهل زمانه وبه يضرب المثل في الكذب والخلف

الوعد

الوعد فيقولون اخلف من عرقوب واكذب من عرقوب قال سيدنا كعب رضي الله عنه

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا • وما مواعيدها الا الاباطيل

وفي المقامة المكية للحريري ولما عزم ما يعني ابا زيد وابنه على الانطلاق وعقدا
للرحلة حبك النطاق قلت للشيخ هل فاضنا عدة نتاعده غير عرقوب او مطل بغيث
حاجة في نفس يعقوب اه تنبيه قال العلامة ابن هشام في شرح بانت سعاد
ومن العجب قول بعضهم ان عرقوبا جبل مظلل بالسحاب وانه لا يمطر ابدا فـ
فاضافة مواعيد عرقوب الى المفعول كانه وعد بالمطر ولم يعط او الى الفاعل
على المجاز كانه وعد الناظر اليه ان يمطر ولم يعرف بذلك اه تتمة
كما ان عرقوبا يضرب به المثل في اخلاف الوعد كذلك السموال يضرب به المثل
في الوفاء وعدم الغدر فيقولون اوفى من السموال قال الوزان

ولا تعد بوعد عرقوب اخا • وعد وفا السموال بالابلعا
شح بادراع امرئ القيس وقد • … غسيل العلقا

والسموال هذا هو ابن غريض ابن عادياء اليهودي صاحب الحصن المعروف
بالابلق الفرد بتيماء المشهور بالوفاء وكان من شعراء الجاهلية المجيدين وله اللامية
المشهورة في الحماسة التي يقول فيها

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه • فكل رداء يرتديه جميل

ونسبه من غسان وقيل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران عليه السلام وامه
هي التي كانت غسانية وكان الابلق الفرد لجده عادياء وكانت العرب تنزل به
فيضيفها وتمتار من حصنه وتقيم هنالك سوقا واما السبب في وفائه المضروب
به المثل فهو ان امرأ القيس بن حجر الكندي الشاعر المشهور كان ابوه قد طرده
لانه انف من قول الشعر والغزل وانتحاله لذلك على عادة الملوك لانهم كانوا
يانفون من ذلك فصار امرؤ القيس يتنقل في احياء العرب ومعه جماعة من
صعاليك العرب وكان ابوه حجر المذكور قد ملك على بني اسد وغطفان
وبقي على ذلك دهرا حتى عدوا عليه فقتلوه في خبر طويل واتصل خبر مقتله
بابنه وهو باليمن فشمر لاخذ ثار ابيه وصار يستنجد باحياء العرب الى ان نزل بعمرو
بن جابر ابن مازن الفزاري يستنجد به لحرب المنذر بن ماء السماء الذي يطلبه لكونه
عدوا لاسلافه فقال له عمرو يا ابن حجر اني اراك في خلل من قومك وانا انفس بك
الا ادلك على رجل لم ار احسن جوارا منه جد له على السموال بتيماء ووصف له
حسبه وحصنه فقال له ومن لي به فقال انا اصحبك ما يوصلك اليه فاصحبه الى …

بما ضيع وكان امرؤ القيس أتى السموأل فامتدحه ليحمله ويعطيه فسار حتى قدم على
السموأل فأنشده أشعارا أبدع فيها وقال يمدح وإني لأعد ابنة امرئ القيس
في فتية ما أخي وإني لا أغرق في مجلس له وبه أخ وكان عنده ما شاء الله ثم طلب أن يكتب
للحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر فبعث فاستودع ابنته وأدراعه
الخمسة وهي الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذيول وكانت لبني
آكل المرار يتوارثونها ملكا عن ملك كذا في شرح المقامات للشريشي
وفي كامل ابن الأثير أنها كانت مائة فلعل الخمسة كانت أفضلها وأشهرها
ومضى إلى قيصر وأقام عنده حتى حمي ثم بعث له بالحلة المسمومة فلما
لبسها تقطع لحمه لأن الطماح الأسدي أفسد عليه أمره ووشى به عند قيصر
وكان سببا في هلاكه فلما بلغ الحارث موته المنذر قصد تيماء ونزل على السموأل
وقيل بعث من قبله الحارث بن ظالم المري أن يستنقذ دروع امرئ القيس
ومالها من السموأل **وقيل** إن الذي فعل ذلك هو الحارث بن أبي شمر الغساني وأنه
طلب السموأل أن يدفع له ما كان لامرئ القيس فدافعه فقال أخذ الدرع ذا لك
لابنته وورثته فجاء في الحصن حتى أخذ ابنا له مقبلا فقال للسموأل إما أن
تعطيني ما لامرئ القيس أو أقتل ابنك وأنت تنظر إليه فقال له والله لا وفيت
لذي حياته وأغدر بعد وفاته أبدا فشأنك بابني فلا بد أن يفعل به ما شئت فذبحه
وهو ينظر إليه ولم يبال بالغدر فلما جاء الموسم ذهب بالدروع فدفعها إلى الورثة
وقال
وفيت بأدرع الكندي إني • إذا ما خان أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا • تهدم يا سموأل ما بنيت
وقالوا إنه كنز رغيب • ولا والله أغدر ما حييت
بنى لي عاديا حصنا حصينا • وبئرا كلما شئت استقيت

قال في الأغاني وفي السموأل يقول الأعشى يخاطب شريح بن السموأل بن عاديا
كن كالسموأل إذ طاف الهمام به • في جحفل كسواد الليل جرار
بالأبلق الفرد من تيماء منزله • حصن حصين وجار غير غدار
إذ سامه خطتي خسف فقال له • قل ما بدا لك إني مانع جار
فقال ثكل وغدر أنت بينهما • فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له • اقتل أسيرك إني مانع جار
فقال تقدمة إذ رام يقتله • أشرف سموأل فانظر في الدم الجار
أأقتل ابنك صبرا أو تجيء بها • طوعا فأنكر هذا أي إنكار

فشك أوداجه والصدر في مضض • عليه منطويا كاللذع بالنار
واختار أدراعه من أن يسب بها • ولم يكن عهده فيها بختار
وقال لا أشتري عارا بمكرمة • فاختار مكرمة الدنيا على العار
والصبر منه قديما شيمة خلق • وزنده في الوفاء الثاقب الوار

قلت وسبب قول الأعشى لهذه الأبيات أنه كان قد هجا شخصا يقال له ابن أمي من كلب بن وبرة
فاتفق أن الكلبي أغار على قوم فيهم الأعشى فأسر الأعشى في ناس منهم وهو لا يعرفه
في كل بيته ثم نزل بشريح بن السموأل فأحسن إليه ومر به جماعة الأسرى فناداه الأعشى من بينهم ومدحه
بهذه الأبيات فلما سمع شريح شعر الأعشى أتى الكلبي وقال له هب لي هذا الأسير
المضرور فقال هو لك فأطلقه وقال له أقم حتى أحبوك فقال له الأعشى إن من تمام صنعك
إلي أن تعطيني ناقة ناجية وتخليني الساعة فأعطاه إياها فركبها ومضى من ساعته
وبلغ الكلبي أن الذي وهبه لشريح هو الأعشى فأرسل إليه أن ابعث إلي بالأسير الذي وهبت لك
حتى أحبوه فقال قد انطلق فذهب فأرسل الكلبي في أثره فلم يلحقه **ومما** ضرب
المثل بالسموأل في الوفاء الحريري في المقامة الثالثة والعشرين حيث قال الحارث بن
همام فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت له كما وفى السموأل **ومما يناسب**
ذكره هنا قصة الكلابي وعبد الحميد أما الكلابي فقد حكى الكندي في كتابه أخبار الأمم أنه
لما ولي المطلب بن عبد الله إمارة مصر من قبل المأمون خرج أهل مصر مع ابن ... بن نافع
الكلابي فطلبه المطلب فهرب ولم يقدر عليه واتهم به جماعة من أعيان مصر وكان هشام بن هشلع
ما حبس لكنه منهم وكان يعرف المكان الذي اختفى فيه ابن الكلابي وكانت ودائعه عنده فسعي
به إلى المطلب فأحضره وقال له ادفع إلي ما أودعه عندك ابن الكلابي وإلا أخذت الذي فيه عيناك
فأنكر فأمر به فضرب بالسياط ثم ... وجعل لا يزداد إلا إنكارا فلما طال على المطلب جرده ونتف
عليه التلف ثم لما سكن ما كان عند ابن الكلابي بعث إليه هشام جماله مع بعض التجار فقال
في ذاك معتبر يا عتيب • لعل لعداوي وزاد وفاؤه • هشام في الكلابي وفاء السموأل
وقاه المنايا إذ أتته بنفسه • وقد بت في علاقها متمهل

وأما عبد الحميد الكاتب فذكر غير واحد أنه قال له مروان حين أيقن بزوال ملكه قد احتجت
أن تكون مع عدوي وتظهر الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك وحاجتهم إلى كتابتك يدعوهم إلى
حسن الظن بك فإن استطعت أن تنفعني في حياتي وإلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي
فقال عبد الحميد إن الذي أشرت به علي أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي وما عندي إلا الصبر حتى يفتح
الله أو أقتل معك وأنشد
أسر وفاء ثم أظهر غدرة • فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره

ولم يبذل حتى قتل والواجون المشهورون بالوفاء كثير فلا نطيل بهم في كتب الأدب
ولما كان الطمع من أخس الأشياء بالنفس والحر هانه الناظم على ذلك فقال

• ولا تكن كأشعب في المطامع • لأرذل الأخلاق حقا جامع •

بفتح لا ناهية وتكن مضارع كان الناقصة كما تقدم وأشعب تقدم الكلام عليه
والمطامع جمع مطمع يقال طمع فيه وطمع به يطمع طمعا وطماعا وطماعية
حرص عليه فهو طامع وطمع ككتف ورجل والجمع طمعون وطمعاء وطماعى
والطماع وطمّع كصرد ومدركين والطمعة او نحو فيه قاله في القاموس والأرذل
والرذل والرذال والرذيل الدون الخسيس والرذي من كل شيء كما فيه أيضا
والمعنى لا تكن أيها الأخ في الله طماعا كأشعب الحمق ويضرب به المثل في الطمع
فإن الطمع جامع للأخلاق الدنية كلها فإنه كما تقدم من أخس الأشياء بالدين
والنفس وربما أهلك صاحبه كما أن التعفف والقناعة والورع من أصلح
الأشياء للقلب والدين وأبقى لماء الوجه وأدوم لبقاء الحرية والمروءة قال الله
تعالى في مدح المهاجرين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ومن الحديث
ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس والطمع من أعظم آفات النفوس
وغير بيعها الغلاء حقه في عبودية بينها بل هو أصل جميع الآفات لأنه يحمل تعلق بالناس
والتذلل إليهم واعتماده عليهم وعبوديته لهم وفي ذلك من المذلة ما لا يخفى عليه
ولا يحل للمؤمن أن يذل نفسه وهو أيضا مضاد لحقيقة الإيمان الذي يقتضي وجود
العز والعزة التي اتصف بها المؤمنون إنما تكون بين مع همهم إلى مولاهم وطمأنينة
قلوبهم إليه وتعففهم بمدون من سواه فبهذا هي العزة التي منح الله سبحانه عباده المؤمنين
قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وكما أن العز من صفات المؤمنين
كذلك المذلة من أخلاق الكافرين والمنافقين قال الله تعالى إن الذين يحادون
الله ورسوله أولئك في الأذلين ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم
والطمع فإنه هو الفقر الحاضر ذكره في الجامع قال العز يعني والطمع فيما في أيدي
الناس انقطاع عن الله تعالى ومن انقطع عن الله تعالى فهو المخذول الخائب
فإنه عبد بطنه وفرجه وشهوته وقال بعض العارفين الطمع طمعان
طمع يوجب الذل لله وهو إظهار الافتقار والعجز والانكسار وهو غاية الشرف
والعز والسعادة الأبدية وطمع يوجب الذل في الدارين وهو المنهي عنه وهو رأس
حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة والخطيئة ذل وخزي فيهما وقال
الإمام الشافعي رضي الله عنه من غلبت عليه شهوة الدنيا لزمته العبودية لأهلها

ومن رضي بالقنوع زال عنه الخضوع ومات قيل الحر عبد إن طمع والعبد حر إن قنع
وقال سيدنا علي رضي الله عنه في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة إنها القناعة
وقيل في قوله تعالى والذي يميتني ثم يحيين أي يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة
وقال الجنيد في قوله تعالى لأعذبنه عذابا شديدا أي لألبسنه ثوب الطمع
ولأنزعن منه ثوب القناعة ويروى أنه لما مر موسى عليه السلام بالجدار وأقامه
الخضر قال له موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا أقبل طائران فجلسا الذي بيد الخضر
قبالة فوقف يشهد أجمار الجانب الذي يلي الخضر حملا مشربا والجانب الذي يلي
موسى حملا هلي فلما سأله موسى عن ذلك فقال لأنك طمعت وأنا قنعت
روي عن سيدنا علي رضي الله عنه قال من الخصي هي فإنها ذهبت العقول إلى حال
من الطمع وقال أيضا أفلح من حفظ من الطمع والغضب والهوى نفسه
وقال سيدنا علي رضي الله عنه أكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع وقال
أبو بكر الوراق لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور ولو قيل له ما حرفتك
لقال اكتساب الذل ولو قيل ما غايتك لقال الحرمان وقال بشر لو لم يكن في
القنوع إلا التمتع بالعز لكفى وقال بعض الحكماء أحسن إلى من شئت تكن
أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج إلى من شئت تكن أسيره وقال
الوراق من أشعر في نفسه محبة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع
في شيء ذل وبذله هلك وفي معنى ذلك قيل شعر

• أتطمع في ليلى وتعطي انفسا • تقطع أعناق الرجال المطامع •

ومن الحكم ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع فلا تنج من بذر الطمع في
قلبك فتخرج منه شجرة الذل وتتشعب أغصانها وفي معناه قال سيدي ابن عباد رضي
الله عنه في الطامع لا محالة فاسد الدين مفلس من أنوار اليقين فلا في التوبيخ
ونفسه وجود الورع من نفسك الغنى عما تفقده ما سواه وتكفي من الطمع في الخلق
فلو تكفي الطامع لم يسبقه أحمى ملكهم إلا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقد
فتح علي بن أبي طالب رضي الله عنه البصرة فدخل جامعها فوجد القصاص يقصون
فأقامهم حتى جاء إلى الحسن البصري فقال له يا فتى إني سائلك عن أمر فإن
أجبتني عنه أبقيتك وإلا أقمتك فقال الحسن سل عما شئت فقال ما ملاك الدين
قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فمثلك من يتكلم على الناس
قال وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول كنت في ابتداء أمري بالإسكندرية جئت إلى بعض
من أعرف فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ثم قلت في نفسي لعله لا يأخذ مني بعض

بها تنفي السلامة في الدنيا بتنزه الطمع في الخلق فيها قال وسمعته يقول صاحب
الطمع لا يشبع ابدا الا ترى ان حروفه كلها مجوفة الطاء والميم والعين ثم قال
يعز هذا فعليك يا بني بالتنزه عن الخلق والانقطاع لهم فقد سبقت قسمته وجودك
وتنفع ثمرته كثمرتك واسمع ما ورد لبعض المشائخ ابيات في جلاء ما قدر لا يفوت
ان يشغله فلا بد ان يشغله فضله ويكفيك بهن ولا تاخذه بعدل هو لم تطعمه

تبا لمن لمثله يخضع ... وفي سوى الله غدا يطمع
تبا له فانه فقد عقله ... فلا يرى الحق ولا يسمع
فاستغن بالرحمن عن خلقه ... واقنع فخير الخلق من يقنع
واستغن بالله فان غناه ... على ممر الدهر لا يقطع
اياك ان تسال ما عندهم ... فبعد ان الغني لا ينفع
وحاذر الشكوى على خلقه ... فالخلق لا يعطي ولا يمنع
وليس في وقتك ما تتقي ... والله عنك البلاء يدفع
فثق به واحسن الظن ... فعنده الخير اخي اجمع

قال في الحكم ما قادك شيء مثل الوهم قال ابن عباد رضي الله عنه الوهم امر
عدمي وهو ضد الحقيقة الوجودية والنفس الناقصة انقيادها الى الامور الوهمية
الباطلة اشد من انقيادها الى الحقائق الثابتة لوجود المناسبة بينهما والطمع
في الناس انقياد الى الاوهام الباطلة لان الطمع تصديق الظن الكاذب والطمع فيهم
طمع في غير مطمع وارباب الحقائق بمعزل عن هذا فلا تتعلق همتهم الا بالله
ولا يتوكلون الا عليه ولا يثقون الا به قد سقط اعتبار الاوهام والخيالات التي هي
متعلقة بالاغيار عنهم فلا يعرج ميزان عندهم الطمع فلا تمحو اجنحة القناعة والورع
فكانت لهم الحياة الطيبة والعيشة الراضية وفي الحكم ايضا انت حر مما انت
منه ايس وعبد لما انت له طامع قال ابن عباد الطمع في الشيء دليل على الحب له
وميل اليه لا محالة الى نيله وذلك عبودية له كما ان الياس من الشيء دليل على
فراغ القلب منه واستغنائه عنه وذلك حرية منه فالطامع عبد واليائس حر
ولهذا قيل

العبد حر ما قنع ... والحر عبد ما طمع
فاقنع ولا تطمع فما ... شيء يشين سوى الطمع

ومما قيل لولا الاطماع الكاذبة لما استعبد الاحرار بكل شيء لا لخلق له وقيل ان
العقلاء يحبسون في قفص حب بحيث لا يبتغون فرار مطارحه ولا نسوا نعمة التي
الوصول اليه فهم كالمقيد حرمة معلقة على شبكة فيمنع له الطمع من مطاره فيعلق

بالشبكة

بالشبكة فيذاجه فيصيده صبي يلعب به وقيل ان فتحا الموصلي رضي الله عنه كان قاعدا
فسيل عمن تابع الشهوات كيف هو وكان بقربه صبيان مع احدهما خبز بلا ادام
ومع الاخر خبز مع كامخ فقال الذي ليس معه كامخ لصاحبه اطعمني من الكامخ فقال له
بشرط ان تكون كلبي فقال نعم فجعل في رقبته خيطا وجعل يجره كما يقاد الكلب
فقال فتح للسائل اما انه لو رضي بخبزه لم يطمع في كامخ صاحبه ولم يكن كلبا لصاحبه
ويحكى عن بعضهم انه دخل على تلميذ له فقدم التلميذ اليه خبزا فعلم انه ليس له ادام
فاخذ يتمنى بقلبه ان ليت كان له ادام فقدمه الى استاذه فعلم الاستاذ وقال له تعالى
معي فحمله الى باب السجن وفي الناس يقيم واحد ويقطع يده ويعذب كل واحد
بانواع العذاب فقال الاستاذ للتلميذ تمنى هذا ذل في الذين لم يصبروا على الخبز القفار
وقيل ان رجلا خرج من السجن وفي رجله قيد يسال الناس فقال له انسان اعطني
كسرة فقال لو قنعت بالكسرة لما وضع القيد في رجلك وراى رجل رجلا من الحكماء
ياكل ما تساقط من البقل على راس الماء فقال له لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل
هذا فقال الحكيم وانت لو قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وكان عمر
يتواضع يبل الخبز بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وروى
ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلاة مودع ولا تحدثن بحديث
تعتذر منه غدا واجمع الياس مما في ايدي الناس وروي عن سيدنا عمر رضي الله
عنه قال ان الطمع فقر وان الياس غنى وانه من ييأس مما في ايدي الناس استغنى
عنهم وقيل لحكيم ما مالك فقال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس
مما في ايدي الناس وقال بعض الحكماء وجدت اطول الناس غما الحسود واهنأهم
عيشا القنوع واصبرهم على الاذى الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا
ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قال عبد الله بن سلام لكعب
الاحبار رضي الله عنهما ما يذهب العلم من قلوب العلماء بعد اذ وعوها وعقلوها
قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج لطيفة روي ان رجلا صاد قنبرة
فقالت له ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك فقالت والله لا اسمن
ولا اغني من جوع ولكني اعلمك ثلاث خصال هي خير لك
من اكلي اما الواحدة فاعلمك اياها وانا على يدك والثانية اذا صرت على
الشجرة والثالثة اذا صرت على الجبل فقالت وهي على يده لا تاسفن على ما
فاتك فخلى عنها فلما صارت على الشجرة قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون

ثم طارت وطارت على الجبل فقال لها هات الثالثة فقالت له يا شقي لو ذبحتني
لاخرجت من حوصلتي درتين في كل درة منهما عشرون مثقالا فعض على شفته
وتلهف وقال لها هات الثالثة فقالت انت نسيت الثنتين فكيف اخبرك
بالثالثة الم اقل لك لا تتلهف على ما فاتك ولا تصدق بما لا يكون انا لحمي
ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتين في كل واحدة
عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت قال حجة الاسلام الغزالي وهذا مثال لبيان
طمع الادمي فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون فاقول الطمع
هو التشوف الى ما في يد الغير وتمنيه والباعث عليه امل الشيء وقلة الانفة
فلا يقنع بما اوتي ولا يستنكف مما منع وحسم مادته باليأس والقناعة
وقال ابو عثمان • انت حر ما لم تك الطمعا • وعبد ما تبعت الورعا •
• وكفى بالحر مع حرية • نتن فلا يختار ما فعلا •
• وما كانت الدنيا منالة همه • سبقت المنى واستعبدته المطامع •
اخ • وما قطع الاعناق حتى ابانها • وقد بها الا سيوف المطامع •
اخ • رايت مخيلة فطمعت فيها • ومن الطمع المذلة للرقاب •
واما اشعب المذكور في الشيخ المضروب به المثل فهو رجل من اهل المدينة
المنورة صاحب نوادر مشهور بالطمع واسمه شعيب بن جبير مولى لآل الزبير وقيل لآل
عثمان بن عفان وكنيته ابو العلاء واشتهر باشعب قال الاصمعي قال اشعب نشأت
انا وابو الزناد في حجر عائشة بنت عثمان فلم يزل يعلو واسفل حتى بلغ كل منا الغاية
التي نحن بها وكان من القراء للقرآن حسن الصوت بالقراءة وكان يجيد اصواتا من
الغناء وكان صاحب سند في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو دعيت الى ذراع
لاجبت ولو اهدي الي كراع لقبلت وحكى عن الشيخ البوني ان عبد الرحمن بن ابي
الزناد قال لاشعب انت شيخ مسن فقيه فحدثنا من الحديث قال نعم حدثني عكرمة
عن ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة
قال قلت ما هما قال نسي عكرمة الاولى ونسيت انا الاخرى وحكي انه قيل لعائشة
علام انست من اشعب رشدا فقالت قد اسلمته منذ سنة في البز فسألته بالامس اين
بلغت في الصناعة فقال يا امه قد تعلمت نصف العمل وبقي علي نصفه قلت كيف ذلك
قال تعلمت النشر في سنة وبقي علي تعلم الطي وسمعته اليوم يقول لعبد رجلا وقد ساومه
قوسا بندق فقال بدينار فقال والله لو كنت اذا رميت بها طائرا وقع مشويا بين
رغيفين ما اشتريتها بدينار فلاي رشد يرتجى منه واما طمعه المضروب به المثل

فمنه

فمنه ما روي انه كان قد اتخذ في فلة بابه فقيل له اذا لم اخرج يده من الكوة لعل ان
يجيء انسان فيطرح في يده شيئا من شدة الطمع فجاء بعض من كان يعبث به فسلح في يده
فلم يعد يخرج يده بعد ومنه ما روي ان سالم بن عبد الله سأله عن طمعه فقال قلت لصبيان
مرة هذا سالم قد فتح باب صدقة عمر فانطلقوا يأكلون ثم احضروا لي بها فلما كنت اتى
الاسمي حسما قلت فلا تبعتهم وقال المدائني قيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال ما
رأيت اثنين قط يتساران الا كنت اراهما يأمران لي بشيء وقال له سالم بن عبد الله
ما بلغ من طمعك قال ما ادخل احد يده في كمه الا كنت ظننته يعطيني شيئا وقال له ابن ابي
الزناد ما بلغ من طمعك فقال ما زفت بالمدينة امرأة الا كنت ارجو ان يغلطوا
بها الي وقال المدائني وقف اشعب على امرأة تعمل طبقا من خوص فقال لها كبري به
وزيدي فيه طوقا او طوقين فقالت له ولم اتريد ان تشتري به قال لا ولكن عسى ان يشتري به
انسان فيهدي الي فيه فيكون كبيرا وقيل له يوما ان سالم بن عبد الله قد مضى الى بستان
فلان ومعه طعام كثير فبادر حتى لحقه فاغلق الغلام الباب دونه فتسور عليه فصاح به
سالم بناتي ويلك بناتي فناداه اشعب لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم
ما نريد فامر بالطعام فاخرج اليه منه ما كفاه وقال اشعب وهبت لي غلاما فجئت الى امي
بحمار موقور من كل شيء والغلام فقالت امي ما هذا الغلام فاشفقت عليها ان اقول لها
وهب لي فتموت فرحا فقلت وهب لي غين قالت وما غين قلت لام قالت وما لام قلت
الف قالت وما الف قلت ميم قالت وما ميم قلت وهب لي غلام فغشي عليها فلو لم
اقطع الحروف لماتت وكان يقول ما احسست جاري يطبخ قدرا الا مسحت
المائدة وانتظر ان تحمل الي قدره وروي انه قيل له ما بلغ من طمعك فقال للسائل
هات فانك ما سألتني عما بلغ اليه طمعي الا وقد خبأت لي شيئا تعطينيه وقيل
له هل رأيت اطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا عند ديراني
فتلاحينا في امر فقلت الكاذب منا ابن هذا الراهب فبنى [illegible]
وقال ايكما الكاذب ثم قال اشعب ودعوا هذا امرأة اطمع مني ومن الراهب قيل له
وكيف ذلك قال قالت لي ما خطر على قلبك من طمع يكون في شيء يكون بين الشك
واليقين الا وانتفعه ودعوا هذا شاتي اطمع من الجميع قيل وكيف ذلك قال صعدت
على سطح فنظرت الى قوس قزح فظننته حبل قت فاهوت اليه فسقطت فاندق عنقها
وقد اشار ابن الحجاج الى طمع شاة اشعب وضرب بها المثل في قصيدة تجمعها زوجته
وقد سقطت من سطح فماتت
• عيال الله عنها التفاوت يوم وعنت • اجل فقيدة التي ابي مغيب •

ولو انها اعتلت لكان مصابها * اخف على قلب الفتى من المعتب
ولكنها في الارض اجفى مجدلا * على قدر غرمول الحمار المشعب
فكنته ابي او الظنون كواذبا * اذا اخبرت عما على ملء المغيب
واهوت اليه ما بفلاع وعونه * ثمانون باعا ما علوه مصوب
فصارت حديثا شاع بين معدما * يخففه علما وبين مكذب
بني تا الحيج المرتي البيظا عتيقها * وما ينتقل الى المطامع يعطب
واعظم بها هاذه الكاس ربعها * وريب الى التكليب شاة اشعب

وعن النبي عن عمه قال تكلمت امي اذا اشعب منه الى الابع بباحج وقالت له لا يزد عيني احد اما كثير الجماع فقال له اشعب انتم انى لعلعف ولا اركب لتكبا فيهما للكلف ايعم **وعن** بعض المدنيين قال كانت بالمدينة عجوز شديدة العين لا تنظر الى شيء تستحسنه الا عانته فدخلت على اشعب وهو في الموت وهو يوصي بناته فجاءته فقال غطى وجهه بكمه وقال لها يا فلانة بالله ان كنت استحسنت شيئا مما انا فيه فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تهلكيني فغضبت المرأة وقالت سخنت عينك في اي شيء انت مما يستحسن انت في اخر رمق فقال قد علمت ولكن لئلا تكوني قد استحسنت خفة الموت وسهولة النزع فيشتد ما انا فيه وخرجت من عنده وهي تشتمه وضحك كل من كان حوله من كلامه ثم مات رحمه الله وكانت وفاته في خلافة المهدي والى ذلك يشير ومن كلمة يقول ابن باشق

وما بلوغ الاماني في مواعدها * الا كاشعب في جدوا عدعي فوب
وقد تخالف مكتوب الفضل به * فيمليه بفطاع عيني مكتوب
اخي، ووعدتني وعد الكنف هاديا * فقلت ما طمع اشعب في هب
فاذا اجتمعت انا وانت بمجلس * قالوا مسيلمة وهذا اشعب
ابن حجاج فديت من يعيش من كلمة * لقيته والحلم لا يغضب
فقلت يا علي خرب المصطفى * فقال لي نفسك يا اشعب

ومن المقامة السابعة والعشرين جلا لك كاشعب فتشعب وتشعب **تتمة**
مما يضرب به المثل في الطمع ابن طالب رجل من بني تميم يقال له مجمس كمجعي يقال الطمع من مجمس قال الميداني كان سيرا عن ابن ابي سلمة في العيش وهو بينه يحكي لعق ته بها ذا العكيه سال اللامي انه بها ذا العكيه سال النعيم **ومما** يضرب به المثل ايضا في الطمع رجل يقال له فهي لقي بكسر القاف واللام وفتح اللام المشددة بحرها الالف وهو رجل من العرب كان لا يتخلف عن طعام احد ولا يترك موضع طمع الا قصد اليه

وان ملاعب كمن يعا يسلكه خصومته نهى ذالك الذي بين وما يحي به في الرواية الطمع مما في لي ها كذا ذي وه في تعسي هاذا المثل **ومن حبالة** الحيوان قال الميداني انه اي الفيل لكل ايم مغيبي الحزم حديث البطن سي بع الاختلاف لا يبي ت الا من فاعلى وجه الماء على جانب كطي ان الحد الا يهوي بلحدى عينيه الى فم الماء كمعا ولي مع الاخرى الى الهواء حذرا فان ابصر في الماء ما يستقل بحمله من السمك او غيره له انقض عليه كالسهم الذي سل فاخرجه من فم الماء وان ابصر في الهواء جارحا منه في الارض ومن العجائب بنت الحصن كما حذر الخالق لي ان ر اخيها تدلي وان رما شيء انزل فقال حمزي وانا اخرك انه خليق ان يكون هاذا الذي جعل تشبه بهاذا الفليس وتسمى باسمه قال الشاعر

يا من جعلني وملا * نسيت اهلا وسهلا
ومات مني حبا لما * رايت مالي فلا
اني الكنك نفيكم * بما بعلت الفتى لي

اللهم اقطع من قلوبنا علايق التشوف الى غيرك واجعل همنا متعلقة بك وتوكلنا عليك واغننا بك عما سواك بجاه حبيبك ومصطفاك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وءاله قال الناظم رحمه الله

وخ اخا العقل بعد الجار * وداره للبيب ما يحذار
وان يخ عليك جار فاحتمل * ان كنت ذاهبي والا فانتقل

فقوله خ هو فعل امر من قلع بكامن يقرع به فيا ما فهو قلع وقوام واخا منادى على حذف حرف النداء واخا العقل صاحبه والجار المجاور تقول جاوره مجاورة وجوارا بكسر الجيم وضمها والكسر افصح وتجاوروا اجتوروا بمعنى قال به المختار وداراه من المداراة وهي الملاينة والرفق **قال** الشيء بيني واصلها الخداع تقول العرب دريت الصيد اذا ريته دريا وداريته اذا اريد مداراة والدريئة بعير يقعد عنده الصايد يستتر به فيجيء الصيد فيانس بالبعير فيرميه مافي ب وكان الحسن يبذل المداراة تستجلب مودة القلوب فتخدعهم عن عقولهم واللبيب العاقل والجور الظلم والميل عن الحق والاحتمال العفو والاغضاء يقال احتملت ما كان من فلان بمعنى عفوت عنه واغضيت ولم اواخذه به والانتقال التحول يقال انتقل من موضع لاخر تحول والاسم النقلة ونقلته بالتشديد مبالغة وتكثير كمثل المصباح **والمعنى** خ يا صاحب العقل بعد جارك وحوبا ولا ينه ولا كلمه وارفق به فان اللبيب العاقل هو الذي يعامل جاره بل وجميع الناس بالملاطفة والرفق وان ظلمك جارك فاحتمل ظلمه وقابله بالعفو والاغضاء ان كنت ذاهبي والا فانتقل من جواره الى موضع اخر

فان ارض الله تعالى واسعة **واعلم** انه ورد في النهي عن اذى الجار ايات واخبار كما
ورد الوعيد في اذايته وعظم حقه وصيانته قال الله تعالى واعبدوا الله ولا
تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار
ذي القربى والجار الجنب **قال** ابن عباس رضي الله عنهما الجار ذي القربى الذي
بينك وبينه قرابة والجار الجنب هو الجار الاجنبي منك الذي لا قرابة بينك وبينه
وقيل المراد بالجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي بعد جواره
وقيل القريب المسلم والجنب الذمي **وفي** الصحيحين عن ابن عمر رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت
انه سيورثه **وقال** صلى الله عليه وسلم حرمة الجار على الجار كحرمة امه **وقال**
صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره والمراد بالاكرام
الاحسان اليه كما يدل عليه رواية مسلم فليحسن الى جاره اي بالبشر وطلاقة
الوجه وايصال المنافع ودرء المضار **قال** العلماء ولا شك انه يحصل ائتلاف القلوب
وانتفاء الكلفة وجلب المصالح ودرء المفاسد وقد كانوا في الجاهلية يبالغون باعانة
وحفظ حقه حتى نشا من الوصية بالجار انه ما رغب في الاسلام وزينه في القلوب فحملوا في
دين الله ابراجا فلا ننظر مع شمل الايمان والتقى واقاموا الدين واحكموا قواعده
وابرموا معاقده وسدوا ثلمه ونفوا ابتغه قاله المناوي وغيره **قال** ابو حازم الذي ني
كانت الجاهلية ابر بالجار منكم لا يقول قائلهم

ناري ونار الجار واحدة ° واليه قبلي تنزل القدر
ما ضر جاري اذ اجاوره ° ان لا يكون لبابه ستر
اعمى اذا ما جارتي برزت ° حتى يواري جارتي الخدر

ومن وصيته صلى الله عليه وسلم لابي ذر رضي الله عنه قوله له فيحسن واحسن
جوار من جاورك تكن مسلما **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاصي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ويقال لهم
ادخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به **و**ناكح يده **و**ناكح البهيمة **و**ناكح
المراة في دبرها **و**جامع المراة وابنتها **و**المؤذي جاره **وعن** عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسلم عبد حتى يسلم الناس
من يده ولسانه ولا يؤمن عبد حتى يامن جاره بوائقه فقلنا يا رسول الله وما
بوائقه قال غشه وظلمه **وقال** صلى الله عليه وسلم اول خصمين يوم القيامة جاران
وقال عليه الصلاة والسلام اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته **و**قال صلى الله

عليه



عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يؤذ جاره **قال** في مكاشفة القلوب
واعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما
يستحقه كل مسلم وزيادة اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق
واحد وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق فالجار الذي له ثلاثة حقوق الجار
المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار
المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر
فانظر كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار **وجملة** حق الجار ان يبداه
بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في المرض ويعزيه
في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنيه في الفرح ويظهر الشركة في السرور معه
ويصفح عن زلاته ولا يتطلع من السطح الى عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع
على جداره ولا في صب الماء في ميزابه ولا في مطرح التراب في فنائه ولا يضيق
طرقه الى الدار ولا يتبعه النظر فيما يحمله الى داره ويستر ما ينكشف له من
عوراته وينعشه من صرعته اذا نابته نائبة ولا يغفل عن ملاحظة داره
عند غيبته ولا يسمع عليه كلاما ويغض بصره عن حرمته ولا يديم النظر الى
خادمته ويتلطف بولده في كلمته ويرشده الى ما يجهله من امر دينه ودنياه
هذا الى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين وقد قال صلى الله عليه وسلم
اتدرون ما حق الجار ان استعان بك اعنته وان استنصرك نصرته وان استقرضك
اقرضته وان افتقر عدت عليه وان مرض عدته وان مات تبعت جنازته
وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء
فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا تؤذه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان لم تفعل
فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك
الا ان تغرف له منها ثم قال اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق
الجار الا من رحمه الله هكذا رواه عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي
صلى الله عليه وسلم ولابي عثمان سعيد التجيبي

للجار حق فاعتمد بره ° واحمل اذا المغضبات منه اتى
فالله قد وصى به فاعتني ° ذلك البلاغ ولا تكن ذاهيا

قال القسطلاني ويحصل امتثال الوصية بالجار بايصال ضروب الاحسان اليه
بحسب الطاقة كالهدية والسلام وطلاقة الوجه عند لقائه وتفقد حاله ومعاونته
فيما يحتاج اليه وكف اسباب الاذى عنه على اختلاف انواعه حسية كانت او معنوية

ه تنبيهات الأول قال في الفتوحات الوهبية للشيخ [illegible] قال الحسن ليس حسن
الجوار كف الأذى ولكن حسن الجوار احتمال الأذى وقال بعضهم حسن الجوار في
أربعة أشياء أن يواسيه بما عنده وأن لا يطمع فيما لجاره وأن يمنع أذاه عنه
وأن يصبر على أذايته ه وقال الغزالي ليس حق الجوار كف الأذى فقط بل احتمال
الأذى أيضا فإن الجار إذا كف أذاه فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال
الأذى بل لا بد من الرفق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن الجار الفقير يتعلق
بجاره الغني يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه
دوني ه الثاني اختلف في حد الجوار فجاء عن علي رضي الله عنه من سمع
النداء فهو جار وعن عائشة رضي الله عنها حد الجوار أربعون دارا من كل
جانب ورواه الطبراني عن كعب بن مالك مرفوعا ألا إن أربعين دارا جار وروى
الزهري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يشكو جاره فأمر النبي صلى
الله عليه وسلم أن ينادى على باب المسجد ألا إن أربعين دارا جار [illegible]
[illegible] بعض الجوار كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله
إن لي جارين فإلى أيهما أهدي قال إلى أقربهما منك بابا قال العلماء والحكمة في
ذلك أن الأقرب بابا يرى ما يدخل بيت جاره من هدية وغيرها فيتشوف لها
بخلاف الأبعد ولأنه أسرع إجابة لما يقع لجاره من المهمات ولا سيما في أوقات الغفلة
وقولنا وإن يؤذك جار فاحتمل في الصحيح روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه جاءه رجل
يشكو إليه جاره فقال له صلى الله عليه وسلم كف أذاك عنه واصبر على أذاه وكفى
بالموت مفرقا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يحب الرجل له الجار
السوء يؤذيه فيصبر على أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله أو يموت رواه ابن عساكر
عن أبي ذر وروي أن رجلا جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال له إن لي جارا
يؤذيني ويشتمني ويضيق علي فقال اذهب فإن هو عصى الله فيك فأطع الله فيه
وروي أنه كان لمالك بن دينار جار يهودي فحول مستحمه إلى جدار البيت الذي فيه
مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت
كل يوم وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره
على هذه المشقة فقال له يا مالك آذيتك كثيرا وأنت صابر ولم تخبرني فقال له
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه
سيورثه فندم اليهودي وأسلم وحسن إسلامه وقوله ولا تنتقل إلا إن تكن ذا
صبر على ضر الجار فمعناه إذا لا تنتقل وتحول عنه لتسلم من أذيته وتناسى قبيحه ومن له

جار

فأرض الله واسعة وقد قال الكاتبي

تلقى بكل بلاد إن حللت بها … أهلا بأهل وجيرانا بجيران

ولكن من أمثالهم القديمة الجار قبل الدار وفي معناه قال [illegible]

لتغن بالجار قبل الدار تسكنها … للخير في الدار ما لم يجر الجار

الجار إن غبت عن أهل وعن وطن … نعم الخليفة عن أهل وأوطان

وقالوا الجار الصالح أحسن من الأخ إذ الجار إذا كان ذا يطلو وجهه جنة وكنفه
جنة يروى عن بعض الهاشميين أنه كان إذا نزل به جار قال له يا هذا إنك
قد اخترتني جارا واخترت داري دارا فجناية يدك علي دونك واحتكم على
حكم الصبي على أهله وروي أن رجلا كان جار الأبي دلف ببغداد فأدركته حاجة
وركبه دين فادح حتى احتاج إلى بيع داره فساوموه فيها فسألهم ألف
دينار فقالوا له إن دارك إنما تساوي خمسمائة دينار فقال أبيع الدار بخمسمائة وجوار
أبي دلف بخمسمائة فبلغ الخبر أبا دلف فأمر بقضاء دينه ووصله وقال له لا
تنتقل من جوارنا فانظر كيف جعل للجوار ثمنا كثمن العقار وقد قال بعضهم

يلومونني أن بعت بالرخص منزلي … ولم يعلموا جارا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة إنما … بجيرانها تغلو الديار وترخص

وفي الحديث الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس قال بعض العلماء شؤم
الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها
ونحو ذلك [illegible] وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها
تتمات الأولى قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم جاره معنى الحبيب وعوانه إذا [illegible] الجار مع الحائل بينه
وبين الإنسان وبينه فينبغي أن يرعى حق الحائط الذي ليس بينه وبينه إلا جدار
والحائل فلا يؤذيه بإيقاع [illegible] فقد ورد أنه ينبغي أن يوضع [illegible]
[illegible] ويجتنب بوضع [illegible] فينبغي أن يمنعه ورعاية حقه بالإكثار
من الطاعات وبتجنب المعاصي [illegible] جميع الجيران الثانية
إنما خص الناظم رحمه الله الجار بالذكر وإن كانت مطلوبة مع كل أحد لزيادة
الوصية والاعتناء بالجار وقد قال العلماء المداراة من الأخلاق المطلوبة وهي
من الخصال الحميدة لأنها تدل على التواضع وحسن الخلق وقد قال صلى الله
عليه وسلم كما في الجامع إن الله تعالى أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة
الفرائض [illegible] ما دخل منه في الدين

ويبتغي شيء غيره قال المناوي اما المداهنة فهي بذل الدين لصلاح الدنيا محرمة وفيه امتثل المصطفى صلى الله عليه وسلم امر ربه فبلغ في المداراة الغاية التي لا تنبغي وبالمداراة واحتمال الاذى يظهر الجوهر النفيس وقد قيل لكل شيء جوهر وجوهر العقل المداراة فهما مما يستدل به على قوة عقل الشخص ووفور علمه وحلمه في المداراة والنفس لا تنشرح مما لا يحسن المداراة ويستبق الغضب وبالمداراة تنقطع حمية النفس وبين دكيشها ووفور عنده وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مداراة الناس صدقة وروى سعيد بن المسيب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال راس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس وقال بعض الحكماء ما عيش والديدم بين البين ورمس ولده ومال ينفقه في الامور يصل الى حاجته ومال يدار مع اهله ذهبت لذة عيشه وقال حكيم في المداراة سلامة الدين والدنيا وفي الحديث احب الناس حبيبا الى الله اكثرهم تحبيبا الى الناس وفيه اذا احب الله عبدا حببه الى الناس قال ابن عبد ربه

وجه عليه من الحياء مهابة • ومحبة تجري مع الانفاس •
واذا احب الله يوما عبده • القى عليه محبة للناس •

ويعجبني قول الحريري رحمه الله في مقاماته

• لا تبك الغانيات والا دارا • ودر مع الدهر كيفما دارا • واتخذ الناس كلهم سكنا •
• ومثل الارض كلها دارا • واصبر على خلق من تعاشره • ودار فاللبيب من دارا •

ولما تكلم في البيتين السابقين على القيام بحقوق الجار ومداراته والاحسان اليه تكلم بعد ذلك على الاحسان الى غيره من المملوك واليتيم والمسكين فقال

• واحسن الى المملوك والضعيف • واسرع الى اغاثة الملهوف •

يعني واحسن الولد وفقه الله واحسانا من احسن يحسن احسانا فهو ضد الاساءة وجملة الامر معطوفة على جملة وقم في البيت السابق قال بعضهم والاحسان ان تعطي فوق ما يجب عليك وتنقص بعض حقك فان الانتصاف في الاخذ والاعطاء على الحق بمعنى العدل والخير فوق ذلك والمملوك العبد والضعيف من الضعف بالفتح والضم ويحرك ضد القوة يقال ضعف ككرم ونصر ضعفا وضعفا وضعافة وضعافية فهو ضعيف وضعوف وضعفان والجمع ضعاف وضعفاء وضعفة وضعفى وضعافى او الضعف بالفتح في الراي و بالضم في البدن وهي ضعيفة قاله في القاموس والمسارعة الى الشيء المبادرة اليه والاغاثة الاعانة يقال اغاثه اغاثة اذا اعانه ونصره فهو مغيث والملهوف والذهبان واللهفان

واللاهف

واللاهف المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر وامرأة لاهف ولاهفة ولهفى ونسوة لهافى ولهاف قاله في القاموس والمعنى احسن ايها الاخ وفقه الله للمملوك عبدا كان او امة صغيرا او كبيرا واحسن الى الضعيف من مسكين ويتيم وبادر الى اغاثة الملهوف واعانته ونصرته اما المملوك فقد قال الله تعالى في محكم الكتاب العزيز واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الى قوله وما ملكت ايمانكم وعن قتادة رضي الله عنه قال كان من اخر كلام النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة وما ملكت ايمانكم وفي الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم الضعيفين لئلا تاخذ الكبر قال العلقمي فيه اشارة الى ان رعاية حق الحق اكد من رعاية حق الخلق والمعنى اذا اتقوا الله فيهم بحسن الملكة والقيام بما يحتاجونه وخافوا ما يترتب على اهمالهم والتعدي عليهم من العذاب ولا تكلفوهم على الدوام ما لا يطيقونه على الدوام فانهم اسراء وعلموهم ما لا بد منه من احكامهم وصلاة وكل واجب ومندوب وادبوهم على ترك المامور وفعل المنهي وعاملوهم بالرعاية وتجاوزوا عما يصدر منهم من الجناية وقال صلى الله عليه وسلم للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل الا ما يطيق رواه مسلم وفي الصحيحين عن المعرور بن سويد قال رايت ابا ذر رضي الله عنه وعليه حلة وعلى غلامه مثلها فسالته عن ذلك فذكر انه ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك امرؤ فيك جاهلية هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم وفي رواية عن ابي هريرة رضي الله عنه انه راى رجلا على دابته وغلامه يسعى خلفه فقال يا عبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحك فحمله ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وعن ابي مسعود الانصاري قال ضربت غلاما لي فسمعت من خلفي صوتا اعلم ابا مسعود ان الله اقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال اما انك لو لم تفعل للفحتك النار وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كم نعفو عن الخادم ثم اعاد عليه فصمت فلما كانت الثالثة قال له اعفوا عنه كل يوم سبعين مرة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال حدثني ابو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم من قذف مملوكه وهو بريء مما قال جلد له يوم القيامة حدا واخرج ابو الليث بسنده عن عطاء بن يسار ان ابا ذر رضي الله عنه ضرب وجه غلام له فاستعدى عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تضربوا وجوه المماليك واطعموهم مما تاكلون والبسوهم مما تلبسون فان رابكم فبيعوهم

وأخرج أيضا عن عامر الشعبي قال استسقى رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل
بيت فدعت أمي الخادمة فأبطأت عليها فلعنتها فقال أما إنك تشهد بها يوم
القيامة لعلها وتغيب أربعة يشهدون أنها كما قلت فلا تلعنيها فقال عسى أن يكفر
عنك هذا وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة سيء الملكة أكرموهم كرامة أولادكم وأطعموهم مما تأكلون قلت يا رسول الله ما
ينفعنا من الدنيا قال فرس ترتبطه تقاتل عليه في سبيل الله ومملوك يكفيك فإذا صلى
فهو أخوك وروى عن أميرنا علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في
خطبته أيها الناس الله الله فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما
تلبسون ولا تكلفوهم ما لا يطيقون فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم ألا من ظلمهم فأنا خصمهم
يوم القيامة والله حاكمهم وعن أبي هريرة رضي الله عنه لا يقل أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله
وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وقال صلى الله عليه وسلم إذا
أتى أحدكم خادمه بطعامه فإن لم يجلسه معه فليناوله لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين فإنه
ولي حره وعلاجه رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم ما خففت عن خادمك من عمله
كان لك أجرا في موازينك وقال صلى الله عليه وسلم إذا ابتاع أحدكم الخادم فليكن أول
شيء يطعمه الحلو فإنه أطيب لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المملوك الذي
يحسن عبادة ربه ويؤدي إلى سيده الذي عليه من الحق والنصيحة والطاعة له أجران
رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله فله
أجره مرتين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه
وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل
كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها
فله أجران رواه البخاري ومسلم تنبيه قال في المستطرف روي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال بئس المال في آخر الزمان المماليك وقال مجاهد إذا كثرت الخدم كثرت
الشياطين وقال لقمان لابنه لا تأمنن امرأة على سر ولا تطأ خادما تريدها للخدمة ووهب
بعضهم عبدا فقال فيك خير قال آكل حارا وأعمل كارها وأبغض قوما وأحب نوما فقال أكثر العيب
في وإن مسه الضر والعبد عبد وإن ألبسته الدر قال ما نرى أرذل من العبيد ولا أقل خيرا منهم
والكثير مع رداءة المولدين لو أحسنت إلى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل يدك إليه أنكر كلام
بي منك شيئا وكلما أحسنت إليه تجبر وإن أسأت إليه خضع وذل قال وقد جربت ذلك
كثيرا وما أحسن ما قيل إذا أنت أكرمت الكريم ملكته • وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا •
وقيل إن العبد إذا شبع فسق وإذا جاع سرق قال وكان جحى لا يعرف شيئا أعلى ثمنه العبد

والمولدون

والمولدون منهم إلا من أتى نوع واحد لأن المولد لا يعرف له أبا وربما يعرف أن نجس أبويه
ويقال في المولد بغل لأنه مجنس والبغل تكون أمه فرسا وأبوه حمارا أو بالعكس فلا تثق
بمولد لأنه قل أن يكون فيه خير وإن كان فذلك نادر والنادر لا حكم له هـ قلت
والحديث الذي ذكره أولا ذكره في الجامع الصغير بلفظ شر المال في آخر الزمان المماليك
قال الحفني أي التجارة فيها لما فيها من تعليقها البيع بالتجارة فيها لما فيه من وهنها أيضا
بيعها إن عرى بالتجربة وقال المناوي أي إن الاتجار في المماليك لما يوقعه غير متقي الناس
الذي يبتغون من الناس ويبيعونهم ولقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتسع
الناس البيع في زماننا الذين يتعاطون التجارة فيها فلا يتقي بيع إلا من هو موصوف بقلة
الدين معي وهب بالفجور والكذب وعدم الصدق والتي يتجنون الإماء من غير اشتراء ويبيعون
الحوامل وذوات الأولاد منهم مع إنكار أولادهم والحاصل أن التي ليس يصلح بيعهن ونحو ما من
ثلاثين من السوس فكلهن مسبي وقد تسمى فالله بعث فمنكن أزواجهن وأولادهن وآباؤهن
وأمهاتهن فكلما تجد واحدة إلا وهي تبكي على مفارقة أهلها وسبعة كثير أولاد الذي نسي
ولا يعال تفتيك فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد ورد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه
قال قال الله تعالى ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل
ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعطه أجره وقال صلى الله عليه وسلم من فرق
بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة أو كما قال وأما الضعيف
فالمراد به ما يشمل المسكين من رجل أو امرأة واليتيم والأرملة واليتيم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم
الضعيفين حيث قال اتقوا الله في الضعيفين قيل من هما يا رسول الله قال هي الأرملة والصبي
اليتيم أخرجه في الجامع وقال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم رواه البخاري وقال
صلى الله عليه وسلم مهلا عن الله مهلا فإنه لولا شباب خشع وبهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع
لصب عليكم العذاب صبا وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه إلا قيض الله له
عند سنه من يكرمه وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم
الذي لا يفطر وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم أحيني مسكينا وأمتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فقالت عائشة رضي الله عنها لم يا رسول الله قال إنهم يدخلون
الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبي المساكين
وقربيهم فإن الله يقربك يوم القيامة وروى الحسن البصري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادي فإن لهم دولة يوم القيامة قالوا يا رسول
الله وما دولتهم قال صلى الله عليه وسلم إذا كان يوم القيامة قيل لهم انظروا إلى من أطعمكم كسرة أو كساكم

ثريدا او سقاكم شربة في الدنيا فخذوا بيده ثم ادخلوا به الى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم حبيبي هذه
الامة فقراؤها واني عما قليل يدخل فقراء الجنة قبل اغنيائها وقال عليه الصلاة والسلام الا اخبركم بملوك اهل
الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لو اقسم على الله
لابره وروي عن ابن نافع رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء مفتاحا
ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء هم جلساء الله تعالى يوم القيامة وقال موسى على نبينا
وعليه الصلاة والسلام يا رب من احباؤك من خلقك حتى احبهم من اجلك فقال كل فقير فقير
قال الاصمعي الراوي رضي الله عنه فيمكن ان يكون الثاني توكيدا ويمكن ان يريد به شديد الفقر وقال
المسيح صلوات الله وسلامه عليه اني لاحب المسكنة وابغض النعماء وكان احب الاسماء اليه صلوات
الله عليه ان يقال له يا مسكين وقال يحيى بن معاذ حبك للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك
مجالستهم من علامات الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين وقال الفضيل بن
عياض رحمه الله بلغني ان نبيا من الانبياء قال يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال الله تعالى انظر
كيف رضى المساكين عنك قيل جاء فقير الى مجلس الامام الثوري رضي الله عنه فقال له تخط لو كنت غنيا
لما جلست ثمة وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقراء لكثرة ما يرى من تقريبه للفقراء واعراضه عن الاغنياء
ولهذا قال بعض العلماء ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري ولا رايت الفقير اعز منه في
مجلسه رحمه الله فانظر رحمك الله الى حال العلماء العاملين من السلف الصالح رضي الله عنهم مع
هذا الناس وفتنة فليس عند الناس اليوم ابغض ولا اذل من الفقير المسكين وروي عن علي رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا
على جمع الدراهم رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من
ولاة الاحكام والشوكة من الاعداء فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كل ما اخبر به الصادق
المصدوق صلى الله عليه وسلم وقع حقا وقد قلنا واما اليتيم فالاحسان اليه مطلوب كذلك
قال الله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الى اليتامى وقال تعالى
وبالوالدين احسانا الى اليتامى وقال تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
في بطونهم نارا وقال فاما اليتيم فلا تقهر واخرج البخاري انا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين
واشار باصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما واخرج البزار من كفل يتيما له ذو قرابة او
لا قرابة له فانا وهو في الجنة كهاتين وضم صلى الله عليه وسلم اصبعيه ومن سعى على ثلاث
بنات فهو في الجنة وكان له كاجر المجاهد في سبيل الله صائما قائما واخرج ابن ماجه من
عال ثلاثة من الايتام كان كمن قام ليله وصام نهاره وغدا وراح شاهرا سيفه في سبيل الله
وكنت انا وهو في الجنة اخوين كما ان هاتين اختان والصق صلى الله عليه وسلم اصبعيه
السبابة والوسطى واخرج الترمذي وصححه من قبض يتيما من بين المسلمين الى طعامه وشرابه

ادخله

ادخله الله الجنة البتة الا ان يعمل ذنبا لا يغفر له وفي رواية حتى يستغني عنه وجبت له الجنة
البتة واخرج ابن ماجه خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في المسلمين
بيت فيه يتيم يساء اليه واخرج ابو يعلى بسند حسن انا اول من يفتح باب الجنة الا اني ارى امراة
تبادرني فاقول ما لك ومن انت فتقول انا امراة قعدت على ايتام لي واخرج الطبراني والذي
بعثني بالحق لا يعذب الله يوم القيامة من رحم اليتيم ولان له في الكلام ورحم يتمه وضعفه ولم
يتطاول على جاره بفضل ما اتاه الله وقال صلى الله عليه وسلم من مسح على راس يتيم
لم يمسحه الا لله كانت له في كل شعرة مرت عليها يده حسنات واخرج الحاكم وصححه ان
الله تعالى قال ليعقوب عليه السلام ان سبب ذهاب بصرك وانحناء ظهرك وفعل اخوة يوسف
به ما فعلوا انه اتاك مسكين يتيم صائم جائع وقد ذبحت انت واهلك شاة فاكلتموها ولم تطعموه
ثم اعلمه الله تعالى بانه لم يحب شيئا من خلقه حبه لليتامى والمساكين وامره ان يصنع
طعاما ويدعو المساكين ففعل وفي تنبيه الغافلين عن ابي الورقاء قال
سمعت عبد الله بن ابي اوفى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسح على راس يتيم
رحمة كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له
بكل شعرة درجة وعن ابي الدرداء رضي الله عنه ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فشكا اليه قسوة القلب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان يلين قلبك فامسح
راس اليتيم واطعمه وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ستة من موبقات
ليس فيهن توبة اكل مال اليتيم وقذف المحصنة والفار من الزحف والسحر والشرك بالله
وقتل نبي من الانبياء وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عندي يتيم
فمم اضربه قال مما تضرب به ولدك يعني لا باس ان تضربه للتاديب ضربا غير مبرح
مثل ما يضرب الوالد ولده قال الفقيه رحمه الله تعالى ان كان يقدر ان يؤدبه بغير
ضرب فينبغي له ان يفعل ذلك ولا يضربه فان ضرب اليتيم امر شديد بدليل ما حدثنا
به الفقيه ابو جعفر بسنده الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اليتيم اذا ضرب اهتز عرش الرحمن لبكائه فيقول الله تعالى يا ملائكتي من ابكى
عبدي الذي غيبت اباه في التراب وهو اعلم به فتقول الملائكة ربنا لا علم لنا فقال فاني اشهدكم ان من ارضاه
ارضيه من عندي يوم القيامة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح راس اليتيم ويلطف
به وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يفعل ذلك وروي ان الله تعالى قال لداود
النبي عليه السلام كن لليتيم كالاب الرحيم وعن ابي عمران الجوني عن ابي الخليل قال
كانت في مسالة داود عليه السلام قال الهي ما جزاء من اسند اليه اليتيم والارملة ابتغاء
مرضاتك قال جزاؤه ان اظله بظلي يوم لا ظل الا ظلي يعني ظل العرش وفي مكاشفة القلوب

قال بعض السلف كنت في ابتداء أمري مكبا على المعاصي فرأيت يوما يتيما فأكرمته كما يكرم الولد بل أكثر ثم نمت فرأيت الزبانية أخذوني أخذا مزعجا إلى جهنم وإذا باليتيم قد اعترضهم فقال دعوه حتى أراجع ربي فيه فأبوا فإذا النداء خلوا عنه فقد وهبنا له ما كان منه بإحسانه إلى اليتيم فاستيقظت وبالغت في إكرام اليتامى من يومئذ

فائدة الأرملة بفتح الهمزة والميم كما في القاموس المسكينة المحتاجة واليتيم هو من مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة المنفردة التي لا نظير لها قال بعض العلماء والاشتقاق يقتضي صحة إطلاقه على الكبار أيضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشرع لا تعيين لمعنى اللفظ وفي المصباح يتم ييتم من بابي تعب وقرب يتما بضم الياء وفتحها لكن اليتم في الناس من قبل الأب فيقال صغير يتيم والجمع أيتام ويتامى وصغيرة يتيمة والجمع يتامى وفي غير الناس من قبل الأم وأيتمت الأم إيتاما فهي موتم صار أولادها يتامى فإن ماتت الأبوان فالصغير لطيم وإن ماتت الأم فقط فهو عجي اهـ

وقول الناظم والسعي في إغاثة الملهوف أي بادر أيضا بالسعي في الله في إغاثة الملهوف وإعانته ونصرته فقد قالوا من أفضل القرب إغاثة الملهوف وقالوا من كفارات عظائم الذنوب إغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب ومن بعض الآثار أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود إن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنة واحدة أحكمه في جنتي قال داود يا رب وما تلك الحسنة قال من فرج عن مكروب ولو بتمرة وقال نبينا صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب إغاثة الملهوف وقال صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة الحديث رواه الإمام مسلم وقوله نفس أي كشف وأزال والتنفيس التخفيف أي أرخى له حتى يأخذ نفسا وقوله عن مؤمن إما بنفسه أو بماله أو جاهه أو بدعائه له بظهر الغيب والأولى الجاه شفاعة عند من تجوز الشفاعة فيه **قال العلماء** وتمتنع الأجرة على الجاه كالقرض والضمان وهي الثلاثة المجموعة في البيت المعروف

• والقرض والضمان رفق الجاه • تمنع أن ترى لغير الله •

خليل وفي الجاه إن قصر عليه لا يأخذ شيئا على جاهه إذا احتمى به وخلصه بنفسه أو ماله قال أبو علي العدل في شرحه وهذا إذا كان يحصل نجح جاهه أما لو احتاج إلى سعي ونفقة وكلفة وأخذ أجر مثله فقط فالحق أنه لا يمنع وبه أفتى الغوري وفي المعيار سئل أبو عبد الله الغوري عن ثمن الجاه فأجاب اختلف علماؤنا في حكم ثمن الجاه فمن قائل

بالتحريم

بالتحريم بإطلاق ومن قائل بالكراهة بإطلاق ومن مفصل فيه وأنه إذا كان ذو الجاه يحتاج إلى نفقة وتعب وسعي وأخذ أجر مثله فذلك جائز وإلا حرم قال أبو علي وهذا التفصيل هو الحق اهـ **ومن المعيار** أيضا سئل أبو عبد الله العبدوسي عمن التزم تخليص الناس من المواضع المخوفة ويأخذ منهم على ذلك فأجاب ذلك جائز بشروط أن يكون له جاه قوي بحيث لا يتجاسر عليه عادة وأن يكون سيره معهم بقصد تخليصهم فقط لا لحاجة له وأن يدخل معهم على أجرة معلومة أو يدخل معهم على المسامحة بحيث يرضى بما يعطونه له هـ نقله أبو يحيى أي في شرح الأربعين **وقوله** صلى الله عليه وسلم كربة أي شدة عظيمة لأن الكربة ما أهم النفس وغم القلب مأخوذ من الكرب للمعالجة لأن الكرب تقارب أن تزهق الروح فكأنها لشدتها عطلت مجاري التنفس ولذلك قال ما نفس ولم يقل أزال أو كشف **وقوله** فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة أي جزاء وفاقا قال العلقمي فيه التنويه بما وراءه رحمه الله وكرب الدنيا كلها في جانب كرب الآخرة كلا كربة فلا يقال الحسنة بعشر أمثالها وهنا جاءت بواحدة وقيل نصر مضعف عدد فلا يعتبر هـ **وأخرج** الطبراني أن من فرج عن مسلم كربة جعل الله تعالى له يوم القيامة شعبتين من نور على الصراط يستضيء بضوئهما عالم لا يحصيهم إلا رب العزة وما أحلى قول الشيخ ابن القبارية في المدح والبلاغ له

• واصنع الخير عند الله • ما ساعد الناس بفضل الجاه •

• ومن أغاث البائس الملهوفا • أغاثه الله إذا أخيفا •

• فارج خيرا إذا الهموم تحم • والله لا يبخس من لا يسمح •

فائدة في الصحيحين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكرب لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر قال يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث **وقال** دعوات المكروب اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين وأصلح لي شأني كله لا إله إلا أنت **وقال** صلى الله عليه وسلم ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا **وروي** عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من كثرت همومه فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله **وقال** ما كربني أمر إلا تمثل لي جبريل فقال يا محمد

فما توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم
يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا وقال عليه افضل الصلاة والسلام اني لاعلم كلمة لا
يقولها مكروب الا فرج الله عنه كلمة اخي يونس فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني
كنت من الظالمين قال العبد الضعيف ومما جرب في اذهاب الهم والغم الصلاة بصيغة الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم وهي اللهم صل على سيدنا محمد جالي الغمة وشفيع الامة صلى الله
وسلم عليه وعلى آله صلاة تكشف عنا بها كل كربة وغمة وذلك انه كان اتصل بي
هم في بعض الاوقات واشتد الامر فالهمني المولى سبحانه الى هذه الكيفية فاستعملتها
ففرج الله ما كنت فيه من ساعته حتى انجلى بفضل الله وبكثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه
وسلم كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم من عسرت عليه حاجة فليكثر بالصلاة علي فانها
تكشف الهموم والغموم والكروب وتكثر الارزاق وتقضي الحوائج صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وشرف وكرم ومجد وعظم وقال بعض الفضلاء من توسل بهؤلاء السادات في قضاء حاجة
او دفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد بن المسيب وابو سليمان الداراني
وابو حازم وسليمان التيمي ومالك بن دينار وبشر الحافي وحبيب العجمي ويحيى البكاء
وكهمس ورابعة العدوية رضي الله عنهم وقد نظمت اسماءهم للحفظ والتبرك فقلت

توسل الى الرحمن في كل شدة ... ونيل الذي ترجوه منه بسرعة
باسماء ابدال الورى اهل الجلالة ... لهم في المعالي رتبة اي رتبة
سليمان اعني التيمي وابن مسيب ... سعيد ويحيى البكاء عالي المكانة
كذا الداراني المشهور ثم مالك ... وذاك ابن دينار نقي السريرة
ابو حازم بشر الحافي وكهمس ... وسيد حبيب العجمي ذو الهمة
ورابعة المشهورة الفضل في الورى ... بهم اسال الرحمن يكشف كل بلية

وقال العلامة الشيخ قال التتائي في شرح الجلاب ومن خطه نقلت ورايت في بعض
المجاميع عن ابن عبد البر من كتب هذه الاسماء وجعلها في بيت ما خلت منه الحلية وهي
اويس القرني معروف الكرخي ابو مسلم الخولاني عامر بن عبد قيس مسروق بن الاجدع هرم بن حيان
الاسود بن يزيد الربيع بن خيثم الحسن بن ابي الحسن البصري وقد نظم بعضهم اسماء هؤلاء لقضاء الحوائج فقال

توسل الى الهادي في كل حاجة ... بمن قد نظمنا اللهم ذوي الهدى
اويس ومعروف الربيع وهرم ... بلى الحسن البصري عامر ذو الوفا
ابو مسلم الخولاني مسروق اسود ... تمام الثمانية الذي هذبته ذوي الجدا

ثم قال الناظم رحمه الله
واحسن الى الغريب والبعيد ... تستنفع الاحسن ارك العبيد

لما امر الناظم في البيت قبل هذا بالاحسان الى من ذكر خصوصا امر به هنا عموما الى كل احد
من قريب وبعيد والمعنى احسن ايها الاخ في الله الى كل قريب وبعيد من خلق الله فانك
ان فعلت ذلك استنفعت منه الاجر الحسن بحسبه وفي امتثال امرك ونهيك كانهم عبيد
لك بسبب احسانك اليهم والخلق كلهم عيال الله واحب العباد الى الله انفعهم لعياله
قال تعالى ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
وقال تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي احسن للناس احسانا كاحسان الله اليك
والاحسان الانعام وايصال النفع الى الغير ويدخل في ذلك الاعانة بالمال والجاه وطلاقة
الوجه وحسن اللقاء وغير ذلك وروى الامام مسلم عن ابي يعلى شداد بن اوس رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله كتب الاحسان على كل شيء الحديث
بقوله صلى الله عليه وسلم كتب قال الابي والسنوسي في شرح صحيح الامام مسلم معنى كتب امر وحض
والاحسان مصدر احسن اذا اتى بالشيء حسنا وهو ما حسنه الشرع لا العقل خلافا
للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة فالمحسن بها ياتي بها على الوجه الذي طلب
يوقع الفعل على سنن الشرع لا يحسن الانعام على الغير لان الاول اعم نفعا واكثر فائدة
لان الاحسان في الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره وقوله على كل شيء في محل نصب
وغيره فان على هنا بمعنى في كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان
اي في ملكه ويحتمل ان تكون بمعنى الى اي الاحسان اليه حسبما يناسبه ويليق به و
ويحتمل انها على بابها وتتعلق بمحذوف اي كتب الاحسان في الولاية على كل شيء
والمراد بالشيء هنا ما يتاتى الاحسان اليه او فيه فيتناول النفس والاحسان اليها
بان لا يوردها موارد السوء ولا يكلفها معصية ولا يكلفها كل ما تتبعه و
يعنفها بشيء غيظ والاهل بان يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم
قال صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول والخدم بان لا يكلفهم من
العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم كما تقدم والاخوان بان لا يغشهم بل ينصح لهم
ويحسن صحبتهم ويحمل اذاهم ويرعى ذمامهم كما تقدم ابيات الكلام على الصحبة
والانبياء عليهم الصلاة والسلام بان يؤمن بهم وبما جاءوا به عن ربهم واعتقاد
كمالهم وعصمتهم من الكبائر والصغائر وانهم صفوة الله وخلاصة عباده وسائر
الناس بان يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وان يرشدهم الى سبل الخيرات واجتناب المنكرات
وان يكف عن معاقبتهم بالتوبيخ ولحظهم بالهداية والملائكة بان يؤمن بهم وانهم عباد مكرمون
لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وان يحسن عشرة الحفظة منهم بان لا يفعل بحضرتهم ما
يكرهون والجن ان ينفع كفورهم بان يدعوهم الى الخير وينهاهم عن الشر والى شياطينهم بالدعاء لهم

كبلاد الانس في الاصلاح وقد اكرمهم الشارع صلى الله عليه وسلم وافهمهم بان جعل العظم زادهم والروث
علفا لدوابهم ولنا فيه اسوة حسنة **والحيوان** حتى السنور يجازى بان لا يجيعه وان لا يعطشه
ولا يضربه بغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا على الدابة وهي واقفة الا
لحاجة لما في سنن ابي داود والبيهقي من حديث ابي مريم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اياكم ان تتخذوا ظهور دوابكم منابر فان الله عز وجل انما سخرها لكم لتبلغكم
الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وجعل لكم الارض فعليها فاقضوا حاجاتكم وقوله
الا لحاجة اي فيجوز الوقوف على الظهر ريثما تنقضي لما في حديث ام الحصين رضي الله عنها كما
في مسلم قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فرايت اسامة وبلالا رضي الله تعالى
عنهما احدهما اخذ بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم والاخر رافع ثوبه يستره من الحر حتى
رمى جمرة العقبة **وقد ورد** انه صلى الله عليه وسلم راى في النار الحميرية سوداء طويلة تعذب
بسبب هرة ربطتها لم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض وان تلك الهرة
تنهشها في قبلها وفي دبرها اذا اقبلت تنهشها واذا ادبرت تنهشها **وعن الحسن**
البصري رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم ببعير معقول بصدر النهار فقضى حاجته ثم
رجع والبعير على حاله فقال لصاحبه اما علفت البعير هذا اليوم قال لا قال اما انه ليحاجك
يوم القيامة **واخرج** ابو الليث بسنده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بينما رجل يمشي في الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج فاذا كلب
يلهث ويمرغ التراب من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ
مني فنزل البئر فملا خفه ماء ثم امسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له
قالوا يا رسول الله ان لنا في البهائم اجرا قال في كل ذي كبد رطبة اجر **وحكي** عن ابي سليمان الداراني
رضي الله عنه قال ركبت مرة حمارا فضربته مرتين او ثلاثة فرفع الحمار راسه الي وقال لي يا ابا سليمان
انما هو القصاص يوم القيامة فقلل او اكثر فقلت لا اضرب شيئا بعده **واخرج** النسائي عنه صلى الله
عليه وسلم قال من قتل عصفورا عبثا عج يوم القيامة الى الله ويقول يا رب ان هذا قتلني عبثا ولم
يقتلني لمنفعة فمن احسن في هذه الامور كلها فقد اوتي خيرا كثيرا او وفي الخير الكثير **تنبيه**
قال الخطابي ان العلماء لما كانوا ورثة الانبياء وبما ورثوه منهم تعليمهم للناس كيفية الاحسان الى
كل شيء الهم الله سبحانه الاشياء ان تستغفر لهم مكافاة لهم على ذلك ومن ثم قال عليه السلام ان
العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في البحر وفي التنزيل والملائكة
يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به
ويستغفرون للذين ءامنوا **وحكي** عن بعض العلماء انه كان يبغي الفقهاء ان ويذكر ربهم ويبعث
ثواب ذلك لكل عبد صالح في السماء والارض فرئي في الليلة في منامه بعد ان اهدى ثوابه للجميع فانه عرج

به الى السماء وانه خرج للقائه كل من فيهما من الملائكة وغيرهم فجعل يرى ان ذلك ثناء هذا
صدق على انه يصل الجميع ما اهدى اليهم وانهم خرجوا للقائه مكافاة له على ذلك فلا تكسل
ان تهدي اموات المسلمين مثلا بان تهلل تعدل ثلث القرءان وتقول سبحان الله وبحمده او سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فانها احب الكلام الى الله ثم تجعله هدية لكل عبد
صالح في السماء والارض احياء او امواتا وصل الجميع فقال العلامة ابن شعبون في شرح الاربعين
بعد نقله وفي انتفاع الميت بالقراءة خلاف ذكره صاحب الترغيب وغيره وجعل المذهب
عدم الوصول وفي نوازل ابن هلال الذي افتى به ابن رشد وذهب اليه غير واحد من ائمتنا
الاندلسيين ان الميت ينتفع بقراءة القرءان ويصل اليه نفعه ويحصل له اجره اذا وهب
القارئ ثوابه له وبه جرى عمل المسلمين شرقا وغربا ووقفوا على ذلك اوقافا واستمر
عليه الامر منذ ازمان سالفة ومن اللطائف ان عز الدين بن عبد السلام رئي في المنام بعد
موته فقيل له ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرءان للموتى فقال
هيهات وجدت الامر على خلاف ما كنت اظنه **وقال الابي** في شرح مسلم ما نصه رايت
لبعضهم ان الفاتحة للغير ان صح او نوى قبل القراءة ان ثواب القراءة للغير كان للغير وان
كان انما وهب الثواب بعد فراغه فانه لا ينتقل لان الثواب حصل للقارئ والثواب اذا
حصل لا ينتقل وهذا المذهب معروف كان شيخنا ابن عرفة يختاره فيقول الا وقف
والنيابة على القراءة على الغير على القول بانه ينتقل الامر فيهما واضح واما على عدم
الانتقال فثواب القراءة للقارئ بعينه للقارئ وللمحبس ثواب اعانته والتسبب في ذلك
لحديث الحث على الخير كفاعله **وما حكي ان** ما اتى الانسان يستخدم الا ر
كالعبد بالاحسان صحيح فقد قال الواعظ يدا امتنعتها واسترق رقبة معتقها • م
وقائل ذلك عمي ابن خلكان السدوسي وهو كما في الاغاني شاعر فصيح من شعراء
الخوارج ودعاتهم المقدمين في مذهبهم وكان سبب قوله للبيت ان الحجاج كان يطلبه
وكان حنقا عليه حتى ظفر به في جماعة من الخوارج فحمل مثل بين يديه فقال يا غلام
اضرب عنق ابن الفاعلة فقال عمي ان بئس ما ادبك به اهلك يا حجاج كيف امنت
ان اجيبك بمثل ما جيئتني به او بعد الموت منزلة اصانع عليها فاطرق
الحجاج استحياء منه وقال خلوا عنه وقيل انه قال له اين موضع الصنيعة
قال اجل فامر له بفرس وسرج وسيف وخلى سبيله فلما عاد عمي الى اصحابه
من الخوارج قالوا له والله ما اطلقك الا الله فعد بنا الى حرب العاصي
فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها وانشد ابياتا منها
• أأقاتل الحجاج عن ملكوته • بيد تقر بانها مولاته •

أنى إذا الأقوال نادتك والذي • عتبت علي بأنه جهلاته
ماذا أقول إذا وقفت إزاءه • في الصف وانتحبت له بعلاته
وتحدث الأجلاء أن منابعا • عن مثل لديه محنكلات غفلاته
الأمر جار على الأنى إذا • لابد من جارت عليه ولاته
تالله لا أحدث الإثم بثالة • ويجارني وبلا عطاء آلاته
الحمد لله على محنة خالقي • وعليه رحمة ربه وصلاته
فلا ليغ عني يغيرني مبلغا • هيهات ليس يجيبني أصلاته
لا شك ما كان الكبير وجده • نار تشوي بلهيبها حالاته

ولقد قال الشيخ الإمام أبو الفتح البستي رحمه الله حيث يقول في قصيدته المشهورة الكنانية

الفتى أو لعلا زيادته إلى عجز • وربحه غير محض الخير خسران
أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم • فطالما استعبد الإنسان إحسان
وإن أساء مسيء فليكن لك في • عروض زلته صفح وغفران

والله سبحانه يمن علينا بالتوفيق والهداية إلى سلوك الحسنى بجاه نبيه سيدنا ومولانا محمد الأمين صلى الله وسلم عليه وعلى آله ثم قال الناظم

ولا تلابس ما يؤدي للعقوق • وكن أخا بر مؤد للحقوق
فقد نهى عن ذلك الحي حمد • كما نهى بالحق نبيه

لما أمرك بالإحسان إلى كل في حب وبعير وكان الإحسان إلى الوالدين آكد من كل أحد نبه هنا على وجوب الإحسان إليهما والقيام بحقوقهما فقال ولا تلابس في معرفة لا ناهية وتلابس مجزوم بها ومعناه لا تخالط يقال لابس الأمر خالطه والعقوق العصيان يقال عق الولد أباه عقوقا من باب قعد إذا عصاه وترك الإحسان إليه فهو عاق والجمع عققة كما في المصباح وقال أبو الصلاح في فتاويه العقوق أن يفعل الولد مع الوالد ما يتأذى به تأذيا ليس بالهين في العرف وارتضاه الحافظ ابن حجر وقال أبو طالب في قوت القلوب وتفسير العقوق جملة أن يقسم عليه في حق فلا يبر قسمهما وأن يسألاه عن حاجة فلا يعطيهما وأن يأمناه فيخونهما وأن يجوعا فيشبع ولا يطعمهما وأن يسباه فيضربهما وقوله كن يعني أي صر كان الناقصة وأخا يعني صاحب خبر كن والأخ مضاف مثنى يعود على المخاطب وبر مضاف إليه ما قبله وهو مصدر بر يقال بر زيد والده إذا بره ورا أحسنت الطاعة إليه ورفقت به وتحرى محابه وتوقى مكارهه وأدى الذي فضاه وأدى الأمانة أو صلتها والنهي ضد الأمر يقال نهاه عن كذا ينهاه نهيا والإشارة في ذلك

عليه

عليه لأن العقوق وقوله كما تدين تدان هو مثل من أمثال العرب يقولون كما تجازي تجازى وقال لبيد • حصادك يوما ما زرعت وإنما • يدان الفتى يوما كما هو دائن •
والمعنى لا تخالط أيها الأخ في الله ما يؤدي لعقوق والديك وكن بارا بهما قائما بحقوقهما فقد نهى الله سبحانه عن العقوق وأنك كما تعامل والديك تجازى وتعامل من الله سبحانه ومن أولادك وقد ورد التحذير من العقوق والحض على بر الوالدين آيات في الكتاب وأحاديث نبوية وآثار مرضية قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وقال تعالى وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا عن سيدنا علي رضي الله عنه لو علم الله سبحانه شيئا في العقوق أدنى من أف لحرمه فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار وقال تعالى ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وقال تعالى أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وقال صلى الله عليه وسلم إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة يوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق وروى سعيد بن المسيب عن قتادة قال ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا يجدون ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام البخيل والمنان ومدمن الخمر والعاق لوالديه وقال صلى الله عليه وسلم أربعة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بقدر وأخرج البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه من يرعها ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس وقال ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وفي حديث عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم يقال للعاق اعمل ما شئت فلن أغفر لك ويقال للبار اعمل ما شئت فإني سأغفر لك وقال صلى الله عليه وسلم أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ومنعا وهات ووأد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وقال صلى الله عليه وسلم رضا الله في رضا الوالد وسخط الله في سخط الوالد وقال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الأمهات وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أحب إلى الله تعالى قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي قال بر الوالدين قلت ثم أي قال الجهاد في سبيل الله رواه البخاري ومسلم وأخرج مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك أحد

والديه عند الكبر او كلاهما ثم لم يدخل الجنة واخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال
نعم قال ففيهما فجاهد وروى ابو عمر النميري قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله دلني على عمل يقربني الى الله قال هل لك والد او والدة قال نعم قال انما
يكفيك مع البر بالوالدين العمل اليسير وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح
مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وان امسى له مثل ذلك ومن اصبح
مسخطا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى النار وان امسى له مثل ذلك وان كان واحدا
فواحد قيل يا رسول الله وان ظلماه قال وان ظلماه وان ظلماه ثلاثا وعنه صلى الله عليه وسلم
قال كل شيء بينه وبين الله حجاب الا شهادة ان لا اله الا الله ودعوة الوالدين وروى ان رجلا
جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امي خرفت عندي فانا اطعمها بيدي
واوضيها واحملها على عنقي فهل جازيتها قال لا ولا واحدة من مائة ولكنك
احسنت اليها والله يثيبك على القليل كثيرا وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ان ابي يقبض مالي وينفقه على عياله فبكى الشيخ وقال اي
عيال يا رسول الله ما هم الا امه واختاه وانشا يقول

غذوتك مولودا ومنتك يافعا • تعل بما اجني عليك وتنهل • اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت
لسقمك الا ساهرا اتململ • كاني انا المطروق دونك بالذي • طرقت به دوني فعيناي تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانني • لاعلم ان الموت وقت مؤجل • فلما بلغت السن والغاية التي
اليها مدى ما كنت فيك اؤمل • جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كانك انت المنعم المتفضل
وسميتني باسم المفند رايه • وفي رايك التفنيد لو كنت تعقل • فليتك اذ لم ترع حق ابوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل • فاوليتني حق الجوار ولم تكن • علي بمال دون مالك تبخل

جرى ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له انت ومالك لابيك وروي ان الله
تعالى اوحى الى موسى على نبينا محمد وعليه الصلاة والسلام يا موسى انه من بر
والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا وروي ان يوسف عليه
السلام لما دخل عليه ابوه لم يقم له فاوحى الله اليه لم تقم الى ابيك وعزتي لا اخرجت من
صلبك نبيا وروى ان لقمان قال لابنه يا بني اتخذ ما ارضى والديه فقد ارضى الرحمن ومن
اسخطهما فقد اسخط الرحمن يا بني ان الوالدين باب من ابواب الجنة فان رضيا مضيت
الى الجنة وان سخطا حجبت عن الجنان وقال بعض الحكماء من وفى اباه طال عمره
ومن وفى امه راى ما يسره ومن احد النظر الى والديه فقد عقهما وقال سيدنا جعفر
الصادق رضي الله عنه اشتغل لوالديك بالصدقة وحسن الامر لهما خاله ومن اخرج والديه

فقد

فقد عقهما ومن ظفر بيده عن معصية فقد حج ومن اتقى لا خيبة بها اسعد فيعلموه داخل السعداء
حقا ومن نال العلماء وقرى ومن دخل مدخل السوء اتهم واخرج الطبراني بسند جيد ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه قال هل بقي من والديك
احد قال نعم امي قال فاسال الله في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر ومجاهد
تنبيهات الاول قال الفقيه ابو الليث السمرقندي رحمه الله لو لم يذكر الله سبحانه في كتابه
حرمة الوالدين ولم يوص بهما لكان يعرف بالعقل ان حرمتهما واجبة وكان الواجب على العاقل
ان يعرف حرمتهما ويقضي حقهما فكيف وقد ذكر الله تعالى في جميع كتبه في التوراة والانجيل والزبور
والفرقان وقد امر في جميع كتبه واوصى الى جميع الانبياء واوصاهم بحرمة الوالدين ومعرفة حقهما
وجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما قال وعن ابراهيم النخعي قال قرات في بعض الكتب
انه لا ينبغي للولد ان يتكلم اذا شهد والديه الا باذنهما ولا يمشي بين يديهما ولا عن يمينهما ولا
عن شمالهما الا ان يدعواه فيجيبهما ولكن يمشي خلفهما كما يمشي العبد خلف مولاه وروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا قال المصاحبة بالمعروف
ان يطعمهما اذا جاعا ويكسوهما اذا عريا وفي الرسالة ومن الفرائض بر الوالدين
وان كانا فاسقين وان كانا مشركين فليقل لهما قولا لينا وليعاشرهما بالمعروف
ولا يطعهما في معصية كما قال الله سبحانه واشار رحمه الله بذلك الى ان البر يكون
بالقول ويكون بالفعل فيكون العقوق كذلك بالقول والفعل فلا يسبهما ولا يتسبب في
سبهما ولا يفعل ما فيه اذاية لهما ولا يترك ما كان تركه اذاية لهما قال العقباني
عن الكافي فلا ينظر اليهما الا بعين المحبة والاجلال ولا يستاثر عليهما بمطعم ومشرب
ولا يتقدم اباه اذا مشى معه ولا يتقدمه بالقول في مجلسه فيما يعلم انه اولى به منه قال
وادخال الفرح عليهما من افضل اعمال البر وفي النصيحة ومن الجوارح التابعة
في البدن عقوق الوالدين بغضا واعني اذاية بالقلب وباللسان ان يقول لهما اف ويجهل
برفعهما بالقبح وبالعين بالنظر اليهما شزرا وبالاذن سماع غيبتهما وباليدين بضربهما بما
دونه وبالرجل بالفرار عنهما عند حاجتهما قال والشيخ والمعلم كالوالد والصديق التنبيه
الثاني قال الشيخ زروق ولا خلاف انهما على السواء في تحريم العقوق ووجوب
البر غير ان الام ارجح في البر لضعفها وتعبها وشدة ما قاست في الحمل والتربية بعد
ذلك قال صلى الله عليه وسلم امك ثم امك ثم اباك وقد ترك بعض الناس لامه على
ابيه فقيل له في ذلك فقال شهدت وجه امي وفتحت عيني فعرفتها ومشى ابي عصى
يتوكا عليه من الجهال ولعل الله ان يفتح بينهما اخذ احدكم في الفضل وبالله التوفيق
وهل الجد كالاب في البر او لا خلاف كما في التوضيح وقول الرسالة ولا يطعهما في معصية

اي لانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق قال تعالى وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما **ومن النصيحة** وقد سئل ابو عمر عن رجل في مال اخيه شبهة ويامره ان ياكل منه ويابى ذلك ويبقى ضيعة لا بد له ان يأكله فقال يأكل في رضى امه وابيه اذا كانت الشبهة في مال ابويه ولم يبق ضيعة الا بذلك فلا في كتاب ادب الصحبة انفق اكثر العلماء على ان طاعة الوالدين واجبة في الشبهات دون الحرام المحض حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم **وقال الحسن** في رجل سالته امه وهي تمنعه من صلاة العشاء في الجماعة فقال لا يسمع لها وهذا على القول بوجوب الجماعة عينا او سنيتها واما على القول بالندب فلا لان الحتم ولا تترك لغير رضى الوالدين **قال شيخنا** القوري وهذا اذا كان شفقة ورحمة للخوف الداء عليه مما يعتري ويخشى (وما اعداء لدين حدوثه او نحو ذلك) فيجب عليه طاعتهما الا ان خرج وجه حالة هذه تبطلها تشريش خلقهما وانفكاكهما عما تقلعها في الذي لم عليها شيء منه **الثالث** فرك التاكيد كما تخذيب تعالى تقطع ان معناه كما تعامل والديك يعاملك اولادك وكما تجازي يجازيك من الدين **وجاء في الحديث** عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا اباءكم تبركم ابناؤكم خرجه الحاكم وعن وهب بن منبه قال ان الله اوحى الى موسى عليه السلام يا موسى وقر والديك فانه من وقر والديه مدت في عمره ووهبت له ولدا يبره ومن عق والديه قصرت عمره ووهبت له ولدا يعقه **وقال** حكيم من عق اباه عقه ولده **وحكي** ان رجلا من الشجعان كان اعق الناس بابيه وكان بلال ابنه كذلك يعامله بمثل ما كان يعامل به اباه حتى اجتمع جرير بلال الابن مع الحجاج فقال له بلال الخائب يهين ويتنكب ناك امه فلما بلغت امه عليه وقالت له يا عدو الله اتقول هذا لابيك فقال جرير هذا عيبه فكانه سمعها منه وانا اقولها لابي **ومما** ينهى عنه العقوق بوالديه والعياذ بالله الحكيمة الشاعر

وقد قال لابيه يحجوه ・ جزاك الله تعالى عنه جفاء ・ ابا وجزاك من عم وخال ・
・ فبئس الشيخ انت لدى المعالي ・ وبئس الشيخ انت لذي المخازي ・
・ جمعت اللؤم لا حياك ربي ・ وابواب السفاهة والضلال ・
وقال فيه ايضا ・ تعيش حياتك عشت بين نسيم ・ انتهى انني امرت وتبقى ・
・ فليس عيشنا بعمر موتك يوما ・ لا تنفق حبا مالك شفقا ・

بل قال العلماء رضي الله عنهم ان العقوق من الذنوب التي تعجل عقوبتها في الدنيا فلا العاق لوالديه قلما ينجح له عمل في دينه ودنياه كما هو مشاهد معروف وفي الحديث ملعون من سب والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب والديه قال يسب ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه

قال

قال القرطبي رحمه الله انما استحق صاحب ابويه اللعن لمقابلته نعمة الابوين بالكفران وانتهائه الى غاية العقوق والعصيان كيف وقد قرن الله برهما بعبادته وان كانا كافرين وبتوحيده وشكره بشكره ونهى عن نقل الخطاب عن الكلام ما تعبه وحق عليهما ان يعيناه على برهما بلين جانبهما وارفاقه بذات ايديهما ما لم يحملا العبد الى طاعة الله واداء ما يحفظه الا بعونه لهم على ذلك ه وقد قالوا ان خير الاباء للابناء من لم تدعه المودة الى التفصيل وخير الابناء للاباء من لم يدعه التقصير الى العقوق **ومن الحديث** رحم الله والدا اعان ولده على بره اخرجه ابو الشيخ وفي الجامع الصغير واسناده ضعيف كما في العزيزي والمعنى اذا اعانته على بره بتوفية ما له عليه من الحقوق وقد ورد ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق فالمطلوب من الوالدين ان يعدل بين اولادهم ويسوي بينهم حتى في التقبيل ويعاملهم باللطف والاحسان ليطيعوه اذ القلوب جبلت على حب من احسن اليها والطاعة واما معاملتهم بالغلظة فهي سبب للعقوق وسياتي ان شاء الله بيان حقوق الاولاد على والديهم عند قولنا وفي تعليم الاهل والغلام **تتمة** كما ان الولد يطلب ببر والديه في حياتهما كذلك يطلب بذلك بعد وفاتهما **وفي الرسالة** وعلى المؤمن ان يستغفر لابويه المؤمنين ه ومعنى الاستغفار الدعاء لهما بالمغفرة ولا خلاف ان الدعاء يصل الميت كالصدقة **قال** الامام الغزالي اخرج ابو داود وابن ماجه ان رجلا قال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما والدعاء لهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل الا بهما واكرام صديقهما **واخرج** مسلم ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لقيه رجل من الاعراب بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه واعطاه عمامة كانت على راسه قال ابن دينار فقلنا اصلحك الله انهم الاعراب وهم يرضون باليسير فقال عبد الله ان ابا هذا كان ودا لعمر بن الخطاب واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابر البر صلة الولد اهل ود ابيه وقول الرسالة ابويه المؤمنين احترز به من الكافرين لقوله تعالى ما كان للنبيء والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية قال الحطاب ظاهره انه لا يستغفر لابويه الكافرين وقد اختلف هل يستغفر لهما في حال حياتهما اذ لعلهما ان يسلما او لا واما بعد الموت فلا يدعو لهما بالاتفاق وحكى ابن عطية الاستغفار للمشرك الحي جائز اذ يرجى اسلامه **وقد روى** ابن عدي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين **وروي** عن بعض التابعين انه قال من دعا لابويه كل يوم خمس مرات فقد ادى حقهما لان الله تعالى يقول ان اشكر لي ولوالديك وشكر الله تعالى ان تصلي في كل يوم خمسا

من آباء ومشى الوالدين ان تدعو لهما في كل يوم خمس مرات وروى الكلبي انه من بر والديه
في كل من زار قبر ابويه او احدهما في كل جمعة زاد في رواية غفر له بما عمله وكتب بارا
وفي حديث آخر من زار قبر ابويه او احدهما احتسابا كان كعدل حجة مبرورة ومن كان
زوارا لهما زارت الملائكة قبره وقال الشيخ القصار رحمه الله

زر والديك وقف على قبريهما • فكأنني بك قد نقلت اليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا • زاراك حبوا على قدميهما
انسيت عهدهما عشية اسكنا • دار البلا وسكنت في داريهما
ما كان ذنبهما اليك وانما • منحاك محض الود من نفسيهما
كانا اذا ما ابصرا بك علة • جزعا لما تشكو وشق عليهما
كانا اذا سمعا انينك اسبلا • دمعيهما اسفا على خديهما
فلتلحقنهما غدا او بعد ذا • حتما كما لحقاهما ابويهما
ولتندمن على فعالك مثل ما • ندما هما ايضا على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلا صالحا • وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما • تسطيعه وبعثت ذاك اليهما
فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها • فعسى تنال الفوز من بريهما

ومما انشد له ايضا القصار فيمن يبكي الديار واقف او يبكي آثارهما

مررت بدارنا وطالت عنا • وما عمرت بتلك الاحباب قبلنا
اعهد اعهدنا بامس فقطعنا • عليه الحي اشتغالا وحبا

نسأل الله تعالى ان يغفر لنا ولوالدينا وان يجازيهم عنا احسن الجزاء بجاه سيدنا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله ثم قال الناظم رحمه الله

وارض بما قضى المولى وقسما • من رزقه فقد فاز عبد سلما
ولا تضق بالذي او ما ذهب • فكل شيء قد جرى له سبب
وقسمة الاله عدل جارية • ليس لها عن الحكمة خلا عارية
بكل شيء قد جرى القضاء • يريد الحي ما ان يشاء
يخفض قوما ان يشاء ويرفع • يعطي لمن شاء ما يشاء ويمنع

يقول وارض الواو عاطفة وارض فعل امر من رضي الشيء ورضي به اختاره واحبه وبما متعلق بارض وقضى صلة ما والعائد محذوف والمولى فاعل قضى وتقدمت معانيه وقسم الارزاق تقسيمها عند الله عز وجل والفوز الظفر والتسليم التفويض يقال اسلم امره لله وسلم بالتثقيل لغة كما في المصباح والمعنى ارض ايها الاخ في الله بما قضاه الله تبارك

وتعالى

وتعالى وقدره وبما قسمه لك من رزقه وسلم له في ذلك فقد فاز بكل خير من سلم الامر لله عز
وجل واعلم انه اختلفت عبارات الشيوخ في الرضى فقال الامام القشيري تكلم الناس في الرضى وكل عبر على
حسب حاله وشربه فاما شرط العلم والذي لا بد منه فالراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره
وقال ابو علي الدقاق ليس الرضى ان لا تحس بالبلاء انما الرضى ان لا تعترض على الحكم والقضاء
وقال المحاسبي الرضى سكون القلب تحت مجاري الاحكام وقال النوري الرضى سرور القلب بمر القضاء
وسئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة
وقال ابن [illegible] في سلوانه هو ارتياح لا اعتراض على العالم بالصلاح اذا كان القدر حقا كان بحظه
حمقا وقال ابن جزي في تفسيره هو سرور النفس بفعل الله وهو صادر عن المحبة وكل ما يفعله المحبوب
محبوب وقال شيخ الاسلام السهروردي الرضى يحصل لانشراح القلب وانفساحه وانشراح القلب
من نور اليقين قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فاذا تمكن النور من
الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة وعاين حسن تدبير الله تعالى فينتزع السخط والتضجر
لان انشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب وفعل المحبوب بموقع الرضى عند المحب الصادق لان المحب
يرى ان الفعل من المحبوب من اجله واختياره فيفنى في لذة اختيار المحبوب عن اختيار نفسه كما قيل
وكل ما يفعل المحبوب محبوب وقد ورد في فضل الرضى آيات واحاديث واخبار قال الله
تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قال في الاحياء ومنتهى
الاحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا العبد عن الله تعالى وقال تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن
ورضوان من الله اكبر فقد رفع الله الرضى فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكما ان مشاهدة المذكور في الصلاة
اكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة اعلى من الجنة بل هو غاية مطلب سكان الجنان وفي
الحديث ان الله تعالى يتجلى للمومنين فيقول سلوني فيقولون رضاك فسؤال الرضى بعد النظر
نهاية التفضيل وقال تعالى ولدينا مزيد قال بعض المفسرين فيه ياتي اهل الجنة في وقت
المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين احداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في
الجنان مثلها فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين والثانية السلام
عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله سلام قولا من رب رحيم والثالثة
يقول الله تعالى اني عنكم راض فيكون ذلك افضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى
ورضوان من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا افضل رضا الله تعالى وهو ثمرة رضا العبد
واما الاخبار فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل طائفة من اصحابه ما انتم فقالوا
مومنون فقال ما علامة ايمانكم فقالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى
بمواقع القضاء فقال مومنون ورب الكعبة وفي خبر آخر انه قال حكماء علماء كادوا

من جعفهم ان يكونوا انبياء وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال
صلى الله عليه وسلم من رضي من الله تعالى بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل وقال
ايضا اذا احب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال ايضا اذا كان يوم القيامة
انبت الله تعالى لطائفة من امتي اجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون
فيها كيف شاءوا فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فتقول لهم هل
جزتم الصراط فيقولون ما رأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون ما رأينا شيئا فتقول الملائكة
من امة من انتم فيقولون من امة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول نشدناكم الله تعالى حدثونا ما كانت
اعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا هذه المنزلة بفضل رحمة الله فيقولون وما
هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحيي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم لنا فتقول الملائكة يحق
لكم هذا وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا
فلا وروي عن ابن مسعود من رضي بما ينزل من السماء الى الارض غفر له وقال ابو الدرداء رضي الله
عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وروي عن محمد بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم
من حبني ما اعطي العبد الرضا فما قسم الله له وفي اخبار موسى عليه السلام ان بني اسرائيل قالوا له
سل ربك امرا اذا فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى قل لهم
يرضون عني حتى ارضى عنهم قال ابو طالب في القوت ويشهد لهذا الخبر الذي روي عن نبينا صلى الله
عليه وسلم من احب ان يعلم ما له عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من
نفسه وروي ان موسى عليه السلام قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى الله تعالى
اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي
وفي مناجاته عليه السلام يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت منه المحبوب سالمني
قال فاي خلقك انت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد
روي عن عبد الواحد بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر وقيل له ما تشتهي فقال ما
يقضي الله تعالى وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وقال عبد العزيز
بن ابي رواد ليس الشأن في اكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا
عن الله عز وجل وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت
احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن او لشيء لم يكن ليته كان وعن بعض السلف
ان الله تعالى اذا قضى في السماء قضاء احب من اهل الارض ان يرضوا بقضائه وقال عمر
رضي الله عنه ما ابالي على اي حال اصبحت وامسيت من شدة او رخاء وقال عبد الواحد بن
زيد الرضا باب الله الاعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا وقال ابو عثمان رضي الله عنه
منذ اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته ولا نقلني الى غيره فسخطته وقال



الفقير سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رضي الله عنه يقول في اخي محمد وقد اشتدت به العلة
من امارات التأييد حفظ الترتيب في اوقات الحج ثم قال كالمعين لقوله مشيرا الى ما كان
فيه من حاله دعوات يغني ضعف بعض القدرة في امضاء الاحكام فقطعة قطعة وانت
ساكن خامد وقال الى اعيب منزلة الرضا اشرف المنازل بعد النبوة لمحمد رضي عن الله
فقد رضي الله عنه لقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضا بين مني ونيل
بطاعي فمن بلغ هذه المنزلة فقد حاز خسة الدنيا واطلع على جنة المأوى وفكه
مودة الملأ الاعلى وحكى بتحيتهم المعينة بقوله والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال الشيخ زروق رضي الله عنه وقد مثل علماؤنا
الايمان بشجرة كما ذكر الله سبحانه اصلها ثابت وفرعها في السماء اصلها الاعتقاد في
وعموده الشهادتان وفروعها الاركان وقضبانها السنن وورقها المستحبات
والاداب وثمرتها الرضا بقضاء الحق تعالى حلوها ومرها وكيسها ولينها على ذلك
وفيه وحلاوة ثمرتها الرضا بالقضاء والاغتباط حتى تسقط كلفة التكاليف فتحملها
ويتلقى المهالك بوجه ضاحك واليه الاشارة بحديث ابن عباس رضي الله عنه في مسلم
ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا قال ابن عطاء الله
في التنوير من رضي بالله ربا استسلم له ومن رضي بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا اتبعه ومن
رضي بالاسلام دينا عمل به ه قاله في قوت القلوب وقد روينا عن بعض العباد انه قال
اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ثلاثين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من
ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض
جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه ويقال ان بعض
هذه الطائفة ضاع ولده وكان مفقودا ثلاثة ايام لا يعرف له خبر فقيل له لو سألت الله ان
يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى اشد من ذهاب ولدي وحدثونا عن بعض
العباد قال رأيت بعبادان رجلا قد فجعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه
وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر له فقال واذا هو قد صح ع من حبه به فقال بوضع راسه
في حجري وجعلت اسال الله عز وجل كشف ما به واذ عوا له فلا بلا فسمع دعائي فقال
من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه علي ونحى راسه قال بشر
فلا عنقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة اراها عليه من البلاء وقد نحى جملة من هذا
النمط فلا نطيل والله الموفق تنبيهان الاول قال الشيخ جسوس في شرح التصوف
الرضا بالمعنى المتقدم من العزيز الوجود اذ هو ثمرة قوة الايمان انما يحصل من الاولياء
وخاصة عباد الله واما الرضا بالمعنى الاعم وهو ترك الاعتراض فهو فرض واجب على المكلفين

كلهم وهو يسبي على كل احد ولا خصوصية فيه لاهل الذوق واكثر عوام المومنين انما
يثبت الحق من المقتضى فقط واما الترجيح الى جهة الحق بالتقوى فهو لا يكاد يوجد الا نادرا
من الخواص المهتدين (الثاني) اعلم ان الواجب على العبد ان يرضى بالقضاء الذي امر
بالرضى به اذ ليس كل ما هو قضاء فيه يجوز للعبد او يجب ان يرضى به كالمعاصي وفنون
محن المسلمين (قال الامام) حجة الاسلام الغزالي في الاحياء فان قلت فقد وردت الايات
والاخبار بالرضى بقضاء الله تعالى فان كانت المعاصي بغير قضاء الله تعالى فهو محال وهو قادح في
التوحيد وان كانت بقضاء الله تعالى فكراهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل
الى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد فاعلم
ان هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على اسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى راوا
السكوت عن المنكر مقاما من مقامات الرضا وسموه حسن خلق وهو جهل محض بل نقول الرضا
والكراهة يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد
في شيء واحد ان يكره من وجه ويرضى به من وجه اذ قد يموت عدوك الذي هو عدو ايضا لبعض
اعدائك وساع في اهلاكه فتكره موته من حيث انه مات عدو عدوك وترضاه من حيث
انه مات عدوك وكذلك المعصية لها وجهان وجه الى الله تعالى من حيث انه فعله واختياره
وارادته فيرضى به من هذا الوجه تسليما للملك الى مالك الملك ورضا بما يفعله فيه ووجه
الى العبد من حيث انه كسبه ووصفه وعلامة كونه ممقوتا عند الله وبغيضا عنده حيث سلط
عليه اسباب البعد والمقت فهو من هذا الوجه منكر ومذموم ثم ضرب لذلك مثلا المثال في بيانه ثم
قال فلا يغرك وبهذا ايضا تعرف ان الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الاسباب المعينة على
الدين غير مناقض للرضا بقضاء الله تعالى فان الله تعالى تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم
صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر
مزايا اللطف ه (وحاصله) ان يقال اذا كان الكفر والمعاصي بقضاء الله تعالى وقد ثبت
مما تقدم وجوب الرضا بالقضاء لزم من ذلك وجوب الرضا بالكفر والمعاصي والرضى
بالكفر كفر فكيف يجب واجاب الغزالي رحمه الله تعالى ايضا عن ذلك بان الكفر مقضي لا
قضاء والواجب انما هو الرضى بالقضاء الذي هو الفعل التنجيزي للقدرة عند الاشعرية لا المقضي
الذي هو المتعلق ومعنى الرضا بالقضاء ترك المنازعة والاعتراض واعتقاد ثبوت الحكمة
والعدل والصواب وعدم الظلم وهذا لا يستلزم الرضا بالمقضي ولا ينافي وجوب السعي في
الانتقال عنه ان كان مذموما شرعا ه (وقد سئل) العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن
بن محمد الفاسي عن ايضاح الفرق بين القضاء الذي يجب الرضى به والمقضي الذي لا يجب الرضى
به فاجاب بتبيين الجواب بضرب مثل هو ان الطبيب الماهر اذا دبر لك دواء مرا

بشغلك

بشغلك عنه فان استبشعت الدواء من حيث مرارته مع وقوف ذهنك على حسن تدبيره ونظره وان
استبشعت تدبيره ونظره فلست بك وقلب عليك تشبيهك وكذلك القضاء تدبير الله لعباده
راجع لربه والمقضي ما دبر مما يتعلق به العبد فهو رضيت بوصفه الذي به اعتقدت انه
عدل موافق للحكمة والصواب فلا يضرك ان لا ترضى بوصف العبد الذي هو مذموم واقع عليه
التدبير لا بنفس التدبير ه (قال) شيخ شيوخنا ابو الطالب الفاسي في حاشية ميارة والحاصل
انه لا منافاة بين عدم الرضى بالكفر والسيئات ووجوب الانتقال عنها الى ما يرضى فيه ما جعله الله من
الكسب وبين وجوب الرضى بالفعل على العموم وبهذا ايضا يتخرج الجواب عن سؤال ابي ابراهيم ابن
سهل اليهودي المذكور في المعيار وغيره وهو

ايا علماء الدين ذمي دينكم … تحير دلوه باوضح حجة
اذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم … ولم يرضه مني فما وجه حيلتي
قضى بضلالي ثم قال ارض بالقضا … فهل انا راض بالذي فيه شقوتي
دعاني وسد الباب دوني فهل الى … دخولي سبيل بينوا لي قضيتي
اذا شاء ربي الكفر مني مشيئة … فهل انا عاص باتباع المشيئة
وهل لي اختيار ان اخالف حكمه … فبالله فاشفوا بالبراهين علتي

فاشار بالبيت الاول الى طلب السؤال عن ازالة اللبس في هذه المسائل الخمس التي التبست على النفس
بحجة وضوح الشمس وبالبيت الثاني الى ان مقتضى اهل السنة ان الكفر بقضاء الله ان يرضى به
وان لا يعذب عليه والا كان ظلما وجورا وهو محال عليه تعالى وجوابه ان مقتضى كونه المالك لكل
شيء الملك الحقيقي ان يفعل فيه كل ما شاء بما شاء وله الحجة البالغة وبالبيت الثالث الى
انه لو كان بقضاء الله لوجب الرضى به لان الرضى بالقضاء واجب وتقدم جوابه وبالبيت الرابع الى
ان مقتضى امره تعالى بالايمان ان لا يقضي بالكفر والا كان امره به عبثا وجوابه ان افعاله تعالى
لحكم ومصالح لكن منها ما يطلع عليه وايضا فان السيد اذا اراد ان يظهر عذره للحاضرين في عصيان
عبده يامره بالشيء ولا يريد منه ذلك فانظره في شرح السنوسية وبالخامس الى انه لو كان بالمشيئة
لم يجز على الحكم بالعصيان لانه لم يخرج عما اراده الله ومشيئته وجوابه انه انما سمي عاصيا
لمخالفته لما امر به لذلك قال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ولم يقل عن مشيئته لان ذلك
محال وبالسادس الى ان التكليف ينافي الجبر عقلا اذ مقتضى التكليف ان يكون المكلف
مختارا يتاتى منه الفعل والترك وجوابه انه مجبور في عين الاختيار لماله من الكسب فلا
يلام الكافر والعاصي لان اراد الله منهما الكفر والعصيان باختيارهما فلما انه علم منهما الكفر
والعصيان باختيارهما لم يلزم تكليف المحال قال وللاستاذ ابي سعيد بن لب عن هذه
الابيات جوابان احدهما ينيف عن احد وثلاثين بيتا والاخر هو قوله

مه

ففي السكون الشاكي بباب رجائها • ليس هذا تخليط الذي كل ملة • نفى تلفه عما اراد وقوعه
وانفاذه والملك ابلغ حجة • دعا الكل تخليطا ووقعا بعضهم • فخص بتوفيقا وعم بدعوة
فنعصاه انا نستجيب لمن دعا فتتبعه • وان كنت تمشي في اتباع المشيئة • فلا تنتقض فعلا فدنا عنه شرعه
ومع انه نهي وحج مشيئة • اليه اختيار الكسب والله خالقا • من يدينه نهي له في الخليقة
وما لي بحق الله ليس يعالها • تعالى وجل السر في النهي بينة • فهذا جواب عن مسايل سايل
جهول بتباع وهو اعمى البصيرة • ايا علماء الدين ذمي دينكم • تحير دلوه بادلح حجة

قال الاستاذ ابو مهدي في البيت الاول والثاني ماخوذان من قوله تعالى ولو شاء الله ما اشركوا ولو شاء ربك ما فعلوه فلو شاء لهداكم اجمعين مع قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله قل فلله الحجة البالغة والثالث من قوله تعالى والله يدعوا الى دار السلام الاية والرابع من قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره الاية بل قال ما يشاء الله يفعله وقال ما يفعله الله بلا معارض له وقد ربح في كفرانهم نهجون والخامس من قوله وما تغني الايات والنذر الاية مع قوله ان الله يحكم ما يريد والله يحكم لا معقب لحكمه والسادس من قوله تعالى وما تشاءون الا ان يشاء الله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل انك لا تهدي من احببت بتنفيع وتهذيب والبيتان الاولان جواب عن المسالة الاولى والخامس جواب عن الثانية والسادس جواب عن الثالثة وهو جواب غير كاف في الحق تنسيقه على تنسيق سؤال السايل واحسن منه قول سيدنا الوالد رحمه الله

• نعم قد قضى بالكفر رب البرية • ولم يرض فهو الملك ابلغ حجة •
• ونهى عن ما حكمه عن الله راضيا • وتابلاه بعلامنك نادي بشقوة •
• دعاك وسد الباب لا عتب ابدا • ولا امر الا قد ابنيت بحكمة •
• ونقضيه ان خالفت امر الله وان • تكن غير عاص بل تباع المشيئة •
• ولم يبق عند الاختيار بكيد ايهم • وان كنت مجبورا عدمت الحيلة •
• فهذا جواب حاسم ودلالة • اذا شاء رب العالمين لي رحمة •

وقول الناظم فقد جاز عبد سلم الامر كله بكل شيء كما تقدم وكيف لا يفوز بكل خير من سلم امره الى الله تعالى وفوض اليه وتفويضه دليل على كمال ايمانه كما يشهد لذلك ما روي في الحديث لا يكمل للعبد الايمان بالله تعالى حتى تكون فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضى بقضاء الله والصبر على بلاء الله فالمفوض ليس له مراد ولا اختيار بل اسند الاختيار الى الله وهو غاية غاية كمال الادب مع الله تعالى قال الشيخ سيدي زروق رضي الله عنه في شرح الحكم كان شيخنا ابو العباس الحضرمي رضي الله عنه قل ما دخلت عليه الا انشدنا هذين البيتين

وهما

وهما ا تبع رياح القضاء ودر حيث دارت • وسلم لسلمى وسر حيث سارت •

وقال الشيخ ابو مدين رضي الله عنه اخرج عن على ان تصبح وتمسي مفوضا مستسلما للعله يتولى لك فيه حتى ومن شرح الحكم الوفوق مع مراد الحق تعالى واعلاه الرضى بحكمه افضل واكمل واروح للنفس من طلب غير الموجود فايدته واس التفويض والباعث عليه انما هو اعتقاد انه لا يكون منها الحق ولا ما التي الا ما اراد الله كونه ولا يصح التفويض مصاح يتحقق ذلك ويتدين به وقد بالغ صلى الله عليه وسلم في الحث عليه بقوله لعبد الله بن مسعود ليقل همك ما قدر ياتيك وما لم يقدر لم ياتك واعلم ان الخلق لو جهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لم يقدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بشيء لم يكتبه الله عز وجل لم يقدروا على ذلك فقوله ليقل همك امر بالتفويض وقوله ما قدر ياتيك الى اخر الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض العقلاء وسلموا الى الله عز وجل فالواجب على العبد ان يفوض جميع امره الى الله تعالى ويسلم اليه في جميع الاحوال ليفوز بالخير في الحال والمآل ولا يختار لنفسه شيئا لان الاختيار لا يصلح الا لمن يكون عالما بجميع جهات الامور ظاهرها وباطنها والا فلا يؤمن ان يختار الفساد والهلاك على ما فيه النجاة والصلاح وليس احد اعلم بعواقب الامور وظواهرها ووجوه المفاسد والمصالح كلها الا الله رب العالمين وهو سبحانه تام غني متع بعبده الي ان اموري والتحتي لنفسك شيئا وارض بفضل الله وحكمه فانه واقع عليك لا محالة شئت او ابيت لا ينجيك منه الحذر ولا يبعد عنك التحذر سئل بعض السلف عن العبودية والربوبية فقال الرب يقضي والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد بقي في قلب العبد اربي بربوبيته ولا اعتنى بعبوديته وقد زاد الناظم رحمه الله تاكيدا في طلب هذا المعنى والحث عليه بقوله ولا تعترض فيما اتى او ماح البيتين يعني لا تنافيه وتعقبها مقالا فلان الحجج بعوضيها وقال بالامر عليه علم المعنى لا تعترض ايها الاخ في الله بشيء مما قضاه الله وقدره عليك لانما نزل بك من انواع البلايا والمحن والمصايب ولا بما ذهب عنك من الدنيا مثلا وزينتها فان كل شيء جرى عليك له سبب يعلمه مسبب الاسباب سبحانه الذي ابتلاك واجرى عليك ما اجرى وايضا فان قسمة الله تعالى جارية مقدرة سابقة في الارزاق وغيرها وليست عارية عن الحكمة والمصلحة بل لمصالح ومصالح منها ما هو ظاهر ومنها ما لا يعلمه الا الله عز وجل قال الله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير في تفسير الثعلبي قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله تعالى حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم الاية يا علي ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة في الاخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله احلم من ان يعاقب به بعد عفوه وقال الحسن

لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب
وما يعفو الله عنه أكثر وقال الحسن دخلنا على عمران بن الحصين فقال رجل لا بد أن أسألك
عما أرى بك من الوجع فقال عمران يا أخي لا تفعل فوالله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب
الناس إلى الله قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو
ربي عما بقي أكثر وقال أحمد بن أبي الحواري قيل لأبي سليمان الداراني ما بال العقلاء أزالوا
اللوم عمن أساء إليهم فقال لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما
أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب
لم يكن الله ليغفر له إلا بها أو لينال درجة لم يكن لينالها إلا بها وروي أن رجلا قال لموسى
عليه السلام يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما نزل إذا
هو بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا فقال الله تعالى يا موسى
إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعله وسيلة له في نيل
تلك الدرجة قال علماؤنا وهذا في حق المؤمنين وأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة اهـ
وقد روي في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعتذر الله
تعالى إليه كما يعتذر الرجل للرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك
لهوانك علي ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة وفي أخبار موسى عليه السلام
أن الله تعالى قال له إني لأذود أوليائي عن نعيم الدنيا كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن
مراتع الهلكة وإني لأجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن منازل الغرة وما
ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا وقال العارف
بالله ابن عباد رضي الله عنه على قول الشيخ ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو
المبتلي لك إذا علم العبد أن الله تعالى رحيم به ومستعطف عليه وناظر إليه في كل ما يورده
عليه من أنواع البلايا والرزايا فينبغي له ألا يكترث بذلك ولا يباليه فلا تدم شكواه منه إلا
حين أحاط به كنهه وليعتقد أن ذلك اختيار له وأن في ذلك مصالح خفية لا يعلمها
إلا هو كما قال تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم قال أبو طالب المكي في هذه
الآية في العبوديات العيلة والفقر والخمول والذل وهو خير له في الآخرة وقد يحب الغنى والعافية
والشبع وهو شر له عند الله تعالى وأسوأ عاقبة وفي معنى ذلك قوله تعالى وأسبغ عليكم
نعمه ظاهرة وباطنة قيل الظاهرة العوافي والباطنة البلايا لأنها نعمة في الآخرة فلذلك
ما يصيب المؤمن بعد نعمة كما بيناه فكان فيه الحمد على نعمه قال في التنوير إنما يعين على
حمل أقداره شهود حسن اختياره وأنشد فيه لنفسه

• وخفف عني ما ألاقي من العنا • بأنك أنت المبتلي والمقدر •

• وما لامرئ عما قضى الله معدل • وليس له منه الذي يتخير •

كان الأستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه يقول جئ ببنتين وكنت في مورخة وحشة من ذلك
قد غلبت الحمام فوقع على قلبي بشيء من الرضا فكتبت إلى كل واحدة من تلك القهوح فجئ بنت
وأبيت منهما اثنين وقال الجنيد رضي الله عنه كنت نائما عند سري السقطي رضي الله عنه
فنبهني وقال لي يا جنيد رأيت كأني وقفت بين يدي الله فقال لي يا سري خلقت الخلق فكلهم
ادعوا محبتي فخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر وخلقت الجنة فهرب
مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر وخلقت النار فهرب مني تسعة أعشار عشر
العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب مني تسعة أعشار عشر عشر العشر فقلت للباقين
معي لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم ولا من النار هربتم ولا من البلاء فررتم فما تريدون فقالوا
إنك لتعلم ما نريد فقلت لهم إني أسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم به الجبال الرواسي
أتصبرون قالوا إذا كنت أنت المبتلي فافعل ما شئت فهؤلاء عبادي حقا اهـ وقال أيضا
على قول الشيخ من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ما نصه ووجود الألم
والمشقة في البلايا لا ينفى ولكن تذهب منه مع ما يعلمه من أن الذي يجد به قوة وحسن الكفاية به عز
وجل ويحمله ذلك على القيام بواجبها فمن لطف البلايا التي يبتلي الله بها عباده منافع
أرادتهم ومنغصة لشهواتهم وكل ما أزعج النفس ونغصها في المعاش محمود العاقبة من قبل أن ذلك
راده إلى الله تعالى وملازمة بابه بصدق الالتجاء والافتقار وهذا من أعظم فوائد البلايا ويجد ذلك من
نفسه كل من نزلت به بلية أو أصابته رزية وفيها أيضا ضعف النفس وذهاب قوتها وبطلان
صولتها إذ بوجود ذلك يقع العبد في الذنوب والمعاصي وتتأكد منه الرغبة في الدنيا والحرص
على اتباع الهوى وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة أو قلة أو ذلة أو بلية أو قلة وفي الخبر
عن الله تعالى الفقر سجني والمرض قيدي أحبس بذلك من أحببته من عبادي وفيها أيضا
تحصل طاعات القلوب وأعمالها ذرة منها خير من أمثال الجبال من أعمال الجوارح
وفيها أيضا يحصل له كفارة الذنوب والخطايا ويستوجب من الله جزيل المثوبات والعطايا
ولا سبيل له إلى ذلك إلا بما يرد عليه من أنواع البلايا لأن العبد قد يعجز عن القيام بوظائف
الطاعات ويتكاسل عن المواظبة على نوافل الخيرات فيكون حينئذ محروما من ثوابها غير
حاصل له تكفير سيئاته بها وإن قدر عليها ولم يتكاسل عنها لم يأمن تخليطها من الشوائب
وتسليطها من الآفات والمعايب وحينئذ يبطل عمله ويخيب من انتفاعه به أمله فليحبس (فليحبس صح)
العبد لكنه مولاه وليعلم أن ما اختاره له خير له مما يختاره لنفسه بشهوته وهواه فقد روينا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذي قال له أوصني لا تتهم الله في شيء قضاه
عليك وفيها أيضا يحصل له تجديد التوبة وأداء الحقوق والتبعات والظلامات

وكثرة الاستغفار وحسن التذكار وكثرة ذكر الموت وقد كان السلف يستوحشون ان اخرج
عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص في نفس او مال ويقال لا يخلو المومن في كل اربعين يوما
ان يهاج بروعة او يصاب بنكبة وكانوا يعدون بعد ذلك في هذا العدد ما يجي ان يقلد
فيه بشيء **وفيها** ايضا يقع له خلف ما يعوذ من الكرامات ونوافل العبادات فيكتب
له في منه مثل ما كان يفعل من ذلك في محنته وذلك ابلغ له في الوصول الى رضى
لانه من اختيار الله تعالى له وهو خير مما اختاره لنفسه ه باختصار وقد بان لك بهذا
ان كل ما يجري على العبد من البلايا والمحن وما يفوت عنه من الدنيا وزينتها له سبب
وهو بلوغ الكرامة عند الرب الكريم والمدبر الحكيم سبحانه وهذه الفوائد التي كشفت
بالنسبة الينا وما لم يكشف لنا مما يعلمه الله عز وجل اكثر من ذلك فالواجب على العبد
هو الشكر والصبر والرضى وعدم النقم والشكوى وفي الخبر ان الله تعالى قال انا الله
لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليتخذ ربا سوائي
ومثله قوله تعالى ايضا فيما اخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال الله تعالى
قدرت المقادير ودبرت التدبير واحكمت الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني
ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني **وفي الخبر** المشهور يقول الله تعالى خلقت
الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر
واجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف **وفي الخبر** السالف ان نبيا
من الانبياء شكا الى الله عز وجل الجوع والفقر والقمل عشر سنين فما اجيب الى ما احب ثم اوحى
الله اليه كم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض
وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق
الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل ما قدرته عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون
ما تريد فوق ما اريد وعزتي وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من
ديوان النبوة **وفي حديث** انس بن مالك رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته
ولا في شيء كان ليته لم يكن ولا في شيء لم يكن ليته كان وكان اذا خاصمني خادم من
اهله يقول دعوه لو قضي شيء لكان **واوحى الله تعالى** الى داوود عليه السلام
يا داوود انك تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما
تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد **ولمؤلفه**
عفا الله عنه في الحث على الرضى والتفويض الى الله عز وجل وهو قوله

ارح فؤادك من هم ومن نكد • واستسلمن لقضاء الواحد الاحد •
فوض الى الله واعتمد عليه تجد • صنع اللطيف خفي يا صفيك في الامد •
وتعبدوا رجه في كل نازلة • جلت فمن لطفه ياتيك بالمدد •
فغني بفضله لا تطمع الى احد • بفضله جل ان تحصيه بالعدد •
لا تتعب النفس في حرص وفي طمع • واقنع فذو الحرص مذموم على الابد •
ما قدر الله تصريفا يكون بلا • شك وما لا فلا تعني ما فقد •
على م تحزن والاشياء قد سبقت • بعلم الله ربي من غي ومن رشد •
فم كفاك هموم اليوم مع امسه • فسوف يكفيك في غد وبعد غد •
فاعكف على بابه واساله معتقدا • عليه تعطى الذي ترجو من الصمد •
وارج محبة خير الخلق احمدهم • محمد واجعلنه خير معتمد •
يا رب صل عليه دائما ابدا • والآل والصحب اهل المجد والجلد •

اللهم رضنا بالقضاء ووفقنا ولو علينا بخير القضاء فانك اعلم منا بما اصلحنا فلا تكلنا الى
انفسنا فنهلك ولا الى غيرنا فنضيع يا ارحم الراحمين **تنبيه** يفهم من قول الناظم
وارض بما قسم المولى لك من رزقه مع قوله وقسمة الاله حقا جارية ان الرزق مقدر مقسوم قد
تكفل الله تعالى به للانسان قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الغنى او فعلنا هذه القسمة والتفاوت بين العباد
فجعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان
احدا من الخلق لا يقدر على تغيير حكمنا في احوال الدنيا مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون
على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب النبوة والرسالة والمعنى
فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا ه **بعض** ما في هذه
الاية ان القسمة سابقة من الله عز وجل لا مرد فيها ولا تغيير ولا تبديل ولا نقص ولا زيادة
وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفعت الاقلام وجفت الصحف فما قسمه الله تعالى
لمخلوق من رزق واجل وغيرهما لابد ان يستوفيه كاملا قال صلى الله عليه وسلم ان الروح
الامين القى في روعي ان لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب
فقوله صلى الله عليه وسلم رفعت الاقلام اي تمت الكتابة بما في الامر وانتهى امده
وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم القيامة كما جاء في جامع الترمذي ان اول ما خلق
الله القلم فقال اكتب قال ما اكتب قال اكتب القدر ما كان وما يكون **وفي الاحكام**
لابن العربي في قوله تعالى ن والقلم فيها مسالتان المسالة الاولى روى الوليد بن مسلم عن مالك
بن انس عن سمي مولى ابي بكر عن ابي صالح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة وذلك قوله ن والقلم ثم قال له اكتب قال

وما كتب فقال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة من عمل او اجل او رزق او اثر مما جرى القلم
بما هو كائن الى يوم القيامة ثم ختم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة ثم خلق العقل
فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك
فيمن ابغضت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله
واعملهم بطاعته **المسألة الثانية** خلق الله القلم الاول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه
عنده فوق عرشه ثم خلق القلم الثاني ليكتب به ما في الارض على ما يأتي بيانه في سورة اقرأ
باسم ربك الذي خلق ان شاء الله وقال بعضهم الاقلام ثلاثة في الاصل فذكر الاول على نحو ما
تقدم في يليه ثم قال القلم الثاني ما جعله الله تعالى بايدي الملائكة يكتبون المقادير
والكوائن والاعمال وذلك قوله تعالى كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ثم قال الاقلام
وعلمهم الكتابة بها القلم الثالث اقلام الناس جعلها الله تعالى بايديهم يكتبون
بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم والله اخرج الخلق من بطون امهاتهم لا يعلمون
شيئا هـ **وقوله** صلى الله عليه وسلم جفت الصحف اه فرغ من الامر وجفت كتابته
لان الصحيفة حين كتابتها لا بد ان تكون رطبة المداد او بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها
وهذا من احسن الكنايات وارشق العبارات فهو كناية عن نفوذ المقادير فلا تبديل
ولا تغيير **وللبيضاوي** هذا قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وقد اختلف المفسرون
فيها على وجوه فقيل يمحو ما يشاء اي ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما تقتضيه الحكمة
بحسب الوقت ويثبت بدله ويبقيه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مكلفا مع
منعه ومن الاشياء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتابة كل قول وعمل
ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو السيئات التائبة ويثبت مكانها الحسنة او
يمحو قرنا ويثبت آخرين فقال وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ اذ ما من شيء
من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو قاله ابو السعود **وفي** ابن عطية وهو
ما يقتضي به ام الكتاب انه ديوان الامور المحدثة التي قد سبق القضاء فيها بما هو كائن
وسبق ان لا يبدل ويبقى المحو والاثبات في الامور التي قد سبق في القضاء ان تبدل وتمحى
وتثبت وقال نحوه قتادة وقالت فرقة معنى ام الكتاب في الحلال والحرام وهو قول الحسن
بن ابي الحسن اه **وقال** سعد الدين لا يقال هذا ينافي قوله تعالى يمحو الله ما يشاء
ويثبت لانا نقول المحو والاثبات مما جفت به الصحف ايضا كذا في تفسير الفاسي
لان القضاء قسمان مبرم ومعلق وقيل عند الله كتابان اللوح وهو لا يتغير والذي يكتب
الملك على الخلق هو محل المحو والاثبات هـ **وهذا** فيما ليس من قبيل الاخبار اما
ما كان منها فانه لا يقبل التبديل بحال لما يلزم عليه من المحال قال الثعلبي في تفسيره

اعلم



اعلم ان النسخ انما يعرض للاوامر والنواهي دون الاخبار لان الخبر اذا نسخ صار الخبر كاذبا
هـ **وقال** تعالى ايضا في تقدير امر الرزق والتفاوت فيه والله فضل بعضكم على بعض في
الرزق فما كتب منه لاحد لا بد ان يصل اليه لاجل فائت معين وكم وشيء بعد وخفي لاجل ما فيها
حسي ومعنوي لا يدري ادله في حمه ومبالغته في تعاطي الاسباب كما لا ينقص له منه بتكاسله
وعجزه وقعوده عن الاسباب نعم ما ربط تقديره بسبب لا يتوصل اليه الا بذلك
السبب الخفي قيل • لو كان عن قوة او عن مغالبة • طار البزاة بارزاق العصافير •

وقال بعضهم ايضا في هذا المعنى

• يا طالب الرزق والارزاق قد قسمت • بين الخلائق تنعم ولم تنخ •
• اتعبت نفسك فيما لست تدركه • وضاع عمرك في ... •
• لو كنت بين السماء والارض مجتهدا • في شق ... يجوع الى رزق تنح •
• هون عليك فان الرزق عن قدر • يأتي ولو انه في جبهة الاسد •

وقيل ايضا

• لعمرك ما كل بني بذ ولا ربكة • ولا ادب يكفيك رزقا ولا خطه •
• فما الرزق والآجال الا مواهب • فارض بما خصب وارض بما حط •
• وكم بكيس الحر يطلب رزقه • وراح بوتيني الكيس لا يخطوا •

وقيل ايضا

• لو كانت الارزاق يدركها الفتى • بجلادة او قوة او شيء اسى •
• لاخذت اجملها بلا همتي • ويلطفني ويطلق ومن اسى •
• لكنها قسم وليس يدرك • ما لم يقدر له الناس •

ومما يوضح لك امر القسمة الالهية ونفوذ الارادة الازلية ترى ما كان كثير من الاقوياء
الاذكياء وحرمه واقامته على كثير من الضعفاء الاغبياء لتعلم ان ذلك تقدير العزيز
العليم وتدبير الملك الحكيم وفي ذلك قيل

• كم من قوي قوي في تقلبه • مهذب الراي عنه الرزق منحرف •
• وكم ضعيف ضعيف في تقلبه • كانه من خليج البحر يغترف •
• هذا دليل على ان الاله له • في الخلق سر خفي ليس ينكشف •

اوحى الله الى موسى عليه السلام اتدري لما ارزقت الاحمق قال لا يا رب قال ليعلم
العاقل ان طلب الرزق ليس بالاحتيال **وقيل** لبعضهم رحمه الله تعالى تتكلم في القدر قال
وما اصنع بالتكلم رايت الكذاب واسعة الكسب على البلاء ما رايت الاحمق مرزوقا
والعاقل محروما علمت ان التدبير ليس من العباد **وقال** ابن الحنفية رضي الله عنه

وكل الله الجهل بالغنى والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم ان ليس له من الامر
شيء وللشافعي رضي الله عنه من ابيات

• ومن الدليل على القضاء وكونه • بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق •

تنبيه اذا علمت ايها الفقير ان رزقك مقسوم مضمون لك فلا تتعب سرك
ولا تتعب في رزقك ولا تجتهد في السعي فيه وتدع ما هو مطلوب منك من العمل الذي
تتوصل به الى سعادة الاخرة فانه موكول الى التسبب له والاجتهاد فيه ومن اعظم
ثم وكله واسبابه واوقاته بهذا ابتهت سنة الله تعالى في عباده قال الله تعالى في المعنى الاول
الذي ضمنه للعبد وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في المعنى الثاني
الذي طلبه منه وان ليس للانسان الا ما سعى وقد روي في بعض الاثار ان الله تعالى يقول عبدي المعنى
فيما امرتك ولا تعلمني بما يصلحك وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما بال
اقوام يشرفون المترفين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرءان ما وافق اهواءهم وما خالف
اهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض يسعون فيما يدرك بغير سعي من
القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسعون فيما لا يدرك الا بالسعي من الجزاء الموفور
والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور وقال ابي ابراهيم الخواص رضي الله عنه العلم كله في كلمتين لا
تتكلف ما كفيت ولا تضيع ما استكفيت فمن قام بهذا الامر على ما ينبغي من الوجه الذي ذكرناه من
الاجتهاد في الامر المطلوب منه وترك الخوض في الامر المضمون له فقد انفتحت بصيرته واشرق نور
الحق في قلبه وحصل على غاية المقصود ومن عكس هذا الامر فهو مطموس البصيرة اعمى القلب
وجعله دليلا على ذلك وهذا معنى قوله في الحكم اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما
طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك قال سيدي ابن عباد بعد ما تقدم قبل الحكمة ما
والبصيرة هي ناظر القلب كما ان البصر ناظر العين وناظر القلب انما ينظر الى العاقبة والعاقبة
للمتقين والتقوى هي التي يجب على العبد ان يجتهد فيها ولا يتوانى ويقع عما يمنع منها خلال
وتعبير المؤلف رحمه الله بالاجتهاد اشعار بان طلب الرزق مما ينبغي الاجتهاد فيه غير مقصود بالكلام
وغير ذلك لانه مباح ومأذون فيه فلا يدل ذلك على انطماس بصيرة صاحبه الا ان افتتن به
تقصير فيما امر به قال الشيخ في قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك
رزقا نحن نرزقك اي نحن نقوم لك بقسمتنا و[illegible] ان شيء ضمنه الله لك فلا تتهمه
وشيء طلبه منك فلا تهمله [illegible] اشتغل بما ضمن له عما طلب منه فقد عظم جهله واتسعت غفلته
وقل ان ينتبه لمن يوقظه بل حقيق على العبد ان يشتغل بما طلب منه عما ضمن له اذ كان الله
سبحانه وتعالى قد رزق اهل الجحود كيف لا يرزق اهل الشهود واذا كان سبحانه قد اجرى رزقه على
اهل الكفران كيف لا يجري رزقه على اهل الايمان فقد علمت ايها العبد ان الدنيا مضمونة لك [illegible]

لك منها ما يقوم باودك والاخرة مطلوبة منك اي العمل لها لقوله سبحانه وتعالى وتزودوا فان خير
الزاد التقوى فكيف يثبت لك عقل او بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما
طلب منك من امر الاخرة حتى قال بعضهم ان الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الاخرة فليته ضمن
لنا الاخرة وطلب منا الدنيا اهـ ومن قوت القلوب كتب بعض السلف الى بعض اخوانه اما بعد
فان الدنيا [illegible] اخبرني عن هذا الذي تكدح فيه وتحرص عليه من امر الدنيا هل بلغت منها ما تريد
وادركت ما تتمنى فقال لا والله قال اي اخي هذا الذي انت حريص عليه لم تنل منه ما تريد
فكيف تنال من الاخرة وقد اعرضت عنها ومن [illegible] تضرب في حديد بارد قلت
ولعمري ان الامر كذلك فاذا كان الطالب على الدنيا التي يحرص عليها الذي تعب بطلبها والسعي لها
اوقات عمره لم ينل منها مراده فكيف يدركه من الاخرة التي لم يلتفت الى جمعها ولا سعى لها
وهذا شان الحمقى والمغترين [illegible] اذا لاح لهم عرض من اعراض الدنيا استفرغوا فيه
جهدهم [illegible] وتحيلوا في الوصول اليه بكل ما يقدرون عليه وارتكبوا المشاق العظيمة
ولا شيء اثقل عليهم من اعمال الاخرة نسأل الله العافية ومع هذا يطمعون في نيلها ومن
هذا الباب اذا اصر احدهم على ذنب يقول الله غفور رحيم واذا سمع ان فلانا ربح
في تجارته يبادر [illegible] السعي فيها بكل ما يمكنه وارتكب [illegible] العظيمة [illegible] غير
مبال بما يلحقه في ذلك وما يحصل له من المشقات العظيمات كما قال بعضهم

• تقول مع العصيان ربي غافر • صدقت ولكن غافر بالمشيئة •
• وربك رزاق كما هو غافر • فلم لا تصدق فيهما بالسوية •
• فانك ترجو العفو من غير توبة • ولست ترجو الرزق الا بحيلة •
• على انه بالرزق كفل نفسه • لكل وما يكفل لكل بجنة •
• فلم تتحرى السعي فيما كفيته • واهمال ما كلفته من وظيفة •
• تسيء به ظنا وتحسن تارة • على قدر ما يقضي الهوى بالقضية •

واعلم ان الرزق وان كان مقسوما لكن المولى سبحانه ابهم وقته وسببه وواسطته
لمراد [illegible] وحكم عجيبة تعلم من التفويض في اسقاط التدبير للامام ابن عطاء الله تعالى في
العمل الذي عقده للتدبير في شان الرزق فعليك به فانه مهم تتميم في ذكر بعض
الاسباب الميسرة للرزق قال [illegible] في تسهيل الوصول قال بعض العارفين
ومن الاسباب القريبة لتسهيل الرزق [illegible] ملازمة [illegible]
الواقعة وملازمة الاذكار التي [illegible] لتسهيل الرزق وكثير منها في الاحاديث النبوية
منصوصا فيها على انها لتسهيل الرزق نحو لا اله الا الله الملك الحق المبين كل يوم
مائة مرة وهذا الذكر يكون الاتيان به عند طلوع الفجر او عند الزوال وغير ذلك الله

ويحمد سبحان الله العظيم واستغفر الله كل يوم مائة مرة ويكون الاتيان به بعد سنة الصبح
وقبل صلاة الصبح بحيث يكون متصلا بالفجر [illegible] ذلك بعد الصبح [illegible] وفي
كتاب الفوائد في الصلاة والعوائد خرج ابن ابي الدنيا بسنده الى النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قال كل يوم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم مائة مرة لم يصبه فقر ابدا
وفيه ايضا ان رجلا شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم الفقر فقال له اذا دخلت
منزلك اقرأ سورة الاخلاص فجعل الرجل ذلك فوسع الله تعالى عليه الرزق ومن
فوائد الشيخ سيدي علي الاجهوري رضي الله عنه ان من قرأ في اخر جمعة من شهر رجب
والخطيب على المنبر احمد رسول الله محمد رسول الله خمسا وثلاثين مرة لا تنقطع الدراهم من
يده تلك السنة وقد جربته فصح ومن الفوائد المجربة لذلك ايضا ما ذكره الامام
الدميري في حياة الحيوان في لفظ الشاة ونصه حدثنا شيخنا الامام العارف بالله عبد الله
بن اسعد اليافعي رحمه الله تعالى قال بلغني عن شيخنا العارف الامام ابي عبد الله محمد
الغزي شيء عن شيخه ابي الربيع المالقي انه قال له الا اعلمك كنزا تنفق منه ولا ينفد قلت
بلى قال قل يا الله يا احد يا واحد يا موجود يا جواد يا باسط يا كريم يا وهاب
يا ذا الطول يا غني يا مغني يا فتاح يا رزاق يا عليم يا حكيم يا حي يا قيوم يا رحمان
يا رحيم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال والاكرام يا حنان يا منان انفحني
منك بنفحة خير تغنيني بها عمن سواك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح انا فتحنا لك
فتحا مبينا نصر من الله وفتح قريب اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا ودود
يا ذا العرش المجيد يا فعالا لما يريد اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك
عمن سواك واحفظني بما حفظت به الذكر وانصرني بما نصرت به الرسل انك
على كل شيء قدير فمن داوم على قراءته بعد كل صلاة وخصوصا صلاة الجمعة
حفظه الله من كل مخوف ونصره على اعدائه واغناه ورزقه من حيث لا يحتسب
ويسر عليه معيشته وقضى عنه دينه ولو كان عليه مثل الجبال ذهبا اداه الله عنه
بمنه وكرمه قلت وهو مما جرب [illegible] ذلك والحمد لله ومما ذكر الناظم
رحمه الله [illegible] وانه مقدر [illegible] الى ان كل شيء قد سبق
به القضاء والقدر فقال فكل شيء قد جرى القضاء به [illegible]
بجرى وشيء مضاف اليه ما قبله وخذ للتخفيف وجرى فعل ماض بمعنى سبق ووقع
والقضاء فاعله والمعنى انه ما من شيء الا وقد سبق به قضاء الله تعالى
وقدره من سعادة وشقاوة وعسر ويسر وخير وشر ونفع وضر واجل ورزق
الا بقضاء الله تعالى وقدره قال الله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر اي بقضاء

وجح

وحظ وقياس مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدبير محكم بوقت معلوم ومكان محدود
مكتوب ذلك في اللوح قبل وقوعه قاله الخطيب وقال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى
اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان الله تعالى قدر الاشياء في القدم وعلم سبحانه
وتعالى انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على
حسب ما قدره الله سبحانه وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم
يتقدم علمه بها وانها مستأنفة العلم اي انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على
الله سبحانه وتعالى تعالى الله عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية
لانكارهم القدر قال اصحاب المقالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول
الشنيع الباطل ولم يبق احد من اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد
اثبات القدر ولكن يقولون الخير من الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقال
الخطابي وقد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد على ما قدره وقضاه
وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العبد
وصدورها عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها انتهى واعلم انه اختلف في القضاء والقدر
هل هما مترادفان على معنى واحد او متباينان لكل معنى يخصه فعلى الاول هما تعلق العلم
والارادة في الازل بالاشياء على ما هي عليه فيما لا يزال والاكثر على انهما متباينان
وعليه فهل القضاء سابق على القدر وعزاه السيد الشريف في شرح المواقف للاشاعرة
فقال قضاء الله عند الاشاعرة هو ارادته الازلية المتعلقة بالاشياء على ما هي عليه
فيما لا يزال وقدره ايجاده اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها
واحوالها اه وقيل القدر سابق وهو مذهب الاكثر قال الابي في شرح مسلم القدر عبارة
عن تعلق علم الله وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد قدره
سبحانه وتعالى اي سبق علمه به وتعلقت به ارادته والقضاء هو ابراز الكائنات فيما
لا يزال على وفق القدر في الازل اه وقيل هما معا حادثان والقضاء سابق وهو حصول
جميع الاشياء في اللوح المحفوظ جملة والقدر ابرازها مفصلة شيئا بعد شيء على وفق
القضاء ذكره ابن زكري في تكميله والشيخ السنوسي في شرح الامام مسلم وحاصله ان كل ما جرى في
الكون من قليل او كثير او خير او شر او نفع او ضر سابق به القدر ولا يقع في الوجود الا
ما علم الله سبحانه كونه وشاءه وقضاه وقدره علم كل شيء قبل كونه فجرى على
قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل الا وقد قضاه وسبق علمه به تعالى ان يكون
في ملكه ما لا يريد او يكون لاحد عنه غنى او يكون خالقا لشيء الا هو رب العباد ورب
اعمالهم والمقدر لحركاتهم وسكناتهم واجالهم كما في الرسالة وفي [illegible]

(margin: وقضى)

بأمر قال وقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون ولا يصدر شيئا احد من عبيده قول ولا فعل ولا
حركة ولا سكون الا وقد سبق به علمه وقضاؤه وقدره كيف يكون **سبحانه** الا ول
يدخل في قول الناظم بكل شيء من الخير والشر كما تقدم فيكون فيه رد على القدرية في
زعمهم انه تعالى لا يخلق الشر ولا يريد فعله ومذهبهم باطل اذ لو كان العبد يخلق الشر
والمخالفات وهي اكثر وقوعا من الطاعات لكان اكثر ما يقع في الوجود على خلاف
ارادته تعالى في الارض والسموات وذلك امر لا يرضى به امير بلد ولا زعيم في قرية تعالى الله
عما تقوله القدرية علوا كبيرا وفي الجوهرة للامام اللقاني

• وجائز عليه خلق الشر • والخير كالاسلام وجهل الكفر •

وتقدم قول ابي اسحاق تعالى ان يقع في ملكه ما لا يريد قال الشيخ جسوس وفيه رد على
القدرية القائلين بانه لا يريد الشر والكفر والمعصية وقوعا ولا يريد الخير
والايمان والطاعات وقوعا ولا وجودا بناء منهم على ان الارادة تتبع الامر فكل ما
امر به تعالى يريد فعله منهم اراد الله الطاعة فلم تقع الا قليلا وكثرت المعصية
فكانت هي الغالب على الخلق قال تعالى وما امن معه الا قليل وقليل ما هم ولكن
اكثرهم للحق كارهون فتعسا لمذهبهم حيث لزم منه ان يكون العاصي والشيطان
اقوى من العزيز القهار والآيات هي حجة عليهم قال تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى ولو شاء الله ما فعلوه انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون وانما تنعى على الشيء ما اراده الله تعالى ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة **وروي** ان رجلا جاء لابن عباس رضي الله عنهما فقال
له انت الذي تزعم ان الله تعالى اراد ان يعصى فقال نعم فقال اعصي جل ما اراد الله سبحانه
وتعالى ان يعصى فقال ابن عباس ويحك فما حال بين الله تعالى وبين ما اراد
وفي شرح النسفية حكي عن عمرو بن عبيد انه قال ما الزمني احد مثل ما الزمني
مجوسي كان معي في السفينة فقلت له لم لا تسلم فقال لان الله تعالى لم يرد اسلامي
فاذا اراد اسلامي اسلمت فقلت للمجوسي ان الله تعالى يريد اسلامك ولكن
الشياطين لا يتركونك فقال المجوسي فانا اكون مع الشريك الاغلب هـ **وحكي**
انه اجتمع عبد الجبار الهمداني مع الاستاذ ابي اسحاق الاسفرائني عند الوزير الصاحب
ابن عباد فقال عبد الجبار سبحان من تنزه عن الفحشاء فدفع عنه ابو اسحاق انه
يريد عن خلقها وانها كلمة حق اريد بها باطل فقال سبحان من لا يقع في ملكه
الا ما يشاء فالتفت اليه عبد الجبار وعرف انه فهم عنه فقال ايحب ربنا ان
يعصى فقال ابو اسحاق ايعصى ربنا قهرا فقال عبد الجبار ارايت ان منعني سبيل

الهدى

الهدى وسلك بي سبيل الردى احسن الي ام اساء فقال له ابو اسحاق ان منعك ما هو لك
فقد اساء وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء فانبهت الحاضرون وهم يقولون
ليس والله عن هذا جواب **قال** الشيخ جسوس بعد نقل ما تقدم واعلم انه لا يجوز الكلام
القول بان الله تعالى اراد الكفر والمعصية وان صح في الاعتقاد لما في ذلك من سوء الادب
ولانه يوهم ان المعصية حسنة مامور بها وانما يقال الله خالق كل شيء ونحو ذلك من
العبارات العامة بهذا اجيب كثير مما يتلجلج به ويشتد له في ابيات كثيرة فانهم قوله تعالى
الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقوله انا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
ام اراد بهم ربهم رشدا وقوله الذي خلقني فهو يهدين الى الآية ويحتمل ان يكون من هذا
الباب قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله الآية بدليل قوله قبل قل كل من عند الله
ويحتمل انه على حذف القول اي يقولون ما اصابك هـ **الثاني** مما يدخل ايضا
تحت قوله بكل شيء افعال العباد فهي مخلوقة له تعالى خلافا للمعتزلة القائلين
ان افعال العباد مخترعة لهم واقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار
والتمكين وقد اتفق لشخص منهم انه رمى رجله بحجر رجل من اهل السنة وقال له
اني رجعت رجلي من الارض بقدرتي فقال له السني فاذن ارجع الاخرى فلم يحر له
جوابا **قال** السعد في شرح النسفية وقد بالغ مشائخ ما وراء النهر في تضليلهم
في هذه المسالة حتى قالوا ان المجوس اسعد حالا منهم حيث لم يثبتوا الا شريكا
واحدا والمعتزلة اثبتوا شركاء لا تحصى هـ وقد تقدم قول ابي اسحاق رب العباد
ورب اعمالهم والمقدر لحركاتهم واجالهم وفي الجوهرة للامام اللقاني

• فخالق لعبده وما عمل • موفق لمن اراد ان يصل •
• وخاذل لمن اراد بعده • ومنجز لمن اراد وعده •

اي كما انه سبحانه وتعالى خالق العبد كذلك هو سبحانه خالق لسائر افعاله الاختيارية
واما الاضطرارية فهي مخلوقة له تعالى باتفاق اهل الحق وغيرهم فالفعل مخلوق
له تعالى وان كان قائما بالعبد كالبياض القائم بالجسم فخلقه لله تعالى وايجاده
وليس لقدرة العبد الا مجرد المقارنة كالاسباب العادية معها لا بها قال تعالى
والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى خالق كل شيء قال بعض علمائنا والاستدلال
بالاية الاولى تام سواء جعلت ما مصدرية او موصولة اسمية اي خلقكم وخلق عملكم اي
معمولكم اعني الاثر الناشئ عن الايقاع او خلقكم وخلق العمل الذي تعملونه اي الاثر
المذكور لا نفس الايقاع لانه امر اعتباري [illegible] **قال** السعد في شرح النسفية
ما نصه قد يتمسك بانه لو كان خالقا لافعال العباد لكان هو القاعد والقائم

والاكل والشارب والزاني والسارق الى غير ذلك وهو جهل عظيم لان المتصف بالشيء
من قام به ذلك الشيء لا من اوجده او لا يرى ان الله تعالى هو الخالق للبياض والسواد
وسائر الصفات والاجسام ولا يتصف بذلك ه‍ محل الحاجة منه كما قال بعضهم انه لا يلزم من
تعلق الصفة بشيء قيام ذلك الشيء بالذات **واما** الكسب الذي اثبته الاشاعرة
للعبد في افعاله الاختيارية فليس معناه الاختراع لتلك الافعال كما ذهب المعتزلة
ولا ان قدرته الحادثة انضمت الى القدرة القديمة في ايجاد الفعل فوجد بمجموع القدرتين
كما يعتقده من لا خبرة له بمذهب اهل السنة بل معناه مقارنة القدرة الحادثة للفعل
وملابستها له من غير تاثير لها اصلا فليست علة ولا جزء علة للايجاد وعلى ذلك نبه
من قال • مذهبنا ان لنا قدرة • حادثة لسنا بها نقدر • وربنا سوغ الكلام فيها
في قوله من قبل ان تقدروا • وفي جوهرة التوحيد

• وعندنا للعبد كسب كلفا • ولم يكن مؤثرا فلتعرفا •
• فليس مجبورا ولا اختيارا • وليس كلا يفعل اختيارا •

قال الشيخ جسوس في شرح الرسالة ويقال العبد مجبور في قالب المختار وله حالة
بين حالتين ومنزلة بين منزلتين وقد صرح الغزالي ان الحكيم تحقيقه هذه المنزلة قال
تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فقوله وما رميت نفي للخلق والايجاد خلافا للقدرية
مجوس هذه الامة في قولهم ان لنا قدرة حادثة تؤثر في الافعال على حسب ارادة العبد ولا شك
انهم مبتدعة اشركوا مع الله غيره وقوله اذ رميت اثبات للكسب والاستطاعة التي يجدها
لصفة الافعال للعبد **والكسب** كما في المقدمات عبارة عن تعلق القدرة الحادثة بالفعل
لمقدورها في محلها من غير تاثير ه‍ قال والحاصل كما في شرح الكبرى ان الله سبحانه يوجد في العبد
صفة تسمى قدرة بها يتيسر الفعل له ولا تاثير لهذه القدرة في الفعل اصلا بل هي مثله فعل
لله جل وعلا خلق مقارنا له وفي هذه الحالة التي يخلق الله مع الفعل قدرة تقارنه يسمى
العبد في الاصطلاح مختارا او مكتسبا او فاعلا والاسمي مضطرا او مجبورا ه‍ ولا شك انا نجد فرقا
كما هو بين القيام والكلام اتباعا للهواء فان الانسان يجد من نفسه باستطاعة القيام دون
الطيران وذلك الفرق بين القيام والطيران هو المعبر عنه بالاستطاعة والكسب وهو
متعلق التكليف والثواب والعقاب خلافا للجبرية في قولهم باستواء الافعال كلها وانه لا
قدرة تقارن شيئا منها عموما فبطلوا محل التكليف والثواب والعقاب لانه اذا لم يكن شيء
من الافعال في وسع المكلف لم يكن تكليف بشيء منها لقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا
وسعها الا ما تسعه كما قلنا بحسب الظاهر والعادة ويلزم من بطلان التكليف تكذيب
الرسل واختلف في لازم القول هل يعد كفرا او لا وهاتان الطائفتان نقيضتان ه‍ وقوله ولكن الله

(رمى)

رمى اثبات للخلق والاختراع له سبحانه فتحقق مذهب اهل السنة بين مذهبي الجبرية
والقدرية فسقوط من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين بين قوم اسكروا
وقوم بجبرية وبين قوم في طواوهم القدرية قال ابن جمعي الغازي ما اني باياك نعبد واياك
نستعين بعد لبين أي من الجبر والقدر **قال** الشيخ زروق قال بعض العلماء وهذه المسألة التي لم
يرتفع الخلاف منها لحد الآن ولا يرتفع الى الابد ه‍ ثم حكى الشيخ جسوس انه يرد على
مذهب اهل السنة ايراد من قبل المعتزلة وهو انه يلزم على انه مجبور في نفسه التناقض
لان حاصل التكليف على هذا افعل يا من لا فعل له وافعل ما انا فاعله واجيب بانا
نقول بهذا الحاصل وكان ماذا او لله الحجة البالغة او نقول العبد مكتسب والفعل تابع
لعزمه وتصميمه وهو طوع يده بحسب الظاهر حتى يتوهم كثير انه مخترعه فصح ان يقال له
افعل ولا تناقض قال الامام المنجور في حواشيه على الكبرى ونقل عن ابي العباس بن
البناء المكناسي ما يكشف الغطاء في مسألة الكسب ونصه كل واحد يجد من نفسه استطاعة
على الاقدام والاحجام ولا يدرك ان القدر يمنعه مما لا عهد له ويجبره على الاخر فلم يقدم او يحجم
لاجل الاطلاع على مراد الله بل يقدم او يحجم لما يجده من نفسه مما اراد من شهوته ومما
يقدر مما استطاعه وبعد الوقوع يعلم انه كان مجبورا في عين اختياره فلذلك لا قبل
الوقوع فالجهة التي منها اقدم واحجم بحسب ادراكه هو كسبه والجهة التي منها حصل ذلك
هو الجبر وكلاهما حق فالكسب من حال الخليقة والجبر من وجه الحقيقة والتكليف
والثواب والعقاب كل ذلك رتبه الله سبحانه على الكسب من وجه الخلق لا على الجبر من
وجه الحقيقة ه‍ **قال** سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله في العهود المحمدية يحكى ان
ابليس لعنه الله تعالى قال يا رب تأمرني بالسجود لآدم ولم تشأ ذلك مني فلو اردته
لوقع مني ولم اخالف فقال له الحق تعالى متى علمت اني لم ارد ذلك منك قبل الاباية
او بعدها فقال بل بعدها فقال تعالى بذلك اخذتك ه‍ **التنبيه** وردت
الاحاديث بالايمان بالقدر مذهب السلف والخلف لان كل واحد منهما لا يفيد شيئا
وفي الحديث ايضا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل شيء حقيقة ولا يبلغ عبد
حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه رواه
الامام احمد ويشهد له قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان
نبرأها فلا فائدة في اسهار مطية وجفت مما في الازل بلا محالة نتيجة مرافعتها قال العلماء
وبذلك حث على التوكل ونفي الحول والقوة والرضى بما تبديه الاقدار والتسليم
للذي يخلق ما يشاء ويختار يحكى ان رجلا قال للامام احمد عظني فقال له ان كان الله
تعالى قد تكفل بالرزق فاهتمامك لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان

كانت الجنة حقا فالحق لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت
الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل
شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا واشار الناظم رحمه الله بقوله بيده الحكم لا
والعطاء بعض فضله ومالك يشاء ويمنع الى ان مقاليد الامور كلها بيد الله
سبحانه فهو الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا معقب لحكمه ولا
راد لقضائه لا يسأل عما يفعل فهو سبحانه المعطي والمانع والخافض والرافع
والضار والنافع والمعز والمذل والمحيي والمميت فارادته متعلقة بجميع الممكنات
كعلمه حسبما اقتضاه عموم الآيات قال الله تعالى من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل
فلن تجد له وليا مرشدا وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام الآية
وقال تعالى يختص برحمته من يشاء وقال تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير الا
فضل الله يؤتيه من يشاء ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقال تعالى وما
تشاءون الا ان يشاء الله فنفى سبحانه مشيئة الحوادث فجعل مشيئته الازلية
اذ مشيئة الخلق صادرة عن مشيئة الازل لذلك فالحكم الى المشيئة بسبقه كل
شيء فهو تعالى منزه عما ان تكون مشيئته مشيئة غير مشيئته الازلية واذا
سقطت مشيئة الحدثان ارتفعت الاختيارات والتدبيرات واستنار نظره في
الرضى والتوكل والتفويض وبانت حقائق الوحدانية اذ الحدثان اضمحل في
جناب عز الرحمان قال الواسطي تجرد بجميع اوصافك فلا تشاء الا مشيئته
ولا تعمل الا بقوته ولا تطيع الا بفضله ولا تعصي الا بخذلانه فماذا يبقى لك وماذا
تفتخر من افعالك وليس لك من فعلك شيء ولقد احسن القائل

يا خالق ما يشاء . ممن يشاء كيف يشاء . ومعطيا لما يشاء . ومانعا لما يشاء .
اياك نعبد ما نشاء . فالكل فينا ما تشاء . كي لا يكون ما نشاء . خلاف ما انت تشاء .

وقال الشافعي رضي الله عنه

فما شئت كان وان لم اشأ . وما شئت ان لم تشأ لم يكن . خلقت العباد على ما علمت .
ففي العلم يجري الفتى والمسن . فبعض قوي وبعض ضعيف . وبعض الغنى وذا الى تعس .
وهذا شقي وهذا سعيد . وهذا قبيح وهذا حسن .

قال الشيخ زروق في شرحه للحكم ومن تأمل آية وما تشاءون الا ان يشاء الله لم
يبق لاختياره عنده فائدة فيلغيه ويتعلق باختيار الله وان اختار خلاف ما
اختاره فاعتبر بفعل القادر فيقتضي ويستفيد حسن الخالقية بلا فائدة

ومن

ومن نظر الى هذه العوالم كلها انسها وجنها وملائكتها سافلة الاختيار
وان المختار فيها والمدبر لها واحد جال على قلبه من العظمة والجلال ما يقضي
بتلاشي الخلائق وتبرئ الخلائق وهذا باب واسع من الحكمة هـ وقال في موضع
آخر منه اذا ثبتت ارادته تعالى للشيء لم تثبت ارادة حادثة لذلك الشيء معها
اما اذا كانت موافقة فلا اثر لها اذ هي تابعة واما اذا كانت غالبة فلا اثر لها
اذ هي غير نافذة فاذن لا اثر للارادة مع ارادته تعالى لان الشيء الذي لا اثر له
ولا ينبني عليه وجود ولا ينفذ في حق العبد من اراد ما اراد الله فوض الامر له وفني
الارادة عليه ولم يعد نفسه من يد اذ الاختيار لا يثبت مع سلب الاختيار فقد سلم
الارادة له ولم يثبت لنفسه ارادة ولم يجعل لها اختيارا ومن اراد غير ما اراد الله
فقد نازع الله في ارادته وناهيك بجهل العاجز من كان وجه اذا نازع القادر من كان
وجه ارادته هذا بتخييل نفوذها عقلا لتكاثر الادلة العقلية على انه لا يكون الا
ما اراد الله وشتى على النفس عدم ذلك وعادته تجري بان العادة على وفق العقل بمعنى
في حق العبد فلا اثر لها ولا نتيجة وهذا معنى ما في بعض الآثار يقول الله تعالى
يا ابن آدم تريد وانا اريد ولا يكون الا ما اريد فان سلمت لي فيما اريد اعطيتك ما تريد
وان نازعتني فيما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد واذا ثبت انه لا يثبت
الحادث مع من له وصف القدم فما تترك من الجهل شيئا من اراد ان يحدث في الوقت
غير ما اظهر الله فيه هـ وقد اجمعت الامة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو اعلم بكل شيء ومن علم ان الامور كلها بيد الله
سبحانه وتعالى توكل عليه وفوض جميع اموره اليه ولم يشاهد من غيره عطاء ولا منعا ولا
ضرا ولا نفعا بل فني نظره عليه ولم يبق مع حوائجه الا اليه فان شهود العطاء من الخلق تنشأ
عنه مفاسد كثيرة كالتعلق بهم والبعد عن الحق سبحانه وذلك كمدح المعطي ومدح من لم
يستحق المدح منهم وبالعكس والخضوع لمن لا يستحق الخضوع منهم واشتغال القلب بهم ود
والخوف منهم بسقوط المنزلة عندهم والتملق لهم بما ليس فيه عنده الى غير ذلك ولهذا
قال في الحكم العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله احسان اذ شهود العطاء وبتشتت
عن شهوده من الله تعالى رفع الهمة عن الخلق فيما وعدم التعلق بهم والوقوف بابوابهم
قال في لطائف المنن شعار اهل الارادة ودثارهم الاكتفاء بالله ورفع الهمة عما سوى
الله وصيانة ملابس الايمان من ان تدنس بالميل الى الاكوان او الطمع في غير الملك الديان
ولذا في هذا المعنى

قم للامور عن الورى دينا جنب . وارفع عن الملوك وانت فيك .

أأريد إلى العظيم البر • وجميعهم لا يستطيع نفعي فلا •
أم كيف أسأل رزقه من غيره • فهذا الذي إن يعلمه هو الجهل •
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله • عجز أفاد جماليه على شغله •
فاستغن بالله الذي إحسانه • عم البرية منه وتفضله •
والجأ إليه فإنه نعم الذي • لا تبعد عنا أبوابه حتى جا •

قال والذي يوجب لك رفع الهمة عما سوى الله تعالى علمك بأنه لم يجعل إلى مملكته أحد وقد كفاك ومنعك وأعطاك فلم تبق لك حاجة عند غيره وقبيح أن تكون عبدا له فيما سبقه وترجع وجه طمعك إلى غيره فاحذر أن تكون من الذين قال الله فيهم وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ولا تطلب من هو عند غيره وتترك الطلب من مولى هو أقرب إليك من حبل الوريد ألم تسمع قوله تعالى وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان وقوله سبحانه ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد وقوله سبحانه ادعوني أستجب لكم وقوله سبحانه واسألوا الله من فضله وقوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه فكل ذلك يجمع لهم عباده عليه وكيف لا يتبع مولاه من احتاج إليه انتهى ومن الحكم لا تتعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال أي فالهمة العلية تأنف من رفع حوائجها إلى غيره ممن لا يقدر على الحقيقة إلا الله تعالى إذ الكريم هو الذي إذا قدر عفا وإذا وعد وفى وإذا أعطى زاد على منتهى الرجاء ولا يبالي كم أعطى ولمن أعطى وإذا جفي عاتب وما استقصى ولا يضيع من لاذ به والتجأ ويغنيه عن الوسائط والشفعاء وهذه الصفات لا يستحقها حقيقة إلا الله سبحانه وتعالى فينبغي أن لا تتخطاه آمال المؤملين إلى غيره قال الشيخ عبد الله الشرقاوي واعلم أن الطلب من الخلق المنافي للعبودية هو الطلب منهم على وجه الاعتماد عليهم والاستناد إليهم والغفلة في حال الطلب عن الله تعالى أما الطلب منهم من حيث كونهم أسبابا ووسائط مع الاعتماد في نيل المطلوب على الله ورؤية أنه المعطي فليس منافيا للعبودية انتهى ومن الحكم أيضا لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردها عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا قال ابن عباد إذا أورد الله تعالى عليك حاجة أو نزلت بك نازلة فاعلم أنه لا رافع لها سواه إذ يستحيل أن يرفع غيره ما كان هو له واضعا لشرك نرجيه له في أن لا فاعل سواه وإذ هو غالب على أمره لا يغالبه أحد ويستحيل أيضا أن يرفعها عنك من لا يستطيع أن يرفعها عن نفسه لو نزلت به لشركه عجزه وضعفه ومن المحال تعلقك في حاجتك بمن هو محتاج مثلك قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذي

لم يزل

لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائمان فلا تعتمد إلا على من يدوم عليك منه الفضل والعطاء في كل نفس وحين وأوان وزمان قال عطاء الخراساني رضي الله عنه لقيت وهب بن منبه في الطريق فقلت حدثني حديثا أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز فقال أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود أما وعزتي وجلالي لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعلم ذلك من نيته فتكيده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له منهن فرجا ومخرجا أما وعزتي وجلالي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعلم ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السموات السبع من يده وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي بأي واد هلك وفي حديث ابن عباس إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله فهو سبحانه الغني على التحقيق والمولي لكل خير وتوفيق لا معطي ولا مانع سواه ومن أيس الجود بيده واسم هذا إليه قال بعض العارفين قيل لي في نومي كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبدين فاقة لغيري فأضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك إذا ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفسي بالغنى لترجع مني إلي وتتضرع مني لدي فإن وصلتها بي وصلتها بالغنى وإن وصلتها بغيري قطعت عنك أسباب معونتي وفي الخبر قال الله تعالى من ذا الذي دعاني فلم أجبه وسألني فلم أعطه واستغفرني فلم أغفر له وأنا أرحم الراحمين وقال طاووس لعطاء إياك أن تطلب حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك بالدعاء ووعدك أن يجيبك فقد علمنا أن سؤال الخلق والتعويل عليهم في الأمور لا فائدة له وقلوبهم بيد الله يقضي فيها على وفق مشيئته سبحانه ولي في المعنى

لا تلتجي إلا إلى الله في حاجتك • وابذل له وجهك مع فاقتك •
واسأله دون الخلق فهو الذي • يعزى على فقدك من حالتك •
كيف وقد عمك إحسانه • وهو الذي يشفيك من علتك •
شكواك للخلق دليل على • أنك أعمى القلب في غفلتك •
كم في بقاء ساء تاوح محنة • من جعلها للطمع في ساعتك •
فثق به واسأله من فضله • فهو الذي يكفيك في عيلتك •

في بعض الكتب الإلهية وعزتي وجلالي لأقطعن أمل من يؤمل غيري ولألبسنه ثوب المذلة عند الناس ولأخيبنه من قربي ولأبعدنه من وصلي ولأجعلنه متفكرا حيران يؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم ويطرق بالفكر أبواب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني بالواجب

على معنى كان يريد الله العطاء والمنع والنفع والضر والخفض والرفع ان يخلف
الخلفاء وراء ويتبعهم بالجزاء ويقضي النفع على الفاعل المختار الذي اجرى الله مدار
وبه لا يصح للايغتر بما ابطأ الليل والنهار قال العلماء وبقدر ما يميل قلب
العبد الى المخلوق يبعد عن مولاه تعالى وسبب ذلك ضعف اليقين وتغلب الغافلين
والعكس بالعكس كما ذكر ذلك فيها واخر والله يوفقنا لما فيه رضاه بمنه وكرمه
ثم من قوله يخفض قوما ان يشاء ومن يعز إشارة الى قوله تعالى كل يوم هو
في شان قال في الكشاف اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد احوالا كما روي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تلاها فقيل له وما ذلك الشان فقال من شانه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة رضي الله عنه الدهر عند الله تعالى
يومان احدهما اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء
والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشانه فيه الجزاء والحساب وسأل بعض الملوك
وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له اسود يا مولاي اخبرني
ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره فقال له انا افسرها للملك فاعلمه فقال
ايها الملك شان الله ان يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي معافى ويعافي
مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الملك احسنت وامر
الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان الله وعن
عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات
دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة
وقوله تعالى كل يوم هو في شان وقد صح ان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة
وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان
لا يكون الندم توبة في تلك الامة ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة
بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على
حمله واما قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي
ان اجزيه بواحدة الفا فضلا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شئون يبديها
لا شئون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه وذكر بعض العلماء ان
الامام ابن الجوزي جلس يوما على كرسي وعظه فذكر الآية فوقف رجل على راسه
فقال ما يفعل الله في الازل وما يفعله الآن وما يفعله فيما ياتي فبقي عن الجواب
فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فقال له ان السائل هو الخضر وسيعود اليك

فقل له

فقل له فعل الله في الازل تقدير المقادير وفعله الآن اظهار تلك المقادير
وفعله فيما ياتي ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى

• يعلي المفلس في عز اعتنقا • فاضحى يلبس المعالي على عال •
• يوما ترى يك خسيس النفس يرفعه • الى السماء ويوما يخفض العالي •

تتمة قال بعض العارفين معنى كون الله تعالى هو المعطي والمانع
ان لا يعتقد بعطاء احد ولا منعه بل لا يعتقد بالاسباب فضلا عن غيرها وكذا معنى
كونه الضار النافع لم يرج النفع من غيره اذ من لا قدرة له على نفع نفسه
كيف يكون له قدرة على ان ينفع غيره وانما يكون اعتماده بالكلية على الله سبحانه
لطيفة يحكى عن موسى عليه السلام انه شكا الم سنه الى الله تعالى وهو
واحد اسنان الفم فقال الله تعالى له خذ الحشيشة الفلانية وضعها على سنك
ففعل فسكن الالم في الحال ثم عاوده بعد مدة فاخذ تلك الحشيشة ووضعها
على سنه فازداد الالم اضعاف ما كان فاستغاث الى ربه وقال الهي الست
امرتني بهذا ودللتني عليه فاوحى الله اليه يا موسى انا الشافي وانا المعافي
وانا الضار وانا النافع قصدتني في المرة الاولى فازلت ما بك والآن قصدت
الحشيشة وما قصدتني نسأل الله تعالى ان يجعل استنادنا اليه واعتمادنا
عليه بمنه وكرمه امين ثم قال الناظم

• واذكر اخي القوم الذين سلفوا • بصالح القول فنعم السلف •
• وما تقع حقا اخي في الحب • ولا تخف بجمعهم بالسب •
• فانهم ليسوا اهلا للنيل • بعلمهم وفخرهم الوافي علل •

الواو عاطفة وجملة اذكر معطوفة على الجملة السابقة واخي منادى على حذف حرف
النداء كما تقدم تكميل والقوم بالنصب مفعول باذكر قال في القاموس القوم الجماعة
من الرجال والنساء معا او الرجال خاصة او تدخله النساء على تبعية ويؤنث والجمع
اقوام وجمع الجمع اقاوم واقاوم واقايم وفي المختار القوم الرجال دون النساء لا واحد له
من لفظه قال زهير • وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم آل حصن ام نساء •
قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وربما دخل النساء فيه على
سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء والقوم يذكر ويؤنث لان اسماء الجموع التي
لا واحد لها من لفظها اذا كان للآدميين يذكر ويؤنث مثل الرهط والنفر والقوم
وسلفوا بمعنى تقدموا يقال سلف يسلف بالضم سلفا اي مضى وتقدم وسلف الرجل
آباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وبصالح متعلق باذكر والقول مضاف اليه

ما قبله وهو من اضافة الصفة للموصوف اي بالقول الصالح ونعم على الامر بفعل جامد رافع
لفاعل معرف بال كما هنا او بالاضافة الى ما قارنها كنعم عقبى الدار والمخصوص بالمدح
محذوف لتقدم ما يشعر به على حد انا وجدناه صابرا نعم العبد اي نعم السلف هم وقوله ما جرى
اي اخلص لهم الحب والمدح فيه يقال ما جاءه صدقه الاخاء كامحضه ويقال امحضته الود
اي اخلصته وقوله لا تخض اي لا تدخل نفسك في الكلام فيهم بالسب والشتم يقال خاض في
الامر دخل فيه وخاض في الباطل كذلك والى لك الخطا والعلل جمع علة وهي المرض
والمعنى انه يجب عليك ايها الاخ في الله ان تذكر القوم السالفين الماضين من الصحابة
والتابعين والعلماء العاملين والاولياء والصالحين بذكر حسن وقول صالح فانهم نعم
السلف لنا ولا تدخل نفسك في سبهم وشتمهم ونسبة النقص اليهم فانهم رضي الله عنهم
ليسوا باهل للنقص والخطا وكم ازالوا بعلومهم التي نقلت الينا والى من قبلنا من العلل
والامراض القلبية بين اهل السنة الحسنى التي اي اما الصحابة رضي الله عنهم فذكر جميعهم
بالحسن الذي مامور به لما فيه من امتثال الامر بتعظيمهم كما ان ذكرهم بالقبيح ممنوع بل
بالاجماع لما فيه من نفي فضلهم قال القلشاني رضي الله عنه في الشفا ومن توقيره
وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم والاعراض عن اخبار المورخين وجهلة
الرواة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل
من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج
اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم واذا
ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار
رحماء بينهم الى اخر السورة وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الاية وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في
اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن
اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا
نصيفه وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس

اجمعين

اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي
منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير
وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء
المسلمين حق وقال من غاظه اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر قال
الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا
فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان
فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن
الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم
فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى
السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير
وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر
لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا
يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا وقال رجل
للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس
باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه
على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل
عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في
الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي
واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة ومن لم يحفظني فيهم
تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك ان ياخذه وعنه عليه الصلاة
والسلام من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيامة وقال عليه السلام
من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض
ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب
الخلق والذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع
فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله تعالى وامر النبي صلى الله عليه وسلم

نبيهم ومن والاهم ومعاداة من عاداهم **وروى** عن كعب رضي الله عنه ليس احد من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة وطلب من المغيرة
بن نوفل ان يشفع له يوم القيامة **وقال سهل** بن عبد الله التستري لم يومن
بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره صلى الله عليه وسلم **وفي الرسالة**
وان لا يذكر احد من صحابة الرسول عليه السلام الا باحسن ذكر **وقال**
بعض العلماء المحققين واعلم ان محبة الصحابة رضي الله عنهم واجبة على الجملة
والتفصيل لوجوه ثلاثة **الاول** لحسن اخلاقهم وجميل افعالهم وعظيم
نصيحتهم للامة وشفقتهم على الدين والشريعة واداءهم للامانة وبسط
العدل بين الامة بالاستقامة من طالع كتب السير وتامل امورهم في مغازيهم ومن زهدهم
وملاحمتهم للكفار مع قلة عددهم وعددهم وكثرة المشركين عددا وعددا اذ امن
شجاعتهم وجميل خصالهم ما يبهر العقول ولقد جيشوا المشركون الجيوش
وجمعوا العساكر وحشدوا الاحزاب فما وهنوا وما ضعفوا وما استكانوا كيف
وكل ما تراه من بلاد الاسلام وفتوحاتها وامصارها فانما فتحوها بالجهاد وقيل انما
فتح على ايديهم بقطع سيوفهم وعظيم ايمانهم ومن نفعهم الكاملة التي حصلت
لهم من النور المحمدي وكل ما حصل بايدي المسلمين من جباية الاموال من الغنائم
المتكاثرة انما ذلك بسببهم وكذلك كل ما تراه من علم نافع ومن فقه وسنة
وفضيلة ونافلة فهم الذين حملوا المؤونة في حفظه على اتم وجه والحاصل
كل هذا في زمن قليل وعدد يسير رضي الله عنهم وارضاهم **الثاني** لحسن
محبتهم لنبي الرحمة وخير الامة صلى الله عليه وسلم وجميل عشرتهم معه في كل
وقت وساعة وعظيم حرصهم له في كل امر بالسمع والطاعة وبذل الانفس
والاموال له عند كل نازلة واحتمالهم المشقة في خدمته عند المقاتلة مع اهل
الكفر والضلال فقد كان صلى الله عليه وسلم لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكـ
ـادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها
باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا يسقط منه شعرة الا ابتدروها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له حتى قال عروة بن مسعود حيث كسرى في ملكه
وقيصر في ملكه فما رايت احدا يعظمه اصحابه مثل ما يعظم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم **وفي اخبار الاسرائيليين** ان رجلا عصى الله مائتي سنة
فلما مات اخذه بنو اسرائيل ورموه على المزبلة فاوحى الله لموسى عليه

السلام

السلام ان غسله وكفنه وصل عليه في جمع بني اسرائيل ففعل موسى فعجبت بنو
اسرائيل من ذلك وقالوا لموسى لم يكن في بني اسرائيل اكثر معاصي ولا اعتى على الله
منه قال قد علمت ولكن الله امرني بذلك قالوا فسل الله عنه فاوحى اليه قد
صدقوا في حديثه الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم
مكتوبا فيها فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك وغفرت له ذنوب
مائتي سنة **قال** رحمه الله لهذا بهذا الفعل فكيف بمن امن بالنبي عليه
السلام ووازره واتبعه واطاعه وبذل النفس والمال دونه وتامل قضية
التي الانصارية التي قتل باحد ابوها واخوها وزوجها مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو
بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فلما راته قالت كل مصيبة
بعدك جلل وقضاياهم في شدة محبتهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة
الثالث محبة الله تعالى لهم وتنزيل الرضا من مولاه عنهم واختياره لهم
اياهم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ثم رضى النبي عليه السلام عنهم ومدحه اياه
لهم وشهادته لهم وذكرهم وعظيم مدحه لهم قال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا
اصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم
ولا نصيفه **تنبيهات الاول** قال ابن حجر في اول الاصابة
اتفق اهل السنة على ان جميع الصحابة عدول ولم يخالف في ذلك الا شذوذ
من المبتدعة وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلا نفيسا في ذلك فقال عدالة
الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم واخباره عن طهارتهم واختياره لهم
في ذلك قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس وقوله وكذلك جعلناكم امة وسطا
وقوله لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم
وقوله والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم ورضوا عنه وقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من
المومنين وقوله للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون
فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون الى قوله انك
رءوف رحيم في ايات كثيرة يطول ذكرها واحاديث شهيرة يكثر تعدادها
وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج احد منهم مع تعديل الله
له الى تعديل احد من الخلق على انه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما
ذكرناه لاوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الاسلام

وبذل المهج والاموال وقتل الاباء والابناء والمناصحة في الدين وقوة الايمان
واليقين القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم وانهم كافة افضل من جميع
الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء
ومن يعتمد قوله ثم روى بسنده الى ابي زرعة الرازي قال اذا رايت الرجل ينتقص
احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم فاعلم انه زنديق وذلك
ان الرسول حق والقرءان حق وما جاء به حق وانما ادى الينا ذلك كله الصحابة
وهؤلاء يريدون ان يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم اولى
وهم زنادقة انتهى الشاذلي قال في الرسالة والامساك عما شجر
بينهم وانهم احق الناس ان يلتمس لهم احسن المخارج ويظن بهم احسن
المذاهب يعني ان من الواجبات الكف والسكوت عما وقع بين الصحابة رضي الله
عنهم من النزاع والقتال وذلك كالواقع بين سيدنا علي وسيدنا معاوية رضي الله
عنهما في وقعة صفين وهو اسم موضع او ماء بالشام وكما وقع بينه اي علي وبين
الزبير وطلحة رضي الله عنهم في وقعة الجمل بالعراق وغير ذلك وانما وجب
ذلك قال العلماء لانهم اعرف واقوى علما ودينا ممن بعدهم ولذلك لما سال
اهل البصرة عبد الله بن عمر عن امر عثمان وعلي رضي الله عنهم قال تلك امة قد خلت لها ما
كسبت ولكم ما كسبتم وقال الامام مالك او الشافعي او عمر بن عبد العزيز او ميمون بن
مهران رضي الله عنهم تلك دماء طهر الله منها ايدينا فلا نخضب بها السنتنا وروي
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل العين
ودواء العين ترك مسها وسئل الحسن عن علي ومعاوية رضي الله عنهما فقال
شغلني عنه ذكر المعاوية قال بعض العلماء واذا كان مثل هؤلاء السادات مع قوة
علمهم ورسوخ قدمهم في الدين رضي بعضهم بما كان على ما كان لا يخوضون في ذلك
ولا يذكرونه بغير مع فضل علمه وورعه فانتم احق واولى بهذا الامساك والناقلون لذلك
لا يتثبتون في النقل بل ينقلون الغث والسمين فالصواب الاعراض عن ذلك واعتقاد
ان جميع ما وقع بينهم باجتهاد وان الاجر ثابت لجميعهم وان الطاعن عليهم فاسق انما
يتوصل للطعن على الشريعة بذلك وهو خارج عما قال ابن فورك لعدالة جميعهم لحديث
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وحديث خير امتي قرني رواه الشيخان وقول
في الرسالة وان يلتمس لهم احسن المخارج يعني انهم رضي الله عنهم احق الناس ان يطلب
لهم احسن التاويلات في وقائعهم وان يعتقد ان ذلك لم يكن لاجل الدنيا لان الدين
هو الذي كان عندهم مقدما وان الدنيا انما كانت تحت اقدامهم فلم يكن تنازعهم في

رياسة

رياسة او نيل حظوظ نفسانية وشهوات انتهى قاله الشيخ جسوس رحمه الله وفي اليواقيت
وكيف يجوز الطعن في حملة ديننا ومن لم يات الينا خبر عن نبينا صلى الله عليه
وسلم الا بواسطتهم ومن طعن في الصحابة فقد طعن في نفس دينه فيجب سد
الباب جملة واحدة لاسيما الخوض في امر معاوية وعمرو بن العاص واضرابهما
ولا ينبغي الاغترار بما نقله بعض الروافض عن اهل البيت ساداتي فينبغي لنا
مثل هذه المسالة من عقائد الدين ولا يخرج فيها الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانها مسالة نزاع بين اولاده واصحابه قال الكمال بن ابي شريف
وليس المراد بما شجر بين علي ومعاوية المنازعة في الامارة كما توهمه بعضهم
وانما المنازعة كانت بسبب تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه الى عشيرته
ليقتصوا منهم لان عليا رضي الله عنه كان يرى ان تاخير تسليمهم اصوب اذ
المبادرة بالقبض عليهم مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب
امر الامامة العامة فان بعضهم كان عزم على الخروج على الامام علي وعلى قتله
لما نادى يوم الجمل بان يخرج عنه قتلة عثمان وراى معاوية ان المبادرة الى تسليمهم
للاقتصاص منهم اصوب فكل منهما مجتهد ماجور وهذا هو المراد بما شجر
بينهم انتهى ه تتمة في الحلية لابي نعيم في ترجمة عمرو بن شرحبيل قال
رايت في المنام كاني دخلت الجنة فاذا قباب مضروبة فقلت لمن هذه فقيل لذي
الكلاع وحوشب وكانا ممن قتلا مع معاوية قلت فاين عمار واصحابه قالوا امامك
قلت وقد قتل بعضهم بعضا فقال انهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة التنبيه
الثالث قال الامام القلشاني في شرح الرسالة اختلف العلماء في التفضيل
بين الصحابة فمنهم من وقف قال مالك ادركت جماعة من اهل بلدنا لا يفضلون
بين الصحابة ويقولون الكل فضلاء والاكثر على التفضيل وعليه فافضل
الصحابة اهل الحديبية لاية لقد رضي الله عن المؤمنين فيلزم لتسبه اهل الحديبية
وافضلهم اهل بدر لخبر مسلم عنه عليه الصلاة والسلام انه قال اطلع الله على
اهل بدر فقال يا اهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وافضل اهل بدر العشرة
وافضل العشرة الخلفاء الاربعة ومن في التفضيل على ترتيبهم في الخلافة وقيل
بالوقف بين علي وعثمان رضي الله عنهم اجمعين وبقيتهم تبع بعده ومن العلماء
من ذهب الى ان من مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة شهيدا
او غير شهيد افضل ممن بقي بعده وعلى مذهب الاكثر ذهب في الرسالة
فقال وافضل الصحابة الخلفاء الراشدون المهديون ابو بكر ثم عمر ثم عثمان

ثم علي رضي الله عنهم وعلى التفضيل ايضا خرج اللقاني في جوهرته فقال

وصحبه خير القرون فاستمع • فتابعي فتابع لمن تبع
وخيرهم من ولي الخلافه • وامرهم في الفضل كالخلافه
يليهم قوم كرام بررة • عدتهم ست تمام العشرة
فاهل بدر العظيم الشان • فاهل احد فبيعة الرضوان

وقال في اليواقيت فالمراد وافضل الناس بعد الخلفاء الاربعة بقية العشرة
المشهود لهم بالجنة ومدارها على العشرة فالادب الوقف عن الخوض في تفضيلهم
مع محبتهم وتعظيمهم وربهم يجتمع على سائر الاولياء هـ وقال الجد ثم ان
افضل الناس بعد العشرة اهل بدر ثم اهل احد ثم اهل بيعة الرضوان ثم السابقون
من المهاجرين والانصار من اهل بدر او من اهل احد او ممن صلى للقبلتين
في ذلك اقوال ذكرها الحافظ ابن حجر رضي الله عنه هـ وهل التفضيل بين
الخلفاء قطعي او ظني خلاف قال الامام ابن حجر في فتاويه ان افضلية ابي
بكر رضي الله عنه على الثلاثة ثم عمر على الاثنين مجمع عليها عند اهل
السنة لا خلاف بينهم في ذلك والاجماع يفيد القطع واما افضلية عثمان
على علي رضي الله عنهما فظنية لان بعض اكابر اهل السنة كسفيان الثوري
فضل عليا على عثمان وما وقع فيه خلاف بين اهل السنة ظني هـ وفي
شرح الرسالة وهل التفضيل قطعي ومال اليه الاشعري او ظني قال القاضي
ان المسالة اجتهادية لو نقع احد النهي فسلم بلغ اء بليس التفضيل
مما يجب علينا اعتقاده لو غفل عن هذه المسالة لم يقدح ذلك في دينه
قال في الذخيرة ثم متى خطر بالبال او تحدث فيها فلا بد للسان وجب الانطواء
ونسبة كل ذي حق حقه والله اعلم فائدة في الخصائص النبوية للحافظ
السيوطي حكى الامام علم الدين العراقي ان فاطمة واخاها ابراهيم افضل من
الخلفاء الاربعة بالاتفاق ونقل عن مالك انه قال لا افضل على بضعة من النبي
صلى الله عليه وسلم احدا قال العارف بالله تعالى سيدي عبد الرحمن بن محمد
الفاسي في الافنان نقل قال سيدي عبد القادر الفاسي اما من حيث المعارف والاسرار
الربانية فابو بكر افضل ثم هم على الترتيب واما من حيث البضعة ففاطمة
افضل فكانه يرى تفضيل فاطمة انما هو من حيث الجزئية والجسم وفضل ابي
بكر انما هو من حيث المعنى القائم بالجسم والسر المتوارد عليه والله اعلم
واختلف ايضا في التفضيل بين خديجة وفاطمة بنتها وبين خديجة

وعائشة

وعائشة رضي الله عنهن قال شيخ الاسلام زكرياء الانصاري في شرح بهجة الحاوي وعند
ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وافضلهن خديجة وعائشة وفي افضلهما خلاف صحح
ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة حين قالت له
قد رزقك الله خيرا منها فقال لا والله ما رزقني الله خيرا منها امنت بي حين كفر بي
الناس وصدقتني حين كذبني الناس واعطتني مالها حين حرمني الناس وسئل
ابن داود ايهما افضل فقال عائشة اقراها النبي صلى الله عليه وسلم السلام من
جبريل وخديجة اقراها جبريل من ربها السلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
فهي افضل قيل له فمن افضل خديجة ام فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فاطمة بضعة مني فلا اعدل ببضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا
ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم لها اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة الا
مريم وسئل السبكي عن ذلك فقال الذي نختاره وندين الله به ان فاطمة
بنت محمد افضل ثم امها خديجة ثم عائشة قال الامام القسطلاني
في المواهب واما خبر الطبراني خير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة
بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد ثم آسية امراة فرعون فاجاب عنه ابن العماد
بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة واختار
السبكي ان مريم افضل من خديجة لهذا الخبر وللاختلاف في نبوتها هـ وقال
شيخ الاسلام في شرح البخاري الذي اختاره ان الافضلية محمولة على احوال فعائشة
افضلهن من حيث العلم وخديجة من حيث تقدمها واعانتها له صلى الله عليه وسلم
في المهمات وفاطمة من حيث القرابة ومريم من حيث الاختلاف في نبوتها وذكرها
في القرءان مع الانبياء وآسية امراة فرعون من هذه الحيثية لكن ذكرها مع الانبياء
وعلى ذلك تنزل الاخبار الواردة في افضليتهن وهذا احسن ان قلنا ان التفضيل
بالاحوال ولكل الخصال الجميلة واما ان قلنا انه باعتبار كثرة الثواب فالاولى
الوقف فيما لم يرد فيه نص والله اعلم واما التابعون وتابعوهم فيجب لهم
علينا ما وجب لمن قبلهم من التعظيم والاجلال والمحبة والدعاء لهم والاستغفار
وذكرهم بالحسن ذكرى انهم افضل الامة بعد الصحابة رضي الله عنهم كما يشهد
لذلك قوله صلى الله عليه وسلم خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
ثم يكون من بعدهم قوم يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون و
ينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن اخرجه البخاري ومسلم وابو داود
والترمذي والنسائي عن عمران بن حصين وفي رواية خير الناس قرني

وفي رواية خير امتي القرن الذي انا فيهم والمراد بالقرن الاول الصحابة وبالثاني
التابعون وبالثالث تابعوهم كما هو قول اكثر العلماء وعلى هذه القرون
الثلاثة مدار الدين وفي الاقتداء لان الطبقة الاولى جمعت والثانية
جمعت والثالثة نظمت ومن اهل الحق اصحاب المذاهب المقتدى بهم وقال العيني ثم
افضل القرون الصحابة ثم ابناؤهم ثم ابناء ابنائهم قاله القلشاني وغيره
والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور المقصودة وسمي قرنا
لانه يقرن امة بامة وعالما بعالم جعل اسما للوقت او لاهله وفي معناه اقوال
تنبيهان الاول قال العلقمي على حديث خير الناس قرني هل هذه
الفضيلة بالنسبة الى المجموع او الى الاحاد فيه بحث والذي ذهب اليه من مجموع كلامهم
وهو الوجه الذي لا يعدل عنه ان كل شخص ثبتت له الصحبة افضل من التابعي
وان اتصف بالعلم وغيره اه وفي شرح ملخص المقاصد ما نصه وقال الجمهور
وافضلية القرن الثاني على الثالث بالنسبة الى الجملة لا الاحاد بمعنى ان جملة
القرن الثاني افضل واكثر خيرا او بركة من جملة القرن الثالث وقد يكون بعض
احاد الثالث افضل من بعض احاد الثاني بل ذلك كثير واما القرن الاول
وهم الصحابة فقيل فضله على من بعدهم بالنسبة الى الجملة والاحاد وقيل بالنسبة
الى الجملة فقط ولا يمتنع ان يكون بعض التابعين او من بعدهم افضل من بعض
الصحابة والاول قول الجمهور واختاره الفاكهاني في الاكمال قال لان مزية الصحبة
لا يوازيها عمل والثاني قول ابي عمر بن عبد البر اه الثاني قال ابن ناجي
واختلف فيما بعد ذلك من القرون فقيل انها سواء لا مزية لاحدها على
الاخر قاله ابن رشد وقال ابن العربي وغيره لا يزال التفاوت كذلك الى قيام
الساعة ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم ما من يوم الا والذي بعده شر منه
وروي في كل عام ترذلون واختلف في خياركم اه القلشاني والتحقيق في ذلك
الى قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم
هل يخرج مخرج الحصر للتفضيل اولا اه فائدتان الاولى التابعي هو من اجتمع
بالصحابي وهل لا بد من اطالة الاجتماع به وهو قول الخطيب وعليه درج في جمع
الجوامع قال المحلي والفرق بين الصحابي حيث اكتفي فيه بطول الاجتماع وبين
التابعي ان الاجتماع به صلى الله عليه وسلم يؤثر من النور القلبي اضعاف ما
يؤثره الاجتماع الطويل بالصحابي وغيره من الاخيار فالاعرابي الجلف بمجرد ما
يجتمع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم مومنا ينطق بالحكمة ببركة صحبته صلى الله

عليه

عليه وسلم او يكفي فيه ان يسمع من الصحابي او يلقاه وهو قول الحاكم قال
الكمال وعلى هذا القول العمل عند اكثر اهل الحديث ورجحه ابن الصلاح
وتبعه النووي والعراقي اه الثانية في الجامع الصغير خير التابعين
اويس القرني قال العلقمي هذا صريح في انه خير التابعين وقد يقال
قد قال احمد بن حنبل وغيره افضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب ان
مرادهم ان سعيدا افضل في العلوم الشرعية لا في الخير عند الله تعالى اه ومن حواشي
الشيخ رضي الله عنه افضلهم اويس من حيث العبادة والقرب من الله تعالى
فلا ينافي ما ورد من ان افضلهم سعيد بن المسيب ونحوه لانه من حيث العلم
ونفع المسلمين بعلومه قال والحكاية المشهورة من كونه صلى الله عليه وسلم
اوصى سيدنا عمر وابا بكر بالاجتماع عليه وطلب الدعاء منه وانهما اجتمعا عليه
وسالاه الدعاء فدعا وعمم ولم يخص الا صاحبه اه تتمة قال الشيخ يس
جسوس في شرح ترجمته الى سالة ما نصه تنبيهان الاول استشكل حديث لا
ياتي عليكم زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم بان بعض الازمنة لا تكون في الشر
كالتي قبلها ولو لم يكن في ذلك الا زمان عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج
بيسير واجيب بحمله على الاغلب فقد قال الحسن البصري لا بد للناس
من تنفيس واجاب بعضهم بان المراد تفضيل مجموع العصر على مجموع
العصر فان عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا
وقال زبير بن وهب سمعت عبد الله بن مسعود يقول لا ياتي عليكم يوم الا وهو
شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة لست اعني رخاء من العيش ولكن
لا ياتي عليكم يوم الا وهو اقل علما من اليوم الذي مضى قبله فاذا ذهب العلماء
استوى الناس فلا يامرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون اه
وهذا اولى بالاتباع قاله شيخ شيوخنا سيدي عبد القادر الفاسي في اخر تاليف له في الامامة
الثاني لا يعارض ما تقدم من تفضيل القرن الاول ما روي من قول النبي صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن راني وامن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يرني وامن بي وقوله ان من اشد الناس
حبا لي ناسا يكونون بعدي يود احدهم ان لو راني باهله وماله واما روي انه صلى الله
عليه وسلم سئل هل احد خير منا فقال قوم يكونون بعدكم فيجدون كتابا بين لوحين
يومنون بما فيه ويومنون بي ولم يروني ويصدقون بما جئت به ويعملون بما فيه فهم
خير منكم فذاك لما تقدم من انه لا يلزم من تفضيلهم في جهة من الجهات تفضيلهم
مطلقا اه وورد عنه عليه الصلاة والسلام مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام

اي قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن لا كلام فيه وقد ينتهي الى درجة الصحة
والجمع بينه وبين حديث خير القرون قرني ان معنى امتي كالمطر لا يدرى اوله
خير ام آخره في سعة الحال وكثرة الاموال واتساع الارزاق فان الله تعالى فتح عليهم
في الاول اقطار الارض واباح لهم اموال الامم ومساكنهم ونساءهم وملكهم رقابهم
وكذلك في آخر الامر تتسع البركات وتتضاعف الخيرات كما ورد في الحديث
عند نزول عيسى صلى الله عليه وسلم قاله السخاوي في شرح العقيلية لشيخه الشاطبي
ونحوه في الجعبري فانه قال ويجمع بينهما بانه يريد به الخير ان شاء الله خفض العيش
وسعة الارزاق ولا يريد الافضلية ويمتنع تاويله بخير القرون الماضية قرني وكل في بابه
وان كان كذلك بدليل كنتم خير امة اخرجت للناس وآية خير امتي القرن الذي انا فيهم
ثم الذين يلونهم ولما فيه من التسوية بين الصحابة ومن بعدهم وروى ابو داود
والترمذي معا حديث ابي ثعلبة وفيه يأتي ايام للعامل اجر خمسين قيل منهم او منا يا
رسول الله قال بل منكم قال ابن حجر هذا الحديث لا يدل على الافضلية المطلقة
وانما الاجر انما يقع تفاضله بالنسبة الى ما يماثله في ذلك العمل فاما ما فاز به
من مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم فلا اذ فضيلة المشاهدة لا يعدلها فيها احد
وسئل هل هذا جواب عما قرره صلى الله عليه وسلم اي الخلق اشد ايمانا
واعظم قالوا الملائكة قال وكيف لا وهم يشاهدون الامر قالوا الانبياء قال وكيف لا والوحي
ينزل عليهم قالوا نحن قال وكيف لا وانا بين اظهركم قالوا فمن يا رسول الله قال قوم يأتون من
في آخر الزمان يسمعون سماعا ويتبعون الخبر عليهما جاء وتشيد فهو وانا اليهم لمشتاق
للعامل منهم اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم او قال مثلكم قالوا منا او منهم
قال منهم قالوا ولم قال لانكم تجدون على الخير اعوانا وهم لا يجدون وفي الحديث
ايضا انكم في زمان من ترك فيه عشر ما امر به هلك ثم يأتي زمان من عمل فيه بعشر ما
به امر نجا وان ما ورد ايضا من ابلاء الصبر فيها كالقابض على الجمر وان العبادة
في الهرج كهجرة الي وفي الحديث في كل قرن من امتي سابقون الى يوم القيامة ه
واما الاولياء والصالحون المتقدمون رضي الله عنهم فكذلك يجب
علينا تعظيمهم وتوقيرهم وبرهم ومحبتهم وحسن الظن بهم والتسليم لهم وترك
سبهم والتكلم فيهم بما لا ينبغي فهم اولياء الله وقد قال الله تعالى من عادى
لي وليا فقد آذنته بالحرب اي اعلمته باني اهلكه لان غاية الحرب هلاك
المغلوب ولا يغلب لامر الله شيء **قال العلقماني** وانما ثبت هذا في جانب
المعادات ثبت ضده في جانب الموالات فمن والى اولياء الله اكرمه الله تعالى

يجي



الاشياء

فيجيء التكلم في السادات الصوفية الذين تكلموا في الطريق والحقائق والانوار و
العلوم كالسري السقطي وابي القاسم الجنيد والحسين الحلاج واشباههم
من المتقدمين وكالشيخ محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض وغيرهما من
المتأخرين فهؤلاء رضي الله عنهم وان كانوا قد تاهوا وتكلموا باشياء خارقة
فلا يجوز سبهم ولا الاعتراض عليهم بحال من الاحوال لانهم ملازمون لقواعد
الشرع فلا يعتقد فيهم قول ولا فعل مخالف للشرع **وما احسن** قول بعضهم
من لا يحيط بمصطلحنا لا يجوز له الخوض في كلام قومنا فيجب على كل مسلم ان يلتزم
الاجوبة الحسنة عن الاكابر المتقدمين من انبياء وصحابة وتابعين ومجتهدين
وعارفين **قال شيخ على الخواص** الواجب على كل مسلم الذب عن اعراض
الصحابة فضلا عن الانبياء عليهم السلام وعن اعراض المسلمين فضلا عن التابعين
لان هؤلاء هم حملة الدين فمن تشرع الى نقص بعضهم اراد ان يحول حدود الدين
وقد لعن الله من غير حدود الارض فكيف بمن يغير حدود دينه **فمما**
اجابوا به عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله اما السماء فلاني بدله
ان شاء الله تعالى واما العلو في النفس منه شيء حيث سمع قارئا يقرأ قوله
تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا انه رضي
الله عنه لم يقل ذلك الا هضما للنفس وانفا ما لعله كما عرفنا من الاكابر والاجلة
رضي الله عنه لا يريد علوا في الارض يقينا **ونظيره** في الدخول الحسن البصري رضي الله
عنه لو حلف حالف ان اعمال الحسن اعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له
صدقت لا تكفر عن يمينك **ومما** اجابوا به عن الامام مالك بن انس رحمه الله
تعالى في عدم حضوره الجماعة خمسا وعشرين سنة انه لو بين له عذرا يبيح له
التخلف عن الحضور ما تخلف فالتسليم لمثل هذا الامام اسلم وحمله على محمل حسن
اغنم رضي الله تعالى عنه **ومما** اجابوا به عن الامام الشافعي رحمه الله في قوله

ولولا الشعر بالعلماء يزري • لكنت اليوم اشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربي • لعلمت الناس كلهم عبيدي

ان المراد بالشعر في البيت الاول شعر النعمة فان من شعر النعمة الشكر لها والتحدث
بها لا الفخر والتكبر حاشاه من مثل ذلك ويعني بالناس في البيت الثاني
ابناء الدنيا الذين يجيرون نعما جمع الطمع بقرينة قول بعض العارفين لبعض
الملوك انت عبد عبدي فقال له كيف ذلك فقال لانك عبد الدنيا والدنيا خادمة لي
او يقال من المراد بتحرير ذلك شكر النعمة ايضا حيث ان الله رزقه القناعة ورضاه

بالبيس وحماله من سؤال ابناء الدنيا ونحو ذلك ومما اجابوا به عن ابي
يزيد البسطامي في قوله خضت بحرا وقفت الانبياء بساحله ان معنى ذلك ان
ابا يزيد يشكو الضعف ويعجز عما العرف به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك
لانهم خاضوا بحر التوحيد ووقفوا بالجانب الآخر يدعون الناس الى الخوض فيه فلو كنت
كاملا لوقفت حيث وقفوا قال صاحب الحكم وهذا التفسير هو اللائق بمقام ابي
يزيد فان المشهور عنه التعظيم والقيام بكمال الادب ومما تكلم به رضي الله عنه
جميع ما اخذه الاولياء بالنسبة لما اخذه الانبياء عليهم الصلاة والسلام كزق ملئ
عسلا ثم رشحت منه رشحات فما في بطنه هو للانبياء وتلك الرشحات للاولياء
وقال الشيخ محي الدين ابن عربي في فص طلب ابو يزيد البسطامي من الله تعالى
ان يدخله مقام نبي من الانبياء فاعطاه الله تعالى مقدار الشعرة البيضاء من الثور
الاسود فكاد ان يحترق فسال الله الحجاب من ذلك وقال لا طاقة لاحد من
امثالنا ان يدخل مقام احد من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ومما اجابوا
به عن الجنيد رضي الله عنه في قوله ادركت سبعين عارفا كانوا يعبدون الله على
ظن ووهم حتى اخي ابا يزيد ولو ادرك صبيا من صبياننا لاسلم على يديه ان معنى
ذلك انهم كانوا يقولون ما بعد المقام الذي وصلناه مقام وذلك ظن ووهم فان
فوق كل مقام مقامات الى ما لا يتناهى وليس مراده الظن والوهم في معرفة
الله ومعنى لاسلم على يديه اي انقاد له لان الاسلام هو الانقياد ومراد الجنيد
بذلك شيخ النصح ومما اجابوا به عن الحلاج في قوله ما في الجبة الا الله
وقد ضبطها بعضهم بالجيم والموحدة ان مراده ما في جسدي الا حب الله ومثله
في الكتاب والسنة مما لا يجب فيه التقدير كما في قوله تعالى واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم اي اشربوا حب العجل فلا قبح ومما اجابوا به عن حجة الاسلام
الغزالي في قوله ليس في الامكان ابدع مما كان ان مراده ليس لنا الا رتبتان قدم
وحدوث فالحق سبحانه له رتبة القدم والحادث له رتبة الحدوث فلو خلق
سبحانه ما خلق الى ما لا يتناهى عقلا لا يخرج عن رتبة الحدوث الى رتبة
القدم ابدا ومما اجابوا به عما يروى لابي الحسن الششتري في قوله في التائية

وبي قامت الاشياء في كل امة	بمختلفات الرأي والكل امتي
نعم نشأتي في الحب من قبل آدم	وسري في الاكوان من قبل نشأتي
انا كنت في رؤيا الذبيح فداءه	بلطف عناياتي وعين حقيقتي
انا كنت مع ادريس لما ارتقى العلا	واسكن في الخلد انعم بقعة

انا كنت مع عيسى وفي المهد ناطقا	واعطيت داود حلاوة نغمتي

ان ذلك وقع منه رضي الله عنه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وان الولي تارة يتكلم بحال
غيبته عن نفسه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وتارة يتكلم على لسان الالوهية ومما
اجابوا به عما ينسب لابن الفارض رحمه الله تعالى في قوله في التائية

والعين الاكوان ان كنت واعيا	شهود بتوحيد بحال جميعة
وان عبدوا غيري وان كان قصدهم	سواي وان لم يعقدوا عقد نية

ان ذلك وقع منه على لسان الالوهية واراد بقوله شهود بتوحيد التوحيد الحالي
المشترك بين المؤمن والكافر في حكم العبادة بالحال وقوله بحال جميعة اخرج التوحيد المقالي
وهو يتبع ضلاله والالهة لانه مخصوص بالمؤمنين دون الكافرين وليس هو المقصود الآن
في الآية المقتبس منها البيت وهو قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده فشيء نكرة في سياق
النفي تعم كل شيء من مرحوم وجاحد وحيوان وجماد فكان الحق تعالى يقول كل شيء
يوحدني ويعبدني بالهيئة وان اختلف اسم المعبود فالقول بان كل جاحد في الظاهر
موحد في الباطن جار بين قوم يفسرون كلام الله ومواضع اشارته لا الذين لا يعرفون
بشيء من الاشارة واشار في الآية الى التوحيد الحالي بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولكن
هذا التوحيد الحالي لا ينفع الكافر بدليل حديث القبضتين وحديث المعراج وحديث
جفوف الاقلام فلو كان ينفعهم ما دخل احد منهم النار فلا ينفعهم قاله في تحفة الاكياس
تتمة في الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اذكروا محاسن موتاكم
وكفوا عن مساويهم اي اذكروا ايها المؤمنون محاسن موتاكم واصبروا السنتكم عن ذكر
مساويهم جمع مسوء بفتح الميم والواو اي فلا تذكروهم الا بخير فذكر محاسنهم مندوب
وذكر مساويهم حرام الا لمصلحة كتحذير مما يذم عنه او فعله قال النووي
رحمه الله قال اصحابنا واذا رأى غاسل الميت ما يعجبه من نحو استنارة وجه وطيب
ريح سن له ان يحدث الناس به وان رأى ما يكره كسواد وجه ونتن وتغير عضو
حرم ان يحدث به لهذا الحديث وفيه ايضا لا تذكروا هلكاكم الا بخير قال
المناوي وتمامه ان يكونوا من اهل الجنة تأثموا وان يكونوا من اهل النار فحسبهم ما
هم فيه قال الحفني فيحرم ذكرهم بالشر الا اذا كان الميت متجاهرا وقصد بذكره
بالشر زجر غيره والتباعد عن فعله فيعرف قصد حسن قال العزيزي قال العلقمي
وسببه كما في النسائي عن عائشة قالت ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
هالك بسوء فقال لا تذكروا واذكروا رواه النسائي وبجانبه علامة الصحة
والله سبحانه الموفق بمنه لا اله غيره قال الناظم رحمه الله

واشكر لمن قد فعل الاحسانا * بك واحذر ان تعيب انسانا
شر الخليقة الذي عن عيبه * يسهو ويذكر عيوب غيره

قال في القاموس الشكر بالضم عرفان الاحسان ونشره او لا يكون الا عن يد ومن الله
المجازاة والثناء الجميل شكره وله شكرا وشكورا وشكرانا وشكر الله ولله وبالله
ونعمة الله وبها والاحسان ضد الاساءة يقال احسن يحسن احسانا ومحسانا ايضا
ويتعلق بفعل ومعناه اليك يقال احسن بي والي بمعنى واحد قال تعالى
وقد احسن بي اذ انعم علي وفي نسخة معك والمعنى اشكر ايها الاخ في الله
كل من فعل معك احسانا او اسدى اليك معروفا بان تكافئه بالدعاء له
والثناء عليه وغير ذلك قال الله تعالى ان اشكر لي ولوالديك وفي حديث
النعمان بن بشير قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن
لم يشكر الناس لم يشكر الله وفي حديث اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكر الناس لله اشكرهم للناس وقال صلى الله
عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له وفي
رواية من استعاذ بالله فاعيذوه ومن سال بوجه الله فاعطوه ومن دعاكم
فاجيبوه ومن صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى
ترووا انكم قد كافأتموه خرجه الامام احمد في مسنده وابو داود والنسائي وابن
حبان والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ولما قدم وفد النجاشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه الكريمة فقيل له يا رسول الله لو تركتنا
نكفيك فقال صلى الله عليه وسلم كانوا لاصحابي مكرمين وفي المستقصى
عن نصر بن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من انعم على رجل نعمة فلم يشكر له فدعا عليه استجيب له ثم قال اللهم
اني انعمت على بني ساسان فلم يشكروا اللهم فسلط عليهم فقتلوا كلهم وقيل اتى رجل
من الانصار الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانشد له

اذكر صنيعي اذا فاجاك ذو سغب * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر يا علي مؤنة ادن مني فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشرفه الناس وقال
الا ان هذا ردني سقيفا من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاده عطايا
وولاه صدقة قومه وفي اهل جزاء الاحسان الا الاحسان وقد قيل ان قصرت
يداك عن المكافاة فليكل لسانك بالشكر وقيل اذا جحدت الصنيعة حسن
الامتنان وسيل بعض الحكماء ما اضيع الاشياء فقال مطر الجود في ارض

سبخة

سبخة لا تنبت ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء
تزف الى اعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها وقال حكيم لا تصطنعوا ثلاثة
اللئيم فانه بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذي صنعت اليه انما
هو مخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما اسديت اليه واذا اصطنعت
الكريم فازرع المعروف واحصد الشكر يروى ان عبد الاعلى بن حماد قال دخلت
على المتوكل فقال يا ابا يحيى قد هممنا ان نصلك بخير فتدافعتنا الامور فقال
يا امير المومنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق انه قال من لم يشكر الهمة لم
يشكر النعمة وانشد

لاشكرن لك معروفا هممت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا الومك ان لم يمضه قدر * فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وفي غرر الخصائص في باب اطلاق اللسان بشكر اهل الاحسان ما نصه قال
الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم قال بعض المفسرين انه شكر اصطناع المعروف
وفي الحديث المشهور والنبأ المأثور من ذكر معروفا فقد شكر ومن ستره فقد
كفره وقال عليه الصلاة والسلام من كانت عنده نعمة فليكافئ عليها فان لم
يقدر فليثن فان لم يفعل فقد كفر النعمة وقال لقمان لابنه يا بني المعروف
غل لا يفكه الا شكر او مكافاة وقالوا المعروف رق والمكافاة عتق وقالوا

كلما قلت اعتق الشكر رقي * صيرتني لك المكارم عبدا
فلئن عمرني ما بقيت اودي * شكر احسانك الذي لا يؤدى

وقال فيمن ذكر المعروف الذي اسدي اليه وافرغ لسانه عن شكر المنعم
والثناء عليه الثعالبي شكر لا يقع في نعمه الكلام موقع النفقة من الدابرة
لا شكر تمكن من القلب واللسان شكر حسان الى غسان لا شكر تمكن شكر الاسير لمن اطلقه
والمملوك لمن اعتقه لا شكر تمكن شكر الى رياض الديم وزهير لهرم وقال
اخر لو اسعفني الدهر بلسان واتى يجري بذلك لا اشيع احسانك حق الاشاعة
لقصرت عنه بكل الاستطاعة قال الامير ابو الفتح واحسن كل الاحسان

ساشكر ما دام اللسان يطيعني * صنوفا اتاني من جدوك المتتابع
تولت علي من لا يد لي بخدمة * عليه ولا يد لي اليك بشافع

وقال ابن ابي طاهر لمحمد بن الحسن بن سهل وقد شفع له عند المأمون

رددت علي مالي ولم تقض به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
لئن جحدتك ما اوليتني من حسن * اني لفي اللوم احظى منك في الكرم

وفي اخي • مواهب لو اني تكلفت شكرها • لا فلست في افلامها ومدادها •
ابا عمرو • لو فقتني منك الجميل فلا ارى • ويرزقني حتى حسبتك والدا •
• والله لو حل السجود لمنعم • ما كنت الا لجلالك ساجدا •
وفي اخر • لو كنت اعرف فوق الشكر منزلة • اعلى من الشكر عند الله في الثمن •
• اذا منحتكها مني مهذبة • حذوا على حذو ما اوليتني من حسن •
• وانشد بعضهم واجاد •
• ما شكري لانني اجازيك منعما • بشكري ولكن كي يقال له الشكر •
• واذكر اياما لدي اصطنعتها • وفي اخر ما يبقى على الشاكر الذكر •
وفي اخر • اوليتني نعما ابوح بشكرها • وكفيتني كل الامور باسرها •
• فلاشكرنك ما حييت وان امت • فلتشكرنك اعظمي في قبرها •
وقيل اشكر المنعم عليك وانعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة في ~~
ومن اخيك المناصحة تنبيه لا منافاة بين ما تقدم مما جاءت به
الشريعة من شكر الوسايط وبين ما هو المعتقد من انه لا فاعل الا الله تبارك
وتعالى لان مدح الوسايط عند الكمل لا من حيث انهم محسنون في الحقيقة ولكن
اعزة عند الله تعالى حيث اجرى الخير على ايديهم فهم كالظروف تمدح لما
يكون فيها او تذم قال الامام الشعراني في العهود المحمدية ما نصه اشكر
يا اخي من اسدى اليك معروفا لاكن من غير وقوف معه حتى اذا كالقناة الخارج
والجابي لنا منها الماء وكالاجير الذي يغرف لنا من طعام رجل غني باجرة جعلها
له هـ ومن الحكم ان كانت عين القلب تنظر الى ان الله واحد في منته فالشريعة
تقتضي ان لابد من شكر خليقته عين القلب يعني البصيرة المشابهة للعين الباصرة
يعني اذا اوصل الحق تعالى اليك نعمة على يد انسان سواء كانت النعمة دينية
او دنيوية فعليك في ذلك من اداب الحقيقة بان ترى ان تلك النعمة من الله
وحده وان من اجراها على يديه مقهور مجبور على ايصالها اليك فتحمد سبحانه
على ذلك ومن اداب الشريعة بان تشكر من وصلت اليك على يديه فتدعوا
له وتثني عليه امتثالا لامر الله وعملا بما جاءت به الشريعة كما تقدم
ولان الله تعالى اختصه بان اقامه في ذلك واهله له ثم قال في الحكم بعد ذلك
وان الناس في ذلك على ثلاثة اقسام غافل منهمك في غفلته قويت دايرة
حسه وانطمست حضرة قدسه فنظر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده
من رب العالمين اما اعتقادا فشركه جلي واما استنادا فشركه خفي

وصاحب

٦٧

وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الحق وفني عن الاسباب
بشهود مسبب الاسباب فهو عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها
سالك للطريقة قد استولى على مداها غير انه غريق الانوار مطموس الاثار
قد غلب سكره على صحوه وجمعه على فرقه وفناؤه على بقائه وغيبته على
حضوره واكمل منه عبد شرب فازداد صحوا وغاب فازداد حضورا فلا جمعه
يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فناؤه يصده عن بقائه
ولا بقاؤه يصده عن فنائه يعطي كل ذي قسط قسطه ويوفي كل ذي حق
حقه قال الشيخ سيدي زروق رضي الله عنه شرك الاعتقاد هو ان يرى المحسن اليه
هو الفاعل لما وصل اليه وهو خارج عن دايرة الايمان وشرك الاستناد ان يكون معتقدا
الفعل لله سبحانه ولاكنه يرى توقف الامر على الاسباب بوجه لازم لا انفكاك له وهو
خارج عن من تبقة الاحسان الا انه فاما ان رءا ان ذلك محض الله تعالى وجري
عادته لما اودع فيها وانه معها لا بها فلا باس وعلامة شرك الاستناد الخوف
على العايلة والضجر من فواته مسترسلا ولا يبالي هل يبقى في ذلك بل يتذلل للخلق
ويتمندل لهم في ذلك وهذا مومن ناقص يخشى عليه سوء العاقبة والعياذ بالله
وعلامة من اثبت الاسباب من حيث اثبتها الحق بحكمته ولم يستند اليها
لعلمه باحدية الاجمال في الطلب ولم يبال عند فوات المسبب او تعذر السبب
قال وقد علمت بهذا ان الناس ثلاثة اقسام قسم يعتقد التاثير لغير الله وهذا
كافر وقسم يعتقد ان لا موثر في شيء سوى الله ولكن يرى ارتباط الاسباب وهذا
ناقص وقسم يعتقد ان لا موثر الا الله ولا مسبب سواه فيرى الاسباب عدمية
واعتبارها بحكمة الالاهية فلا يعول على الاسباب ولا يعتمد عليها لكنه يختلف
حاله في ذلك فتارة تغلب عليه مشاهدة الحقيقة وتارة تشاهد الشريعة
وتارة يجمع بينهما تتمة قال اهل الادب المكافاة بالفعل القبيح عن
الفعل الحسن من فعلات من خلع في اللوم الرسن ومن امثال العرب في ذلك
قولهم اكفر من ناشرة وذلك ان همام بن مرة كان قد اخذ ناشرة من امه لما
مات ابوه وكفله وتولى تربيته ذرعا فرباه واحسن اليه فلما بلغ الحلم هجا همام
فيما قتله عنده فتركه حتى نام فاغتاله شعرا

• اعلمه الرماية كل يوم • فلما اشتد ساعده رماني •
• وكم علمته نظم القوافي • فلما قال قافية هجاني •

ويحكى ان ابا بكر الخوارزمي قصد الصاحب بن عباد ومدحه بقصيدة قال فيها

• وما خلقت كفاك إلا لأربع • عوائد لم تخل لهن يدان •
• لتقبيل أفواه وتنويل نائل • وتقليب هندي وأخذ عنان •

فلما بلغ إلى هذا البيت قال له لم تذكر القلم وهو آلة الكاتب وبه تفخر ورأس فقال
يمدحه بقصيدة منها قوله يد تراعها أبدا • بمرهفة ونقبة وما خلقت بنانها
إلا السيف والقلم • فخلع عليه ابن عباد كل ملبوسه وخلع عليه كل من كان في مجلسه
من الثياب موافقة للصاحب فحصلت له مائة جبة فلم يبق في ذلك وأنشد في مجلسه
بقوله لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت • كفاه بالجود حتى جازت الديما •
• فإنها خطرات من وساوسه • يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما •
واتفق أن مات الخوارزمي عقب ذلك فلما بلغ الصاحب موته قال •
• سألت بريدا من خيم أسان مقبلا • أمات خوارزميكم قال لي نعم •
• فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره • ألا لعن الرحمن من يكفر النعم •
ونظير هذه قضية المتنبي مع كافور الإخشيدي وهي مسطورة في كتب التاريخ
• الشيء أقتل ما حاولت ملتمسا • بدا لي بلدة عنز البدو والثانيه •

وقول الناظم واحذر احذر هو بقطع الهمزة أمر من حذر كعلم والحذر بالتحريك والحذر بالكسر الاحتراز والعيب قال في القاموس العيب والعاب الوصمة كالمعاب والمعابة والمعيب وعاب لازم ومتعد وهو معيب ومعيوب ورجل عُيَبَة كهمزة وعياب وعيابة كثير العيب للناس والانسان يطلق على الذكر والأنثى من البشر ونوعه انسانة عامية كما تقدم عن القاموس والخليفة الناس وفي نسخة الخلائق والمعنى احترز أيها الأخ في الدنيا أن تعيب إنسانا ذكرا كان أو أنثى بل اشتغل بعيوب نفسك واسع في إصلاحها ففي ذلك ما يغني العاقل عن التطلع إلى عيوب غيره فإن شر الناس من يغفل عن عيوب نفسه ويشتغل بعيوب غيره قال الله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه أو لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه حقيقة واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط وقيل الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان قاله البيضاوي وبلغني عن الليث أنه قال اللمزة الذي يعيبك في وجهك والهمزة الذي يعيبك في الغيب وقال تعالى ولا تجسسوا أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها فقد نهى سبحانه عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وفي الحديث عنه صلى الله

عليه

عليه وسلم أنه قال المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه الحديث ويروى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته قال العلماء والمراد بالعورة ما يتناول كل عيب وخلل في الآدمي وفي دليل الحديث على أن المطلوب الستر على المسلم وترك التجسس عليه وفي البخاري من ستر على مسلم ستره الله يوم القيامة وقال بعض الشعراء

• لا تلتمس من عيوب الناس ما ستروا • فيهتك الله سترا من مساويكا •
• واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا • ولا تعب أحدا منهم بما فيكا •

وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك ومثله ما أخرجه البيهقي في الشعب عن يحيى بن جابر قال ما عاب أحد قط أحدا بعيب إلا ابتلاه الله بمثل ذلك العيب وعن إمامنا مالك رحمه الله قال أدركنا ناسا لا عيوب لهم تكلموا في عيوب الناس فحدثت لهم عيوب وفي صحف موسى عليه السلام قال الله تعالى يا ابن آدم لا يستقيم لك قلبك حتى تستحيي مني وكيف تستحيي مني وقد رضيت الشيطان يا ابن آدم إذا أنكرت في عيوب الناس ونسيت عيبك فقد رضيت الشيطان وأغضبت الرحمان وقال سيدنا علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لبنيه يا بني من أبصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بما قسم الله لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لأخيه بئرا وقع فيها ومن هتك حجاب أخيه هتكت عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره وروي عن عمر رضي الله عنه قال كفى بالمؤمنين من الغي ثلاث يعيب على الناس بما يأتي به ويبصر من عيوبهم ما لا يبصر من عيوب نفسه ويؤذي جليسه بما لا يعنيه وفي سنن أبي داود عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال شقيق الزاهد رحمه الله إذا ذكرت الرجل بالسوء فلم تنفع له تترحما فأنت أسوأ حالا منه وإذا ذكرت الرجل الصالح فلم تجد في قلبك حلاوة فاعلم أنك رجل سوء وقال مالك بن أنس رحمه الله بلغني أن عيسى صلوات الله وسلامه عليه قال لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسو

قلوبكم والقلب القاسي بعيد من الله تعالى ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في عيوب
الناس كأنكم أرباب وانظروا في أعمالكم كأنكم عبيد وإنما الناس رجلان مبتلى ومعافى
فارحموا أهل البلاء واحمدوا الله على العافية وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ذكره في الجامع الصغير والكبير وزاد
فيه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعد عنها إلى
البدعة قال بعض العلماء وبيان ما أشار له في الحديث أن من اتهم نفسه وتطلب
عيوبها صار في شغل عن تطلب عيوب غيره وهو أهل لكل خير ومن أغفلها ورضي
عنها تفرغ للاشتغال بعيوب غيره وهو أهل لكل شر ولذلك قال الربيع بن خثيم
لما ذكر عنده رجل ما أنا عن نفسي براض فأتفرغ منها إلى ذم غيري هاه وفي رواية
وأنشد • لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها • لنفسي من نفسي عن الناس شاغل •

ورحم الله عز وجل القائل

• إذا أنت عبت الناس قالوا فأكثروا • عليك وأبدوا منك ما كنت تستر •
• متى تلتمس للناس عيبا تجد لهم • عيوبا ولكن الذي فيك أكثر •
• فسالمهم بالكف عنهم فإنهم • بعيبك من عينيك أهدى وأبصر •

ولله در أبي العباس الوزان حيث قال

• ونم كنوم الفهد أو عبود عن • عيب الورى والكتم لا تخففا •
• ولتك أبصر من الهدهد والزرقا • بعيب نفسك المختفي •

أي تغافل عن عيوب الناس ولا تكشفها بسرعة فإن الظن أكذب الحديث فإن أبيت
إلا البحث عن العيوب فابحث عن العيوب التي تحققت في نفسك فبحقها ما يشغلك
عن عيوب غيرك من أبناء جنسك وأول عيب فيك وأكبره أنك تغفل عن
النظر في عيوبك المحققة وتبحث عن عيوب غيرك المكنونة أو المشكوكة
وذلك علامة الهوى والكبر والرضى عن النفس كما تقدم والفهد
حيوان معروف تتخذه للصيد يضرب به المثل في النوم قال الجاحظ الفهد أنوم
الخلق وليس نومه كنوم الكلب لأن الكلب نومه نعاس واختلاس والفهد بخلافه
يقال فهد الرجل إذا أشبه الفهد في نومه وتمدده كما في حياة الحيوان وعبود
قال في القاموس عبود كتنور رجل نوام نام في محتطبه سبع سنين وقال الفراء
كان عبود عبدا أسود حطابا فغبر في محتطبه أسبوعا لم ينم ثم انصرف وبقي
أسبوعا نائما فضرب به المثل في ثقل النوم وكذلك قال ابن عجاج •

• تنوموا إذا ما الضيف مع • عبود عندكم هي أمي •

والفهد

والفهدهد طائر معروف يقال إنه يرى الماء في باطن الأرض كما يرى الإنسان في
باطن الزجاجة يقال أبصر من هدهد والزرقاء امرأة من جديس واسمها
اليمامة بنت مرة وكان يضرب بها المثل في حدة البصر كانت تنظر إلى الراكب من
مسيرة ثلاثة أيام وتبصر الشعرة البيضاء في الليل البهيم ويرحم الله القائل

• إذا شئت أن تحيا ودينك سالم • وحظك موفور وعرضك صين •
• لسانك لا تذكر به عورة امرئ • فعندك عورات وللناس ألسن •
• وعيناك إن أبدت إليك معايبا • لناس فقل يا عين للناس أعين •
• وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى • وفارق ولكن بالتي هي أحسن •

تنبيه قال الإمام أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في الإحياء في بيان الطريق
الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه اعلم أن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف
العيوب أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم
القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه
فله أربعة طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس مطلع
على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه قال وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده
الثاني أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه
ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الظاهرة والباطنة
ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين كان عمر رضي
الله عنه يقول رحم الله امرأ أهدى إلي عيوبي وكان يسأل سلمان عن عيوبه
فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال
بلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة وأن لك حلتين حلة بالنهار وحلة
بالليل قال وهل بلغك غير هذا قال لا قال أما هذان فقد كفيتهما فقال
إلا أن هذا أيضا قد عز فقل في الأصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب
أو يترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في أصدقائك عن حسود
أو صاحب غرض يرى ما ليس بعيب عيبا أو عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك
ولهذا كان داود الطائي قد اعتزل الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال
وماذا أصنع بأقوام يخفون عني عيوبي فكانت شهوة ذوي الدين أن يتنبهوا
لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الأمر في أمثالنا إلى أن أبغض الخلق إلينا من
ينصحنا ويعرفنا عيوبنا فإننا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل بإزالتها

بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثل مقالته فنقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت و
ويشغلنا العداوة معه عن ان ننتفع بنصحه ويشبه ان يكون ذلك من قساوة
القلب التي اثمرتها كثرة الذنوب واصل كل ذلك ضعف الايمان الطريق
الثالث ان يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين
السخط تبدي المساوي ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه
اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه
الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد الرابع
ان يخالط الناس فكل ما رءاه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها
اليه فان المومن مرءاة المومن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع
متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله
او عن اعظم منه او عن شيء منه فليتفقد نفسه ويطهرها من كل ما يذمه من غيره
وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن
المؤدب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل
الجاهل شينا فاجتنبته وهذا احال من يفقد شيخا عارفا ذكيا عارفا بعيوب النفس
ه باختصار بعضه وقد قيل لحكيم اي شيء اصعب على الانسان فقال معرفة
عيوب نفسه والامساك عن الكلام بما لا يعنيه تتميم وروي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قال لبعض اخوانه اوصيك بستة اشياء ان اردت ان تقع
في احد وتذمه فقدم نفسك فانك لا تعلم احدا اكثر عيوبا منها وان اردت ان
تعادي احدا فعادي البطن فليس لك عدو اعدى منه وان اردت ان تحمد احدا
فاحمد الله تعالى فليس احد اكثر منة عليك منه والطف بك منه وان اردت
ان تترك شيئا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانت محمود والا تركتك
وانت مذموم وان اردت ان تستعد لشيء فاستعد للموت فانك ان لم تستعد
له حل بك الخسران والندامة وان اردت ان تطلب شيئا فاطلب الاخرة فانك
لن تنالها الا بان تطلبها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل
عليه السلام عن الله تعالى انه قال لموسى عليه السلام يا موسى خمس
كلمات ختمت بهن التوراة فان عملت بهن نفعك علم التوراة وان لم تعمل
بهن لم ينفعك علم التوراة اولهن يا موسى كن واثقا بالرزق المضمون لك
ما لم تر خزائني نفدت الثانية يا موسى لا تخف من سلطان الارض ما لم
تر سلطاني زائلا الثالثة يا موسى لا تتجسس على عيب احد ما لم

تخل

تخل من العيوب الرابعة يا موسى لا تدع محاربة الشيطان ما دام
روحك في بدنك الخامسة يا موسى لا تامن عقابي ولو ترى نفسك في الجنة
وقال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا قال
الثعالبي رضي الله عنه في هذا ما يردع العاقل عن الاشتغال بغيره ويوجب له ان
لا يشتغل باصلاح نفسه قبل هجوم منيته وحلول رمسه حكى ابو عمر في التمهيد
بسنده عن اسماعيل بن ابي كثير قال سمعت مجاهدا يقول ان الملائكة مع ابن ادم
فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة
ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عورتك ومن الحديث
من رمى مسلما بشيء يريد شينه به حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج
مما قال وقد تقدم لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك لان البلاء موكل
بالمنطق يحكى ان ابن سيرين رضي الله عنه حبس بدين كان عليه وكان يقول اني
لاعرف الذنب الذي حمل به علي الدين قيل له ما هو قال قلت لرجل مفلس منذ
اربعين سنة يا مفلس قال بعض العلماء قلت ذنوبهم فعلموا من اين يوتون
وكثرت ذنوبنا فليس ندري من اين نوتى ويناسب هذا ما حكاه الغزالي ويحكى
ان رجلا راى خنفساء فقال ماذا يريد الله من خلق هذه الخنفساء اشكلها او لطيب
ريحها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الاطباء حتى ترك علاجها فسمع يوما صوت
طبيب ينادي في الدرب فقال هاتوه حتى ينظر في امري فقالوا وما تصنع بطبيب وقد
عجز عنك حذاق الاطباء فقال لا بد لي منه فلما احضروه وراى القرحة استدعى
بخنفساء فضحك الحاضرون منه فتذكر العليل القول الذي صدر منه فقال احضروا والله
ما طلب فان الرجل على بصيرة من امره فاحرقها وسحقها ففعلوا وذر رمادها على
قرحته فبرئ باذن الله تعالى فقال للحاضرين ان الله تبارك وتعالى اراد ان يعرفني
ان اخس المخلوقات اعز الادوية فيجب على العاقل ان يكون حافظا للسانه
مقبلا على شانه بحاثا عن عيوب نفسه غافلا عن عيوب غيره من ابناء جنسه
محاسبا لنفسه مضيقا عليها كما اشار الى ذلك الناظم رحمه الله بقوله

وَحَاسِبِ النَّفْسَ عَلَى الْاَعْمَالِ • فَإِنَّ كُلَّ الشَّرِّ فِي الْاِهْمَالِ

اعلم وفقنا الله واياك ان النفس والروح والعقل والسر ليست بمعان متباينة
كما قال العلماء وانما هي شيء واحد اختلف بالاعتبار وتعدد بتعدد المباني
والمعنى بالجميع في الجملة هو اللطيفة المدركة المودعة في الانسان وهي التي
يتميز بها الانسان عن الحيوانات العجماوات ويقال لها في لسان الحكيم النفس

الناطقة وليست هي الحياة المصححة للحس والحركة لان الحياة لجميع الحيوان بمعنى قوة زائدة
وليست هي ايضا في الحال الوهمي والخيالي المتعلق بالجزئيات فان هذا ايضا موجود
لغير الانسان وبه تعرف الشاة معاداة الذيب وميل الحمار لعلفه وانما هي قوة عنها يكون
التمييز بين الحقائق الكليات غير انها من حيث التعلق بالمدارك الباطنة ما كانت
تسمى عقلا ومن حيث الجنوح الى الغذارة تسمى نفسا ومن حيث الجنوح الى العالم
القدس تسمى روحا والاعمال التي تقال اهملت الامر التي كنت عنه عمدا او سهوا
والمعنى انه يجب عليك ايها الاخ في الله ان تجتهد في محاسبة نفسك ومن اقتفيها
بحيث تشارطها وتحملها على الاعمال الصادرة منك اما قبلها فاذا اتى كنت لعمل من
الاعمال تثبت حتى تعلم هل هو لله عز وجل او رياء وسمعة او بعد الاعمال بان تعد
عليها اعمالها وتطالبها بما اخلت به وتعاقبها على ذلك واياك ان تهملها
وتتركها من غير محاسبة ولا مراقبة فان الشر كله في اهمالها بل عكسها كما يوعظ
العبد الابق المتمرد فانها متمردة بالطبع مستعصية عن العبودية وقد قال
الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في الاحياء الكلام في محاسبة النفس بما لا مزيد
عليه في باب على حدته فلننقل جملة من ذلك قال رحمه الله قال الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وقال ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها وقال تعالى يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم
الاية وقال تعالى ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وقال يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف
ارباب البصائر من جملة العباد ان الله تعالى لهم بالمرصاد وانهم سيناقشون في
الحساب وتحققوا انهم لا ينجيهم من ذلك الا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة
النفس في الانفاس والحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات فمن حاسب
نفسه قبل ان يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه ومن
لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته ولما انكشف
لهم ذلك علموا انهم لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم بالصبر والمرابطة
فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا انفسهم اولا بالمشارطة
ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة فكانت لهم في
المرابطة ستة مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل
الاعمال فيها واصلها المحاسبة ولكن كل محاسبة فبعد مشارطة ومراقبة

ويتبعها

ويتبعها عند الخسران معاتبة ومعاقبة فلنذكر شرح هذه المقامات وبالله
التوفيق اعلم ان مطلب المتعاملين في التجارات عند المحاسبة سلامة راس
المال ثم الربح وكما ان التاجر يستعين بشريكه فيسلم المال اليه حتى يتجر فيه
ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الاخرة وراس ماله العمر وانما
مطلبه وربحه تزكية النفس اذ به فلاحها فلاحها بالاعمال الصالحات
والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة اذ يستعملها ويستسخرها فيما يزكيها
كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكما ان الشريك يصير
خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج الى ان يشارطه اولا ويراقبه ثانيا
ويحاسبه ثالثا ويعاتبه او يعاقبه رابعا فكذلك العقل يحتاج الى مشارطة
النفس اولا فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها
الى طريق الفلاح ويجزم عليها الامر بسلوك تلك الطرق ثم لا يغفل عن مراقبتها
من اقتضتها الحكمة فانه لو اهملها لم ير منها الا الخيانة وتضييع راس المال
كالعبد الخائن اذا خلا له الجو وانفرد بالمال ثم بعد الفراغ ينبغي ان يحاسبها
ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فان هذه تجارة ربحها الفردوس
الاعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الانبياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا
مع النفس اهم كثيرا من تدقيقه في ارباح الدنيا الحقيرة الفانية فحتم على
كل ذي حزم امن بالله تعالى واليوم الاخر ان لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق
عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها فان كل نفس من انفاس العمر جوهرة
نفيسة لا عوض لها فاذا اصبح وفرغ من فريضة الصبح فينبغي له ان يفرغ قلبه
ساعة لمشارطة النفس ويقول لها مالي بضاعة الا العمر فان فني فني راس
المال ووقع الياس من التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد امهلني
الله فيه وانسأني في اجلي وانعم علي به ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني
الى الدنيا يوما واحدا حتى اعمل فيه صالحا فاحسبي انك قد توفيت ثم
رددت فاياك ان تضيعيه ثم يستانف لها وصية اخرى في اعضائه
السبعة العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل فاذا اوصى
نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يبقى الا المراقبة لها عند الخوض في
الاعمال فانها ان تركت طغت وفسدت وكما ان العبد يكون له وقت اول النهار
يشارط نفسه فيه على سبيل التوصية بالحق فكذلك ينبغي ان تكون له في اخر
النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها

كما يفعل التاجر في الدنيا مع الشريك في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا على الدنيا
الفانية ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين
له الزيادة من النقصان فإن كان ثم فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان ثم
خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل فكذلك رأس مال العبد
في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه
التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها على الفرائض
فإذا أداها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وإن فوتها
من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبر بالنوافل
وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها ولا يمهلها بلا
تأنيس بفعل المعاصي ويقسو عليه فطامها بعد الأكل لقمة شبهة لشهوة
نفسه فينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى محرم فينبغي أن يعاقب
العين بمنع النظر وكذلك ينبغي أن يعاقب كل طرف من الأطراف بمنعه عن
شهواته هكذا كانت عادة سالكي الآخرة وإن رآها تتوانى بحكم الكسل
في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدبها بتثقيل الأوراد
عليها ويلزمها فنونا من الفضائل جبرا لما فات وتداركا لما مضى ويقبل
على نفسه بعد ذلك ويقول لها ما أعظم جهلك تدعين
الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا أما تعرفين ما
بين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة إلى أحدهما لا محالة على القرب
فما بالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب
الجسيم فلعل الموت يأتيك اليوم أو غدا أما تعلمين أن كل ما هو
آت فهو قريب ويحك أجرأة على معاصي الله إن كانت لا تعتقدين أن الله تعالى
لا يراك فما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك
وما أقل حياءك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه
كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه
وشديد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيهات هيهات جربي نفسك إن
ألهاك البطر عن أليم عذابه فاحتبسي ساعة في الشمس أو في بيت الحمام أو قربي
إصبعك من النار ليتبين لك قدر طاقتك ويحك يا نفس كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب
وتظنين أنك إذا مت انفلت وتخلصت وهيهات أتحسبين أنك تتركين سدى ألم
تكوني نطفة من مني يمنى ثم كنت علقة فخلق فسوى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى

معاصي

بان

فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك أما تتفكرين أنه مماذا خلقك من نطفة
خلقك فقدرك ثم السبيل يسرك ثم أماتك فأقبرك أفتكذبين به في قوله ثم إذا شاء
أنشرك فإن لم تكوني مكذبة فما لك لا تأخذين حذرك فقف على بقية كلامه رضي الله
عنه وتدبر فيه تنتفع وتنتبه إن شاء الله **تنبيه** قال العلماء ينبغي للواقف
وبعدها اشتغالا بمحاسبة النفس بعد العمل عند ما يأوي إلى فراشه ونقل ذلك
بعض من أخذ إلى ما له أن عمر رضي الله عنه كان إذا جن عليه الليل حاسب نفسه
وربما ضرب نفسه بالدرة ولعلها عدد ما أسر سره **وفي شرح** الترغيب سنة
قال عليه السلام مما في صحف إبراهيم وعلى العاقل أن يكون له أربع ساعات ساعة
يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يمضي فيها إلى إخوانه
الذين يبصرونه بعيوبه ويدلونه على ربه وساعة يخلي فيها بين نفسه
وبين شهواتها المباحة **وفي النصيحة** الكافية قال صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى
على الله الأماني والكيس الكامل العقل والأحمق الغافل القليل التيقظ ومعنى
دان نفسه أذلها واستعبدها بأن أجمعها بلجام التقوى فصار له الحكم عليها
قال في لطائف المنن ومن ملكه الله أمر نفسه وهواه فقد آتاه الله الملك قال
الله سبحانه قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء **وقيل** دان نفسه
بمعنى حاسبها وضيق عليها حتى تكون ملكا يحبسها ويحكمها بذلك من أسباب
العطب كالدابة الجموح إذا كان ما جنحها متبعا كفها ولا يدعها **قال في**
تاج العروس اجعل نفسك كدابتك كلما عدلت عن الطريق يضربها بتقويم جنبها
إليها ولو فعلت مع نفسك كما تفعل في ملابسك كلما توسخت غسلتها وكلما
تقطع شيء منها رقعته وجددته كان لك السعادة في رجل أتقن
لحيته وما جلس مع الله جلسة يحاسب فيها نفسه **وقال المناوي** قال ابن
عربي كان أشياخنا يحاسبون أنفسهم على ما يتكلمون به ويفعلونه ويقيدونه
في دفتر فإذا كان بعد العشاء حاسبوا أنفسهم وأحضروا دفترهم ونظروا فيما
صدر منهم من قول وعمل وقابلوا كلا بما يستحقه إن استحق استغفارا استغفروا
أو توبة تابوا أو شكرا أشكروا وأنا ينامون ثم زدنا عليهم في هذا الباب الخواطر فكنا
نقيد ما نحدث به نفوسنا ونهم به ونحاسبها عليه **قال** في شرح النصيحة ويمكن
أن يكون معنى دان نفسه صير لها حالة فعلها مثل معاملة الحديد فهو يلين فيعلمها
وينقيها ويكملها بأداء الحقوق من فرائضها ونفيها بالحسنى وإعطائها إلى أجل

وعن عمر رضي الله عنه حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما
يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا وروي عن ميمون بن
مهران قال لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من اين
مطعمه وملبسه والاماني ما يتمناه الانسان ويشتهيه والمعنى انا نمنع
عن شهوات الدنيا لذاتها ونتمنى رضوان الله عز وجل بعمل [illegible]

• لا تتابع هواك في ذا المعاصي • واجتنب ذلك الفسوق والعصيان •
• احمق الناس من اطاع هواه • وتمنى على الله الاماني •

محصله انه يجب على الانسان ان يفتش على نفسه ويحذر افاتها ويسعى
في اصلاحها وتطهيرها وتهذيبها ورياضتها ودفع مكايدها ويحميها
عن التعلق بالشهوات والتجنب عن فتنة الدنيا فاذا فطم العبد نفسه
وحفظ جوارحه عما منع الله تعالى وضبط النفس عن الاسترسال في الشهوات
وداوم على ذلك وكابد نفسه عليه صار له ذلك ملكة وسهل عليه حينئذ
ردها وردعها اذا جنحت الى الامر [illegible] عن كل ما يرضي الصواب كالدابة في رياضتها
كما كانت احوال السلف الصالح رضي الله عنهم قال انس بن مالك رضي الله عنه
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطا
فسمعته يقول وبيني وبينه جدار عمر بن الخطاب امير المؤمنين بخ بخ والله
لتتقين الله او ليعذبنك وقال الحسن في قوله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامة
لا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه ماذا اردت بكلمتي ماذا اردت باكلتي ماذا
اردت بشربتي والفاجر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقال مالك بن دينار رحم
الله عبدا قال لنفسه الست صاحبة كذا الست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها
ثم الزمها كتاب الله فكان له قائدا ويحكى ان غزوان وابا موسى كانا في بعض
مغازيهم فتكشفت جارية فنظر اليها غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت
وقال مخاطبا العين انك للحاظة الى ما يضرك ونظر بعضهم الى امراة نظرة واحدة
فجعل على نفسه ان لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار
لينغص على نفسه العيش ويحكى عن تميم الداري رضي الله عنه انه نام ليلة عن
تهجده فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع ومنع [illegible] نفسه [illegible] سنة كاملة
لاجل كلمة واحدة تكلم بها فيما لا يعنيه ورئي ابو محمد بن بشر داود الطائي وهو
ياكل عند افطاره خبزا بغير ملح فقال له لو اكلته بملح فقال ان نفسي لتدعوني
الى الملح منذ سنة ولا ذاق داود ملحا ما دام في الدنيا قال الامام في الاحياء

والعجب

والعجب انك تعاقب عبدك وامتك واهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق
وتقصير في امر وتخاف انك لو تجاوزت عنهم لخرج امرهم عن الاختيار وبغوا عليك ثم
تهمل نفسك وهي اعظم عدوك واشد طغيانا عليك وضرر من طغيانها اعظم من ضرر
من طغيان اهلك فان غاية ما يتصور ان يشوشوا عليك معيشة الدنيا ولو عقلت لعلمت ان
العيش عيش الاخرة وان فيها النعيم المقيم الذي لا اخر له ونفسك هي التي تنغص عليك
عيش الاخرة فهي بالمعاقبة اولى من غيرها نسال الله تعالى ان يلهمنا رشدنا
ويملكنا امر انفسنا بمنه وكرمه امين قال الناظم رحمه الله

• واخلص في روح العمل الاخلاص • واسع اخي فيما به الخلاص •
• فكل من لا يتقي العواقب • فليس ذا عقل وراي ثاقب •

يقول اخلص هو امر من اخلص يقال اخلص لله في الطاعة ترك الرياء وروح الشيء
ما به حياته وقوامه والسعي في الشيء القصد يقال سعى يسعى سعيا كرعى
قصد وعمل ومشى وعدا كما في القاموس والخلاص النجاة يقال خلصه من
كذا تخليصا نجاه يعني انه يجب عليك ايها الاخ في الله ان تخلص في كل عمل
عملته لله عز وجل بان تقصد به وجه الله سبحانه وتعالى فان روح الاعمال
هو الاخلاص فيها وعمل بلا اخلاص كجسد بلا روح قال الله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال تعالى
الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل
لله تعالى ومناصحة ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم
انما نصر الله هذه الامة بضعفائها ودعوتهم واخلاصهم وصلاتهم وعن الحسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الاخلاص سر من سري
استودعته قلب من احببت من عبادي وقال سيدنا علي كرم الله وجهه لا تهتموا
لقلة العمل واهتموا للقبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل
اخلص العمل يجزك منه القليل وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد يخلص
لله العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولو لم
يكن في مدح الاخلاص والثناء عليه الا قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين
لكان كافيا في شرفه ورفعة قدره فان ابليس اقسم بعزة ملك الملوك سبحانه
جل جلاله ان لا يفلت احدا من التزيين والاغواء الا المخلصين فلا قدرة له

على اغواء اهل الاخلاص لان اعمالهم قوية ذات ارواح فمن ملاحظة له بعد تخلص
اعمال غيرهم جانها اما جيفة واما ضعيفة فلا يتخلص العبد من الشيطان الا
بالاخلاص ولذلك كان معروف الكرخي رضي الله عنه يضرب نفسه ويقول يا
نفس اخلصي تتخلصي وقال بعض السلف طوبى لمن صحت له خطوة واحدة
لا يريد بها الا الله ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الاخلاص واشار
الناظم بقوله روح العمل الاخلاص الى ما في الحكم الاعمال صور قائمة وارواحها
وجود سر الاخلاص فيها قال سيدي ابن عباد فالاخلاص لكل عمل هو روح اعماله
فمن وجود ذلك تكون حية نافعة وصالحة للتقرب بها ويكون فيها اهلية وجود
القبول لها وبعدم ذلك يكون موتها وسقوطها عن درجة الاعتبار وتكون
اذ ذاك اشباحا بلا ارواح وصورا بلا معان قال بعض المشايخ صحح عملك
بالاخلاص وصحح اخلاصك بالتبري من الحول والقوة هـ واختلفت عباراتهم في
الاخلاص فقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله في رسالته الاخلاص افراد الحق
سبحانه في الطاعة بالقصد وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله سبحانه دون
شيء اخر من تصنع لمخلوق او اكتساب محمدة عند الناس او محبة مدح من
الخلق او معنى من المعاني سوى التقرب به الى الله تعالى ويصح ان يقال الاخلاص
تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين ويصح ان يقال الاخلاص التوقي عن
ملاحظة الاشخاص هـ ومن شرح الوغليسية الاخلاص قصد وجه الله عز وجل
بكل قول وعمل وله مراتب ولكل من تبعه منه مراتب هـ وقد قسمه
العلماء على ثلاثة اقسام لان اخلاص كل احد في اعماله على حسب مقامه
وحاله الاول اخلاص الابرار وهو ان يكون الباعث على العمل طلب ما وعد الله
به المخلصين من جزيل الثواب وحسن المآب وخوف ما اوعد به المخلطين
من اليم العذاب وسوء الحساب الثاني اخلاص المحبين وهو ان يكون
الباعث على العمل اجلال الله وتعظيمه ومحبته والقيام بشكره لان الله
تعالى اهل لذلك ولو لم تكن نار ولا جنة كما قال القائل

• لو لم تكن نار ولا جنة • ولا وعيد بل ولا موعد •
• الم يكن حقا على العبد ان • يشغل بالطاعة من اوجده •

الثالث اخلاص المقربين وهو ان يكون الباعث على العمل ما تقدم
في القسم الثاني لكن مع الغيبة عن رؤية النفس وافعالها وشهودهم انفراد
الحق تعالى بتحريكهم وتسكينهم فهم لا يرون لانفسهم عملا تنبيهات

الاول

الاول قال العلماء ان عمل العاملين رجاء الثواب او خوف العقاب عمل
صحيح مقبول وهو اخلاص عامة المؤمنين وهو مدخول معلول عند العارفين
والمحققين لانه نتيجة الجهل بصفات الله تعالى وعظيم حقه لانه تعالى
غني عن خلقه كريم في وصفه وفضله حكيم وهو اكرم من ان يحتاج الى علة
في فعله قال سيدي ابو الحسن في حزبه فليس كرمك مخصوصا بمن اطاعك واقبل
عليك رب فلا يتقيد احسانه تعالى باعمال العاملين بحيث لا يكون الا مترتبا
عليها ومسببا عنها وهو تعالى اهل لان يطاع ولو لم تكن جنة ولا نار كما
تقدم ومن الحكم من عبده لشيء يرجوه منه او ليدفع بطاعته ورود
العقوبة عنه فما قام بحق اوصافه بل هو قائم بحظ نفسه من جلب الثواب او
دفع العقاب بخلاف ما اذا عبده لاجل جلاله وعظمته وما هو عليه من محامد
صفاته التي لا يشاركه فيها فانه حينئذ يكون قائما بحق اوصافه اذ هو فيها الحقيقها
اوحى الله الى داود عليه السلام ان اود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن
ليعطي الربوبية حقها وفيها نقل وهب بن منبه من الزبور ومن اظلم ممن عبدني
لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا لان اطاع قال الشيخ ابو طالب المكي
رضي الله عنه ومما روي عنه هذا القول واقع في هذا المقام جماعة من التابعين منهم
ابو حازم المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي ان اعبده خوفا من العذاب فاكون مثل عبد
السوء ان لم يخف لم يعمل واستحيي ان اعبده لاجل الثواب فاكون كالاجير السوء ان لم يعط
اجرة عمله لم يعمل ولكن اعبده محبة له قال ابو طالب وقد روينا معنى هذا الكلام عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن احدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير
السوء ان لم يعط الاجر لم يعمل قال وروينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان
سفيان الثوري يجلس بين يديها ويقول علمينا مما افادك الله من طرائف الحكمة وكانت
تقول نعم الرجل انت لولا انك تحب الدنيا وكان يعني في طلبها ويسلم قولها وكان عالما
زاهدا الا انه كان يرى كتب الحديث والاقبال على الناس وهي ابواب الدنيا وقال لها
يوما لكل عبد شرطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ما عبدته خوفا
من النار فاكون كالعبد السوء ان خاف عمل ولا حبا للجنة فاكون كالاجير السوء ان اعطي
عمل ولكن عبدته حبا له وشوقا اليه الثاني قال القرطبي رحمه الله الاخلاص
شرط في جميع العبادات وذلك بان يكون الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى
وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيئا من اعراض الدنيا وحدها فلا تكون عبادة
بل معصية اما كبرى او رياء فان فعل مذهب الامر بين فان كان باعث الدنيا مساويا او

اقوى لحقه بالقسم الاول في بطلان العمل لحديث من عمل عملا اشرك فيه غيري
تركته وشريكه فان كان باعث الدنيا اقوى فحكم المحاسبي ببطلان ذلك العمل
للحديث ونحوه وقال الجمهور بصحته واما الرابع وهو باعث الدين بالعمل ثم
عرض باعث الدنيا اثناء العمل فيساويه بالصحة وفي الاحياء اعلم ان العمل اذا
لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء او حظوظ النفس فقد
اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا ام لا يقتضي شيئا اصلا فلا يكون له
ولا عليه واما الذي لم يرد به الا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب واما
الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبار تدل
على انه لا ثواب له وليست تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح لنا فيه والعلم
عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث الديني مساويا للباعث
النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الرياء
اغلب واقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب نعم العقاب الذي
فيه اخف من عقاب العمل الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وان كان قصد
التقرب اغلب بالاضافة الى الباعث الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث
الديني وهذا لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره ولقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها
فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا على قصد الرياء حبط منه
القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من
عقوبة القصد الفاسد الثالث اخرج الامام مسلم والترمذي والنسا
والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما
يسال يوم القيامة ثلاثة رجل اتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما
علمت فيقول يا رب كنت اقوم به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله
تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم الا فقد قيل
ذلك ورجل اتاه الله مالا فيقول الله تعالى لقد انعمت عليك فماذا صنعت
فيقول يا رب كنت اتصدق به اناء الليل واطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت
وتقول الملائكة كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد الا فقد قيل ذلك
ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب امرت
بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت بل اردت
ان يقال فلان شجاع الا فقد قيل ذلك قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم على فخذي وقال يا ابا هريرة اولئك اول خلق تسعر بهم النار يوم القيامة
فدخل ابو هريرة على معاوية وروى له ذلك فبكى حتى كادت نفسه تزهق ثم قال
صدق الله اذ قال من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم الى
قوله وباطل ما كانوا يعملون الرابع قال في قوت القلوب حدثنا عن
رجل رؤي بعد وفاته فسئل عنه كيف رايت اعمالك فقال كل شيء عملته لله تعالى
وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة
الحسنات وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد نفق
حمار لي قيمته مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في كفة الحسنات وموت
حمار ليس فيها فقيل لي انه وجه حيث بعثت به فانه لما قيل لك قد مات قلت
في لعنة الله فبطل اجرك فيه ولو قلت في سبيل الله لوجدته في حسناتك وفي
رواية اخرى قال وتصدقت يوما بصدقة فنظر الناس فاعجبني نظرهم الي
فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما حدث بهذا ما احسن حاله اذ لم يكن عليه
بقي احسن اليه [illegible] في حياة الحيوان ما نصه رايت في مختصر الاحياء
للشيخ شهاب الدين بن يونس شارح التنبيه في باب الاخلاص ان من اخلص لله تعالى
في العمل ولم يرد به مخلوقا ظهرت اثار بركته عليه وعلى عقبه الى يوم القيامة
كما قيل انه لما اهبط ادم عليه السلام الى الارض جاءته وحوش الفلاة تسلم
عليه وتزوره فكان يدعو لكل جنس بما يليق به فجاءته طائفة من الظباء
فدعا لهن ومسح على ظهورهن فظهر فيهن نوافج المسك فلما رات بواقيهن
ذلك قلن من اين هذا لكن فقلن زرنا صفي الله ادم فدعا لنا ومسح على ظهورنا
فمضى البواقي اليه فدعا لهن ومسح على ظهورهن فلم يظهر فيهن من ذلك شيء
فقلن قد فعلنا كما فعلتن فلم نر شيئا مما حصل لكن فقيل لهن انتن كان عملكن
لتنلن كما نال اخواتكن واولئك كان عملهن لله من غير شيء فظهر ذلك
في نسلهن وعقبهن الى يوم القيامة انتهى وهذه من زيادات على الاحياء ه
وقوله واسع اخي فيما به الخلاص يعني انه يجب على كل مؤمن ان
يسعى بجد واجتهاد في الاعمال الصالحة التي هي سبب في فكاك رقبته ونجاته
من النار وخلاصه من غضب العزيز الجبار وقد قال بعض الاكابر المجاهدة
هي معرفة الحالة التي تنتهي بصاحبها الى سبل السلامة قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قال علماء جاهدوا في رضانا لنهدينهم
الوصول الى محل الرضوان وقال الجنيد جاهدوا في التوبة لنهدينهم سبل

الغلاق او جاهدوا واخذتنا النفوس عليهم سبل المناجاة معنا والانس بنا او جاهدوا
في طلبنا في بالي هذا النهج بنهج سبل الوصول اليناه والمجاهدة كما تقدم لنا بذل الوسع
فيما يرضي الله تعالى وتنهى ما يسخط يروى ان لقمان لما حضرته الوفاة قال لابنه
يا بني كنتم اما كنت اوصيك الى هذه الغاية واني موصيك بست خصال فيها علم
الاولين والاخرين اولها لا تشغل نفسك بالدنيا الا بقدر ما بقي من عمرك
ثانيها اعبد ربك بقدر حوائجك اليه ثالثها اعمل للاخرة بقدر ما
تريد المقام فيها رابعها ليكن شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تتخلص
لك النجاة منها خامسها لتكن جرأتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب
الله تعالى ما لم تتخلص النجاة منه سادسها ان اردت ان تعصي الله تعالى
فاطلب مكانا لا يراك الله عز وجل وملائكته فيه وعن الحسن البصري رضي الله
عنه قال ادركت اقواما وصحبت طوائف منهم ما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا اقبل
ولا يتاسفون على شيء منها ادبر ولهي كانت في اعينهم اهون من هذا التراب الذي
تطؤونه بارجلكم وان كانوا عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم
اذا جنهم الليل فقيام على اقدامهم يفترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم
يناجون ربهم في فكاك رقابهم وقد ذكر الامام في الاحياء رضي الله عنه من احوال
المجتهدين ما يحيي قلب كل غافل ويشوقه من ذلك ما يحكى ان قوما دخلوا
على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه واذا فيهم شاب ناحل الجسم فقال له عمر
يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال يا امير المؤمنين اسقام وامراض فقال له اسألك
بالله الا صدقتني فقال يا امير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة
وصغر عندي زهرتها وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكاني انظر الى
عرش ربي والناس يساقون الى الجنة والى النار فاظمأت لذلك نهاري واسهرت
ليلي وقليل حقير كل ما انا فيه في جنب ثواب الله وعقابه وقال يحيى بن
سعد مرفوع بين ايديهم اواما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك
فقال وما هذا عند ما بين يدي ما بقيت من ملاقاة الاهوال وهم غافلون قد
اعتمدوا على حسن ظنهم انفسهم ونسوا حظهم الاكبر من ربهم فبكى القوم عن اخرهم
وكان كرز بن وبرة يختم القرآن في كل يوم ثلاث مرات ويجاهد نفسه في العبادات
غاية المجاهدة فقيل له قد اجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا فقيل سبعة الاف سنة
فقال كم مقدار يوم القيامة فقيل خمسون الف سنة فقال كيف يعجز احدكم ان يعمل سبع
يوم حتى يامن ذلك اليوم يعني انك لو عشت عمر الدنيا واجتهدت سبعة الاف سنة

وتخلصت

وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين الف سنة لكان ربحك كثيرا وكنت بالغبطة
فيه جديرا فكيف وعمرك قصير والاخرة لا غاية لها تنبيه قال في جلاء
القلوب واعلم ان السعادة التي تجاهد لنيلها والشقاوة التي تجاهد لنفسك على
النجاة منها لا نهاية لهما ولا انقضاء ولا تراخي بل ذلك ابد الاباد لا ينتهي بتمادي
الاحقاب والاباد بل لو قدرنا الدنيا مملوءة من الذر خردلا من مشرقها الى مغربها
وقدرنا طائرا يختطف في كل خمسمائة الف سنة حبة واحدة من ذلك الذر
لفني ولم ينقض ذلك الشقاء ولا ذلك النعيم لان الابد لا ينقضي وهذه الشقاوة
الدائمة فيها من انواع البلايا والالام والعقوبات والحسرات ما قد شرحه الله
تعالى في كتابه واخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم مجملا ومفصلا واما السعادة ففي لذة
وسرور بلا كدر وغنى بلا فقر وكمال بلا نقصان وعز بلا ذل وراحة بلا تعب
وبالجملة ففي كما اخبر الله في كتابه وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اعد
لعباده الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومثل هذا
لا يحتاج الى استحثاث على طلبه وبعث الفتور عنه ولكن فتور الخلق عن سلوكهم فيه
السعادة انما هو لضعف ايمانهم باليوم الاخر وضعف ايمانهم سببه الغفلة عن التفكر
في المعاد وعن ثمرة الوعد والوعيد وتلك الغفلة مستمرة مستغرقة فلا ولا نعم
لا يستبصرون منها مدة دامت متوالية وهي بذلك وليس لهم واعظ يخلصهم وثم
منهم زكي القلب لان البلاد قد خلت من مثل هذا ولم نر من عالم زكي القلب
يخرج الناس ويحملهم في بلتفت اليه وان التفت اليه وان عنت النفس للقبول منه
والعزم على التوبة هجم عليها عقب ذلك عوارض الشهوات ومحبة الراحة
والكسل ونيل اللذات وقضاء الاوطار فعارضتها تلك الشهوات ذات البواعث
الضعيف على التوبة فخمدت وزالت اثره واعادته حجاب الغفلة واما قوله
وكل من لا ينقضي العواقب الخ فالعواقب جمع عاقبة وعاقبة الامر في اخره
والعقل نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية بحكم انه يقدم قبل
وولي اي ادبر ارايا وهو التعمق في مبادئ الامور ونهي عواقبها وعلم ما تؤول
اليه من الخطأ والصواب والثاقب نعت للراي وهو النافذ كما في القاموس
ثم هذا البيت يحتمل ان يكون مفرعا على ما قبله وهو قوله واسع فيما يبدا الغلاق
كانه قال لك تعلم ايها الاخ فيما انت ملاقيه من الاهوال العظيمة التي امامك
من الموت والقبر والسؤال والبعث والوقوف بين يدي المولى للحساب والميزان او

والصلحاء وغير ذلك من اهوال القيامة وشدائدها التي يصرخ فيها الانبياء والرسل
عليهم السلام نفسي نفسي لا اسالك اليوم الا نفسي حتى انه لو كان للرجل عمل
سبعين نبيا لظن انه لا يسلم واذا تفكرت في ذلك فاسع واجتهد فيما يكون به
خلاصك ونجاتك وفكاك رقبتك ان كنت ذا عقل فان كل من لم يتفكر في عواقب هذه
الامور وغفل عنها فهو مغرور وليس له عقل ولا راي نافذ وفي رواية عن حاتم الاصم رضي الله
عنه قال من خلا قلبه من ذكر اربعة اخطار فهو مغتر لا يامن من الشقاء الاول
خطر يوم الميثاق حين قال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي فلا يعلم
في اي الفريقين كان والثاني حين خلق في ظلمات ثلاث فنودي الملك بالسعادة
او الشقاوة ولا يدري امن الاشقياء هو ام من السعداء والثالث ذكر هول المطلع
ولا يدري ايبشر برضى الله سبحانه او بسخطه والرابع يوم يصدر الناس اشتاتا ولا
يدري اي الطريقين يسلك به ويحتمل ان يكون المراد به ما هو اعم من ذلك
مما يشمله ويشمل غيره والمعنى انه ينبغي للعاقل الحازم اذا اراد ان يعمل عملا
ان ينظر في عاقبته ويتدبر مآله وما يفضي اليه ولا ينبغي له ان يهجم عليه قبل
ذلك فان التهجم على الامور قبل نظر العواقب موقع في المعاطب والمهالك
وكل من لا يفعل ما ذكر فليس ذا عقل ولا راي نافذ وفي رواية ان ادم عليه السلام
اوصى ولده شيثا عليه السلام بخمسة اشياء وامره ان يوصي بها اولاده من بعده
اولها قال له قل لاولادك لا تطمئنوا الى الدنيا فاني اطمانيت بالجنة الباقية
فاخرجني الله منها والثاني قل لهم لا تعملوا بهوى نسائكم فاني عملت بهوى
امراتي واكلت من الشجرة فلحقتني الندامة الثالث قل لهم كل عمل
تريدونه فانظروا عاقبته فاني لو نظرت عاقبة الامر لم يصبني ما اصابني
والرابع اذا اضطربت قلوبكم بشيء فاجتنبوه فاني حين اكلت من الشجرة اضطرب
قلبي فلم ارجع فلحقتني الندم والخامس استشيروا في الامور فاني لو شاورت
الملائكة لم يصبني ما اصابني وفي الجامع الصغير اذا اردت ان تفعل امرا فتدبر
عاقبته فان كان خيرا فامضه وان كان شرا فانته رواه ابن المبارك اذا
هممت بفعل امر فتدبر عاقبته فان كان غيا منهيا عنه فتنح عن فعله وان كان سبيلا
عنه فاتبعه وفي رواية ان رجلا قال لابي الدرداء اوصني فقال له اذكر الله في السراء
[يذكرك] في الضراء واذا اشرفت على شيء من الدنيا فانظر الى ما يصير لطيفة
يحكى ان بعض الملوك كان يتخذ كل سنة وزيرا فاذا انقضت السنة عزله ونفاه
الى جزيرة وولى غيره الى ان ولى وزيرا عاقلا فبعث ذلك الوزير الى تلك

الجزيرة

الجزيرة فبنى بها دارا لنفسه ونقل اليها ما كان عنده فلما تمت السنة لم يعزله
الملك فسئل عن ذلك فقال كنت عندنا جاهلا وزيرا غافلا فلا ينظر في العواقب فمن
وجدت من الامارات اعمى الحال ولا ينظر في العواقب فوجدت ان اعجل عزله فصبرت
على هذا وقد بقي سنة فلما علمت لتذكرك ان اختلاطك بالناس وبهم مطلع على اسرار
ملكي فبعثته الى الجزيرة فلما وليت هذا وجدته من اعقل العواقب في جميع اموره
فلست استبدل به ما ذلك على هذا التدبير ومما قيل في مدح من كانت هذه صفته

• ذو يقظات مستمر مريرها • اذا الدهر اقبل احملت نوائبه •
• يصيب باعقاب الامور كانما • يخاطبه من كل امر عواقبه •
• وابين يجري الحق منه وانما • من ادق الامور المشكلات تجاربه •

وقال ابن العميد العاقل من استشف في كل امر خاتمته وعلم من كل بدء عاقبته
وكان الذي يطلبه من كل غرض ما يخفى منه ومن كل زرع ما يحصد عنه وقال البستي في
سليمان بن عبد الملك من قصيدة له

• يرى العواقب في اثناء فكرته • كان فكرته في الغيب كهان •
• لا فرحة منه الا انتفاع عمل • كالدهر لا ذروة الا العاشان •

اللهم اصلح منا الاحوال وسددنا في الاعمال والاقوال قال الناظم رحمه الله

• واعتزل الناس فخيرهم ذهب • وشرهم في الزمان قد غلب •

نعم قد الناظم هنا الحث على العزلة والابعاد عن الناس وترك مخالطتهم لقلة الخير
فيهم وغلبة الشر عليهم وقد ورد في مدحها والحث عليها ما لا مزيد عليه
قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله
وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا وقال تعالى حكاية عن موسى عليه
السلام ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب العباد الى الله الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا
لم يفتقدوا واذا شهدوا لم يعرفوا اولئك ائمة الهدى ومصابيح الظلام وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يحب العبد التقي الغني الخفي وفي صحيح البخاري عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اي الناس خير قال رجل جاهد بنفسه وماله ورجل في شعب من
الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وفيه ايضا عنه رضي الله عنه انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان خير مال الرجل المسلم الغنم
يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن واخرج ابن عساكر

عن ام مبشر بنت البراء بن معرور قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا
اخبركم بخير الناس قالوا بلى يا رسول الله فقال رجل اخذ بعنان فرسه في سبيل الله وقال الا
اخبركم بخير الناس بعده قالوا بلى يا رسول الله قال رجل في غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة
وقد اعتزل شرور الناس وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عامر لما قال له يا رسول
الله ما النجاة قال ليسعك بيتك وامسك عليك لسانك وابك على خطيئتك وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خذوا حظكم من العزلة وقال ابن سيرين العزلة
عبادة وقال الفضيل كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وقال
ابراهيم بن ادهم لداود الطائي عظني قال صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر
من الناس فرارك من الاسد وقال الحسن رحمه الله كلمات احفظهن من التوراة
قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة
عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس وقال سفيان الثوري
هذا وقت السكوت وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب من
العلوية فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له يا هذا قد جمعنا الله واياك منذ
سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشأ يقول

قليل الهم لا ولد يموت ... ولا امر يحاذره يفوت
قضى وطر الصبا وافاد علما ... فغايته التفرد والسكوت

وقال ابراهيم النخعي لرجل تفقه ثم اعتزل وقال يوسف بن اسباط سمعت سفيان
الثوري يقول والله الذي لا اله الا هو لقد حلت العزلة قال الامام الغزالي في كتابه
منهاج العابدين قلت انا ولئن حلت في زمانه ففي زماننا هذا وجبت وانتهت
وقال بشر بن عبد الله اقلل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان تكن
فضيحة كان من يعرفك قليلا ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال الك حاجة قال
نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك ولا تعرفني وقال رجل لسهل اريد ان اصحبك
قال اذا مات احدنا فمن يصحب الآخر قال الله قال فليصحبه الآن وقيل للفضيل ان
عليا ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي
افلا تممها فقال لا اراهم ولا يروني وقيل لسيدنا عمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال
ذهب الفراغ فلا فراغ الا عند الله عز وجل وقال ابن عباس رضي الله عنهما افضل
المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى ولا ترى ومن رسالة القشيري رضي الله عنه قال
سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن حامد
يقول جاء رجل الى زيارة ابي بكر الوراق فلما اراد ان يرجع قال له اوصني فقال وجدت

جم

خير الدنيا والآخرة في الخلوة والقلة وشرهما في الكثرة والاختلاط وفيها
ايضا سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت جعفر بن
نصير يقول سمعت الجنيد يقول مكابدة العزلة ايسر من مداراة الخلطة
وقال مكحول ان كان في مخالطة الناس خير فان في العزلة السلامة وقال
يحيى بن معاذ الوحدة جليس الصديقين سمعت الشيخ ابا علي الدقاق يقول
سمعت الشبلي يقول الافلاس الافلاس يا ناس فقيل له يا ابا بكر ما علامة
الافلاس قال من علامات الافلاس الاستئناس بالناس وقال يحيى بن ابي كثير
من خالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم وفيها ايضا سمعت ابا عبد الرحمن
السلمي يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت الجنيد
يقول من اراد ان يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا
زمان وحشة والعاقل من اختار فيه الوحدة وقال مالك بن دينار لراهب
عظني فقال ان استطعت ان تجعل بينك وبين الناس سورا من حديد فافعل
وقال حاتم الاصم الزم بيتك فان اردت الصاحب فالله يكفيك وان اردت الحبيب
فمن قبلك يكفيك والنيء ان يونسك وذكر الموت يعظك وقال بعضهم
من ثبت في الخلوة بين يديه حصل في العيش الامتع والعمل الانفع ومن عوارف المعارف
للسهروردي اعلم ان الاحوال والمقامات مبنى جميعها على ثلاثة اشياء بعد
الايمان وصحة عقوده وشروطه فصارت اربعة من تحقق بحقائق هذه الاربعة يلج
في ملكوت السموات ويكاشف بالقدرة والآيات ويحيى له ذوق بكلمات الله
المنزلات ويتحلى بجميع الاحوال والمقامات والثلاثة المزينة للنصوح
والتي هي تحقيق العبودية بدوام العمل لله تعالى كثيرا او قليلا من الاعمال
القلبية والقالبية من غير فتور ولا قصور ويستعان على هذه الاربع باربع
اخرى بها تمامها وقوامها وهي قلة الطعام وقلة الكلام وقلة النوم والاعتزال
من الناس واتفق المشائخ ان هذه الاربع بها تستقيم المقامات وتستقيم
الاحوال وبها صار الابدال ابدالا ومن التنبيه قال سهل بن عبد الله
اجتمع الخير كله في هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون
والصمت والخلوة والسهر وفي ذلك يقول القائل

يا من يريد منازل الابدال ... من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن فيها فلست من اهلها ... ان لم تزاحمهم على الاحوال
بيت الولاية قسمت اركانه ... ساداتنا فيه من الابدال

ما ليس يعنينا واعتزل الاذى بجسمي • والجوع والصمت النهي به العالي •

ومن الحكم لسيدي ابن عطاء الله رضي الله عنه ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة قال سيدي ابن عباد رضي الله عنه انفع الوجوه التي يداوي بها امراض القلوب العزلة عن الناس المصحوبة بالفكرة فالعزلة ينبغي للكامل عن مخالطة من لا تصلح مخالطته ومن لا يأمن من دخول الآفات عليه بصحبته فيتخلص بذلك المعتزل من المعاصي التي تعرض له بالمخالطة مثل الغيبة والمداهنة والرياء والتصنع ويحصل له بذلك السلامة من مسارقة الطباع الردية والاخلاق الدنية ويستفيد بذلك ايضا صيانة دينه ونفسه عن التعرض للخصومات وانواع الشرور والمناقشات للنفس بالانتصار لها وتسارعها الى الغرض مثل هذا ثم قال وبالعزلة ايضا يجتمع همه ويغني بذات الله عز من يخلاف المخالطة فانها تعمي القلب وتضعف العزم وقد قيل ان المؤمن لينتفع بخلوته على خصال من الخير بعملها فاذا خرج الى الناس حلوا عليه ذلك عقدة عقدة حتى يرجع الى بيته وقد انحلت العقد كلها ثم قال وبالعزلة ايضا ينكف بصره عن النظر الى زينة الدنيا وزهرتها وينهى ان خالفهم عن الاستحسان لما خذه من الله تعالى من زخرفها فتمتنع بذلك النفس عن التطلع اليها والاستشراف لها ومنافستها اهلها فيها قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا الآية ولا ينبغي لاحد ان يستخف هذا فانه يؤدي الى امراض عظيمة في القلب ومن اعتزل الناس سلم بذلك ان شاء الله تعالى من شرهم ومن الحديث خص البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم وقال بعضهم رب وحدة انفع من جليس ووحشة انفع من انيس وقال بعضهم العزلة من الناس تغني العرض وتبقي الجلالة وتستر الفاقة وترفع مؤونة المكافأة في الحقوق الواجبة وقيل لبعض الحكماء لا تغشى الملوك فقال وجدت الانس في الخلوة اجمع لدواعي السلوة وقال بعض الحكماء العاقل مستوحش من زمانه منفرد عن اخوانه وقال سيدنا علي رضي الله عنه من وجد في نفسه وحشة من الناس فليعلم ان الله اراد ان يؤنسه به وقال بعض الحكماء الانس بالله من حبه لك فان الله اذا احب عبدا اوحشه من خلقه وقال بعض العارفين اطيب ساعاتي في خلواتي والذ ساعاتي في مناجاتي وفي القصيدة الزينبية المنسوبة لسيدنا علي رضي الله عنه

• كن ساكنا في ذا الزمان بمعزل • ان الكثير من الورى لا يصحب •
البتة فكن لنفسك وكن فيها راهبا • مغلقة الابواب من غير حجابها •

وقال

وقال الصوري • انست بوحدتي حتى لو اني • رايت الانس لاستوحشت منه •
• ولم تدع التجارب لي صديقا • اميل اليه الا ملت عنه •

ولبعضهم • سعد الناس ولم يبلهم • ثم بلاهم ذم من يحمد •
• وصار بالوحدة مستانسا • يوحشه الاقرب والابعد •

وقال القاضي ابو الحسن الجرجاني

• ما تطعمت لذة العيش حتى • صرت وحدتي لكتبي جليسا •
• انما الذل في مخالطة الناس • فدعهم وعش عزيزا رئيسا •
• ليس عندي شيء اجل من العلم • فلا ابتغي سواه انيسا •

وقال ابو فارس اللغوي في المعنى

• اذا ازدحمت هموم القلب قلنا • عسى يوما يكون لها انفراج •
• نديمي هرتي وانيس نفسي • دفاتر لي ومعشوقي السراج •

وقال الفقيه منصور المصري

الناس بحر عميق • والبعد عنهم سفينة • وقد نصحتك فانظر • لنفسك المسكينة

وقال القاضي ابو بكر بن عطية

• بلوت بني دهري فما حمدت ابدا • ولا شيء اشفى للنفوس من الياس •
• جربت اناسا لست في الدهر منهم • وما بالجلا عنهم الهوى من جالس •
• فلا تعذلوني في انقباضي فانني • رايت جميع الشر في خلطة الناس •

وقال في اخرى

• خلطة الناس فساد ونكد • ما ارى الخلطة خيرا لاحد •
• انما الناس كشوك نابت • كيف يجتاز ما على الشوك احد •

وقال الاخر ايضا

• كن لقعر البيت حلسا • وارض بالخلوة انسا •
• واغرس الناس بارض الز • هكذا مهما شئت فيه سا •
• لست بالواجد حيا • او ترى الترب امسا •

وقال الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه

• لا تخرج عن الوحدة وتبعد • ومن البعد في زمانك فازدد •
• ذهب الاخاء فليس ثم اخوة • الا التملق باللسان وباليد •
• فاذا كشفت ضميرها عن ما بهم • ابصرت ثم نقيع سم الاسود •

وقلت في مدح الوحدة

في الوحدة البيضاء أُنسٌ • والأنس بالناس وحشة •
ما في لقاء الناس خيرٌ • لكن بلاء ودهشة •
فعش فريدا وحيدا • تأمن من كل هوشة •
واخش الحميم واحذر • يوم القيامة بطشه •

لطيفة قد عنّ لي أن أذكر هنا مقالة ذكرها العلامة عز الدين ابن
عبد السلام المقدسي في كتابه كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار
وهي إشارة البوم لما فيها من مدح العزلة والابتعاد وخصها أيضا ال
البوم وهو ينعق في خراب أب مهجور أيها الهدهد الهادي لا تكن
بمقالة الخطاف واتبعا فإنه أنس من شيمة زاحمهم في أماكنهم وعاشرهم أعيادهم
وتكثير سوادهم وقد علمت أن من كثر سواد قوم فهو منهم ولو جمعهم ساعة
فهو مسؤول عنهم وقد علمت أن مبدأ الشر بك من آفة المخالطة والخلطة
غلطة وأول السبيل نقطة واعلم أن السلامة في العزلة عنهم ولهذا اخترت
العزلة فعلا استنسابنستي وتأنسي بوحدتي واعتزلت المنازل والمنازل
وزهدت في المآكل والآكل فلذا سكنت في أماكنهم ولا أبالي في السهم
بل اخترت الدائر من الجدران ورضيت بالخراب من العمران فسلمت من
الأنكاد وأمنت من الحساد وأزل عن الأحباب في بعد وعن الأتراب في بعد
من كان مسكنه التراب كيف يستأنس بالأتراب ومن كان الليل والنهار
يجريان في عمره فكيف لا يقنع بالخراب من علم أن الحِمام فهو ووكل إلى الفناء
يختبي فقنع من الدنيا باليسير وبات على خشية العسير وأقفى على أثرهم
الشعير وعلم أن الخلق في الحشر فريق في الجنة وفريق في السعير أما أنا
فتفكرت في الدنيا وأهلها وإلى الآخرة وأفنيت أهلها وإلى القيامة وحسابها
وإلى النفس وأنسابها فشغلتني الفكرات في حالي عن أشغالي العالي وأذهلني
ما علي وما لي وأرضيت حبيبي واعتزلت عن القصور العوالي فحلا لي البيت
عن بصحبتي تركت كل شبهة فعلمت أن أصحابي ود ولا أنس بعد وأن كل شيء
هالك إلا وجهه فبقيت ما هو وما هو فنا ما هو فحيث كنت لا أرى إلا
هو وإذا انكشفت لا أقول إلا هو •

أجد عنهم بعزلة • وليس لي منهم سواه • أهيم وحدي بهمه ما وجدي •
وكل قصدي رضاه • إني حبيب نعم قلبي • وما دروا بالذي دهاه •
أحببت مولاي إذ تجلى • يقتبس البدر من سناه • فتحير الناس فيه كهواه •

وجملة الناس

وجملة الناس فيه تاهوا • قال فأخذت أتأمل وعلمته بمجامع قلبي
وخلعت عن ملابس عجبي إلا أن الهوى يقول فحي بي وقال القسطلاني
في شرح البخاري على قوله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان الخ
الحديث السابق فيه إشارة إلى أن خيرية العزلة تكون في آخر الزمان
أما زمانه صلى الله عليه وسلم فكان الجهاد فيه مطلوبا وأما بعده فيختلف
باختلاف الأحوال وقد قال أبو القاسم القشيري رحمه الله الخلوة صفة
أهل الصفوة والعزلة من أمارات الوصلة ولا بد للمريد في ابتداء حاله
من العزلة عن أبناء جنسه ثم في نهايته من الخلوة لتحققه بأنسه ومن
حق العبد إذا آثر العزلة أن يعتقد باعتزاله عن الخلق سلامة الناس
من شره قال وفي العزلة فراغ القلب وانقطاع طمع الناس عنه
وعقبتهم عليه والخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى وفي مخالطة الخلائق
غالبا الغيبة والرياء والمخاصمة وسرقة الطبع إلى رذائلهم وقال
أيضا على قول السيدة عائشة رضي الله عنها ثم حبب إليه الخلاء
فيه تنبيه على فضل العزلة لأنها تريح القلب من أشغال الدنيا
وتفرغه لله فيتفجر منه ينابيع الحكمة والخلوة أن يخلو عن غيره بل وعن
نفسه بربه وعند ذلك يصير خليقا بأن يكون قلبه ممرا للواردات علوم
الغيب وقلبه مغرى للعظمة والكلام في الحض على العزلة كثير وقد ألف العلماء
في ذلك فلشيخ شيوخنا أبي عبد الله جسوس الفاسي تأليف سماه النصيحة
لذوي الهمم الأكياس في التحذير من خلطة الناس ولبعض علماء أهل فاس
تأليف أيضا سماه التنبيه من الغفلة في الحث على العزلة وكل ذلك متابعة
لما قال أئمة الهدى ومذهبهم واختاروه من السلف الصالح كسفيان الثوري
وإبراهيم بن أدهم وداود الطائي والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف
بن أسباط وحذيفة المرعشي وبشر الحافي وغيرهم رضي الله عنهم وأرضاهم نعم قال الإمام
القسطلاني في شرح البخاري تجب الخلطة لتحصيل علم أو عمل وقال
ابن عباد في شرح الحكم وذلك بعد تحصيل ما يحتاج إليه من علوم الشرع
الظاهر والقيام بما عليه من إعانة أبناء البلد وفي جامع الشيخ خليل
عطفا على ما يلزم المكلف ثم التجرد عن الدنيا والتجرد عن الخلق إلا ما لا بد
منه من طلب علم نافع أو معيشة والعلم النافع هو العلم بالله تعالى
وصفاته وما يجب من حقوق ربوبيته وبكيفية أداء أبعاده والتعبد له

والتأدب بما يذكر به فيها او في ولده او معيشته ان يقطع فيها الخلطة
الناس اكتسب كفافا بصنعة او تجارة فان ذلك من عمل الآخرة ايضا
كسائر العبادات ففي الحديث من بات وانيا من طلب الحلال اصبح
مغفورا له رواه ابن عساكر من شرح الشيخ التاودي وقال الحميري

• لقاء الناس ليس يفيد شيئا • سوى الهذيان من قيل وقال •
• فاقلل من لقاء الناس الا • لاخذ علم او اصلاح حال •

تنبيه ذهب جماعة من السلف ايضا رضي الله عنهم كسعيد ابن
المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح
وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعي والامام احمد
الى اختيار الخلطة وتكثير الاخوان اعتبارا لما للخلطة من الفوائد
كالتعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس
والايناس ونيل الثواب والانالة والتواضع واكتساب التجارب الى غير
ذلك ولهذا قال البلالي الصحبة والعزلة ترجح كل منهما فرب نفع بالصحبة
كماله فبصحبته تعلمه وتعليمه صفة عفوه وعبادته وحسن خلقه مع
احتمال وتواضع والعفة ومعرفة امور لازمة له ورب نفع بالعزلة مع جمع او اعلا
العلم بالنقل وبحث لتحصيله بما علم لانسه به وانه ذكر او صحبة بدوام
في ينتج محبته تعالى وهو الغاية وسببها قطع علائق وانتاج محبة
الغير ودوام المجاهدة يفيدها بلا شك وتوبة بلا ذنب وزهد بلا رغبة
وقد تعرض الامام ابو حامد الغزالي رضي الله عنه في الاحياء لحجة كل من الفريقين
وفائدة كل من القولين فقال بعد ذلك ما نصه اذا عرفت فوائد
العزلة وغوائلها تحققت ان الحكم عليها مطلقا بالتفضيل مطلقا نفيا او اثباتا
خطأ بل ينبغي ان ينظر الى الشخص وحاله والى الخليط وحاله والى
الباعث على مخالطته والى الفائت بسبب مخالطته من هذه الفوائد
المذكورة ويقاس الفائت بالحاصل فعند ذلك يتبين الحق ويتضح
الافضل وكلام الشافعي رحمه الله هو فصل الخطاب اذ قال يا يونس
الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء
فكن بين المنقبض والمنبسط ولذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة
ويختلف ذلك بالاحوال وبملاحظة الفوائد والآفات يتبين الافضل
هذا هو الحق الصراح وكل ما ذكر سوى هذا فهو قاصر وانما هو اخبار كل

واحد



واحد عن حالة خاصة هو فيها ولا يجوز ان يحكم على غيره المخالف له في
الحال ثم قال رحمه الله بعد كلام فان قلت فمن آثر العزلة ورآها
افضل له واصلح فما آداب العزلة فنقول انما يطول النظر في آداب
المخالطة وقد ذكرناها في كتاب آداب الصحبة واما آداب العزلة
فلا تطول فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا
ثم طلب السلامة من شر الاشرار ثانيا ثم الخلاص من آفة القصور عن القيام
بحقوق المسلمين ثالثا ثم التجرد بكنه الهمة لعبادة الله رابعا فهذه
آداب نيته ثم ليكن في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر
والفكر ليجتني ثمرة العزلة وليمنع الناس عن ان يكثروا غشيانه وزيارته
فيشوش اكثر وقته وليكف عن السؤال عن اخبارهم وعن الاصغاء الى
اراجيف البلد وما الناس مشغولون به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتى
ينبعث في اثناء الصلاة او الفكر من حيث لا يحتسب فوقوع الاخبار في السمع كوقوع البذر
في الارض فلا بد ان ينبت وتتفرع عروقه واغصانه ويتداعى بعضها الى بعض واحد
مهمات المعتزل قطع الوساوس الصارفة عن ذكر الله والاخبار ينابيع الوساوس
واصولها وليقنع باليسير من المعيشة والا اضطره التوسع الى الناس واحتاج
الى مخالطتهم وليكن صابرا على ما يلقاه من اذى الجيران وليسد سمعه عن الاصغاء
الى ما يقال فيه من ثناء عليه بالعزلة او قدح فيه بترك الخلطة فان كل ذلك يؤثر
في القلب ولو مدة يسيرة وحال اشتغال القلب به لا بد ان يكون واقفا عن سيره
الى طريق الآخرة فان السير اما بالمواظبة على ورد وذكر مع حضور قلب واما
بالفكر في جلال الله وصفاته وافعاله وملكوت سمواته وارضه واما بالتأمل
في دقائق الاعمال ومفسدات القلوب وطلب طرق التحصن منها وكل ذلك
يستدعي الفراغ والاصغاء الى جميع ذلك مما يشوش القلب في الحال وليكن
له اهل صالحة او جليس صالح لتستريح نفسه اليه ساعة من كد المواظبة
ففيه عون على بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع الطمع عن
الدنيا وما الناس منهمكون فيه ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل بان لا يقدر
لنفسه عمرا طويلا بل يصبح على انه لا يمسي ويمسي على انه لا يصبح فيسهل عليه صبر
يوم ولا يسهل عليه العزم على الصبر عشرين سنة لو قدر تراخي الاجل وليكن
كثير الذكر للموت ووحدة القبر مهما ضاق قلبه من الوحدة وليتحقق ان من
لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فلا يطيق وحشة الوحدة

بعد الموت وإن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يبالي بالموت لأنه إذ لا يهدم الموت
محل الأنس والمعرفة بل يبقى حيا بحياته وأنسه فرحا بفضل الله عليه ورحمته كما
قال الله تعالى في الشهداء ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند
ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وكل متجرد له في جهاد نفسه فهو شهيد
مهما أدركه الموت مقبلا غير مدبر فالمجاهد من جاهد نفسه وهواه كما صرح به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله والجهاد الأكبر جهاد النفس كما قال
الصحابة رضي الله عنهم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعنون جهاد
النفس اه‍ وقال الراغب في كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة قد كثر
اختلاف الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط ففضل قوم التفرد على الناس
وفضل قوم الاختلاط بهم وأورد كل فريق شبها في ذلك واختلفوا في ذلك بسبب
اختلاف نظرهم فيهما وابتلاء أحدهما بصاحبه من غير تصفح صاحبته ومصاحبة
الآخر من صاحبته فحمده والأصل أن اجتماع بعضهم مع بعض أمر ضروري
لتعلق بعضهم ببعض ولهذا لما سمع علي رضي الله عنه قائلا يقول اللهم
أغنني عن الناس قال يا رجل أراك تسأل الموت قل اللهم أغنني عن شرار
الناس فالناس لا يستغني بعضهم عن بعض وقبيل النبي … وإلى
لثلاثة سلطان للإنشاء وتدبير المملكة وحكيم لاستنباط الحكمة ومتنسك
لمناجاة رب العزة فإن النبي يكمل الإنسانية ولا يجتمع من هاؤلاء بقبيله
ومن كان النبي خير الأجل لا يجتمع منه … وذلك يشاركه فيه المؤمن
وفضيلة الإنسان أن يكون خيرا لأن يكون … أو أن زمانا أكمل
قيل: إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إجلال وإحسان
فحق العاقل الفاضل أن يجتمع مع العامة في ظواهر أحكام الشرع
والإقامة ووظائف العبادات وأن يترفع من الفضيلة بقدر الوسع ويتميز
عنهم في التوسع في المعارف والأخلاق والأفعال الجميلة ولهذا كان حكم
الكفاية قال عليه الصلاة والسلام عليكم بالسواد الأعظم ولهذا كان
الترفع عنهم في التوسع في المعارف والأخلاق قبل الحنكة التامة مباينة
العامة بل قيل من استأنس بالله استوحش من الناس وذلك لحظ الغنيمة
أبلغ في التخلق والتنحي عن الاغترار بكثير منهم وإلى كون البيع لا سيما ما ليس
قصده الآخرة وطلب الحق قال تعالى إنهم عن السمع لمعزولون … ولم
يسمعوا … وقال تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد

أمثالكم

أمثالكم قلت وما أحسن قول أبي العتاهية رحمه الله

وحدة العاقل خير * من جليس السوء عنده
وجليس الخير خير * من جلوس المرء وحده

فإذا وجد الإنسان جليسا عاقلا يستعين به على ذكره إذا نسي وينبهه
إذا غفل وكان ممن يستأنس بمشاهدة أحواله وأقواله في الدين كان
الاجتماع به في بعض الأوقات أولى من عدمه إذا كان الغرض منه ترويح
القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فإن القلوب إذا أكرهت
عميت قال في الإحياء وهذا أمر لا يستغنى عنه فإن النفس لا تألف
الحق على الدوام ما لم تروح وفي تكليفها الملازمة داعية للفترة وهذا
عنى بقوله عليه السلام إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق والابغال
فيه برفق دأب المستبصرين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس
بها وهل يفسد الناس إلا الناس فإن لم يجد الإنسان من يشوش عليه
وقته وحاله ويفسد عليه قلبه فالتفرد أولى وكفى بالله عز وجل
وبكتابه أنيسا وجليسا كما أشار إلى ذلك الناظم بقوله

واجعل كتاب ربك الأنيسا * وكامل الكتب تجد رئيسا

الكتاب في الأصل مصدر قال الله تعالى كتاب الله عليكم وقد يراد به المكتوب
وأصل هذه المادة الدالة على الجمع ومنه كتيبة الجيش والكتابة في قلم
ضم بعض حروف الهجاء إلى بعض وكتاب الله عز وجل الذي هو القرآن العظيم الذي هو
كلامه المنزل على نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يسمى في القرآن فرقانا
لفرقه بين الحق والباطل ويسمى الذكر لأن الله تعالى ذكره أو لأنه شرف لمن
آمن به ويسمى كتابا قال القرطبي وهل تسميته قرآنا توقيفي أو مشتق
من الجمع لأنه جمع القراءة بعضها إلى بعض ومنه قرأت الماء في الحوض جمعته
قولان قال شيخنا مولانا المختار الكنتي رضي الله عنه وعنا به في …
وإنما كان القرآن كلامه تعالى مع علمنا بأن حقيقة كلامه تعالى عن الأصوات
والحروف لأنه معجز وإضافته إليه تعالى إضافة تشريف لا إضافة تعريف فيبرأ له
بتلك الإضافة من قول الكفرة شعر سحر كهانة كما برأ عيسى عليه السلام بتسميته
روح الله مما يقذفه به اليهود بسبب أنه خلق من نفخة جبريل عليه السلام كما
قال تعالى ونفخنا فيه من روحنا يعني جبريل عليه السلام وإنما كون القرآن

مخلوقا او غير مخلوق مما ينبغي السكوت عنه لسكوت الله ورسوله عنه فيبقى جهلا لا ينفع به
قال الله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ومن المعلوم ضرورة انه ليس بكلام الله القديم القائم
بذاته الذي ليس بحرف ولا صوت ولا سكوت قبله كما انه لا يتنزل بعده لانه صفة من صفاته وصفاته
قديمة بقدم ذاته لا بقدم مستقل لان ذلك يؤدي الى تعدد القدماء وذلك محال وصفاته
تعالى ليست عين الذات ولا خارجة عنها كما ان حد السبع ليس هو عين السبع ولا خارجا
عنه ولهذا سمع موسى عليه السلام كلام الله جل جلاله بكلي الجهات من غير صوت ولا حرف اذ لا قدرة له
على غير ذلك ثم خلق فيه سمعا مغايرا للسمع الذي هو سمعه اقتدر به على سمع كلامه
المتجلي قاله ابن العطاء كما نص عليه المنزو في روضة مخبرا بما روي عن كعب الاحبار
يا موسى قال الربيع في بعض مناجاته هل اسمعتني كلامك الذي هو كلامك قال انك لا تطيق
ذلك قال فكيف ذلك قال بمثل تكييف سماع الصاعقة اذ انزلت بك فلا قال الله تعالى
بكلامي الذي هو كلامي اجل من الف صاعقة وروى الطبراني بسنده الى ابن عباس عن كعب
الاحبار قال لما كلم الله عز وجل موسى عليه السلام كلمه بكل الالسنة كلها قبل ان يكلمه بلسانه
فجعل موسى يقول رب لا افهم حتى كلمه بلسانه في اخر الالسنة فقال يا رب اهكذا كلامك قال
لو سمعت كلامي على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء يشبه كلامك قال
لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق قال والدليل على ان الله
تعالى خاطب موسى من غير واسطة تاكيده كلامه بالمصدر يعني قوله تعالى وكلم الله
موسى تكليما لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر وهذا يدل على ما قال ان الله تعالى
خلق كلاما سمعه موسى ذلك الكلام واما قول ابي عمر رحمه الله في رسالته
وان القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد ولا صفة لمخلوق فينفد فمحمول بكون الحروف
والاصوات مخلوقة والمعنى القائم بالذات المتجلي في تلك الاصوات التي هي الوحي وهو
هو كلام الله حقيقة كما ان الاصوات والحروف كلامه مجازا او اضافة لا حقيقة وهو
المراد بقول الله تعالى حتى يسمع كلام الله وقول عائشة رضي الله عنها ما بين
دفتي المصحف كلام الله ولا يعارض هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء فجعله ان البشر لا
يترشح لذاته هذه الدرجة العظيمة والمنقبة الجليلة ولكن الله تعالى تفضل
عليه بما ليس له باهل وقواه على تحمل اعباء كلامه الذي لا تقوم له الجبال الشامخة
ولا البحار الزاخرة كما يدل عليه قوله تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله وقوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى
صعقا فلما امده الله عز وجل بروح منه اقتدر به على تحمل اعباء المكالمة وتجليات

المكافحة

المكافحة وانما خر موسى عليه السلام صعقا في هذه دون غيرها من التجليات
لانه سال ربه في مقام العظمة ما ليس له وهو طلب الرؤية اذ ليست رؤيته تعالى
مما يحكى بالطلب او ينال بالسبب فلما لم يقم بواجب الادب ارى اسباب العطيا
ولذلك قال لسيد الهاشميين تاديبا وتسديدا وعناية وتمهيدا وقل رب
ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق يعني كونه مع ربه لا بنفسه
لان ما دخله العبد بنفسه وكل اليه وما دخله بربه اعين عليه وكان وليه
فيه قال ابن عطاء الله ما توقف امر انت طالبه بربك ولا تيسر امر انت طالبه
بنفسك ثم قال الشيخ رضي الله عنه بعد ذلك فالكلام من حيث هو
كلام على ثلاثة اقسام ذاتي وهو كلامه القائم بذاته الذي هو
صفة من صفاته واضافي وهو التجلي الذي تجلى به في تلك الاصوات
والحروف الذي تحدى به عجز البشر عن ان ياتوا بمثله كما في ان الحكيم الذي به
قدرته وصدق المبعوث به ولذلك تحداهم به بل بسورة من مثله وكوني
وهو الذي فتق عنه رتق الالسنة بقدرته ونزل منه على ادم عليه السلام
الف لغة افضلها العربية ثم السريانية ثم العبرانية ثم اليونانية التي
انزلت بها الكتب الاربعة الباقية بايدي الناس الى يوم القيامة فـ
القرآن بالعربية والتوراة بالسريانية والزبور بالعبرانية والانجيل
باليونانية فتكلم ادم عليه السلام بجميع تلك الالسنة فهي متفرقة
في بنيه الى يوم القيامة ثم ما ذكره هنا سيدنا الشيخ رضي الله عنه مخالف
لما في الانسان الكامل ونصه يقال اللغات التي نزل بها كلام الله العربية
والعبرانية والسريانية الفرقان نزل باللغة العربية والتوراة بالعبرانية
والزبور والانجيل بالسريانية فيفهم منه ان الانجيل بالسريانية قال
الجيلاني وهو المشهور خلافا للتيمي والتوراة بالعبرانية نقص الحبيب
نقله بشرح المواهب فاذا عبر عن كلام الله بالعربية يسمى قرآنا واذا عبر
بالعبرانية يسمى توراة واذا عبر بالسريانية يسمى زبورا وانجيلا وهذه
العبارات جميعها كلام الله تعالى من غير خلاف بين العلماء لانها يفهم
منها ما يفهم من كلام الله الذي هو قائم بالنفس وهو مدلول هذه العبارات
فان العلماء اجمعوا على ان المكتوب في الصدور والمحفوظ في الالسنة والمكتوب
في المصاحف يقال له كلام الله عز وجل تنبيه اول من تتبع القرآن
وجمعه في زمن ابي بكر رضي الله عنه زيد بن ثابت الانصاري تتبع القرآن

وجمعه من العسب بضم المهملتين جمع عسيب وهي جريد النخل والرقاع
واللخاف جمع لخفة وهي الحجارة الرقاق وصدور الرجال حتى وجدت آخر
التوبة لقد جاءكم مع خزيمة الأنصاري ذي الشهادتين لم أجدها مع أحد
غيره فألحقتها في سورتها وكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر
حتى قبضه ثم عند حفصة بنت عمر وفي رواية قال زيد فقدت آية من
الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرأ بها فالتمستها فوجدتها مع خزيمة الأنصاري من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقناها في سورتها وروى البخاري في صحيحه
عن أنس أن حذيفة قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية
مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك هذه
الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة
أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها إليه
فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن
الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين
الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان
قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف
رد عثمان الصحف إلى حفصة فأرسل في كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما
سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق واعلم أنه قد اشتهر أن عثمان
أول من جمع المصاحف وليس كذلك بل أول من جمعها في مصحف واحد
أبو بكر الصديق ثم أمر عثمان حين خاف الاختلاف في القراءة بتحويله منها
إلى المصاحف هكذا نقله السيوطي كما في البرهان فوائد

الأولى قال العلماء في القرآن ستة آلاف آية وستمائة وست وستون آية
ألف منها أمر وألف نهي وألف وعد وألف وعيد وألف عبر وأمثال وألف
قصص وأخبار وخمسمائة حلال وحرام ومائة دعاء وتسبيح وستة
وستون ناسخ ومنسوخ قاله ابن الحسن ونقله الرجراجي في الفوائد الجميلة
على الآيات الجليلة الثانية في كيفية إنزال القرآن ثلاثة أقوال أصحها
أنه نزل جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا قال السيوطي في الإتقان
نزل إلى بيت يقال له بيت العزة في شهر رمضان في ليلة القدر منه وأمر السفرة
الكرام بانتساخه ثم نزل به الروح الأمين وهو جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم

منجما

منجما مفرقا على حسب المصالح في مدة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي عشرون
أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة على حسب الاختلاف في مدة
إقامته صلى الله عليه وسلم بمكة ومدة إقامته بالمدينة عشر سنين
اتفاقا وأول من تكيف القرآن على لسانه على الأصح جبريل عليه السلام
ويشهد له قوله تعالى نزل به الروح الأمين الآية إذ جعل قوله بلسان
متعلقا بقوله نزل واختلف أيضا في كيفية تلقي الملك له من الله تعالى
إذا أراد نزول شيء منه والأصح أن الملك وهو جبريل أو إسرافيل على
الخلاف يتلقفه من الله تعالى تلقفا روحانيا على كيفية يعلمها الله ثم
ينزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء وفي نزول
القرآن مفصلا رفق عظيم بهذه الأمة قال تعالى وقرآنا فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث ولذلك لما نزلت التوراة جملة واحدة عجز بنو إسرائيل
عن تحمله حتى أراهم الله آية الجبل كما قال تعالى وإذ نتقنا الجبل
فوقهم الآية ولأن الحسنى بعد الطلب ألذ وأوقع في النفس وأنفع قال تعالى
وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك
ورتلناه ترتيلا الثالثة قال المحاسبي في بغية السالك اعلم أن
سر القرآن ولبابه ومقصده دعوة الخلق إلى المعرفة بالله تعالى
إذ كل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات كالتعريف بالله وصفاته
وأفعاله والتعريف بكيفية السلوك إليه والتعريف بوعده ووعيده
والتعريف بأهل التخصيص كالأنبياء والملائكة والأولياء والتعريف
بأهل المقت كإبليس وجنوده من الجن والإنس والتعريف
بالأحكام التي كلفها عباده كل ذلك تعريفات تحرك النفس التي
الاتصاف بمعنى التوحيد الجاذب إلى المعرفة الحقيقية وهي فناء
معنى التوحيد في النفس حتى يصير صفة لها لا تغفل عنه ولا تجد أنسا
بغيره قال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الآية وهذه الحقيقة هي
المطلوب من جميع العبادة ولنرجع إلى معنى كلام الناظم بقوله الأنيسا
مفعول ثان للجعل والأنيس المؤانس وكل ما يؤنس به جمعه أنس وفي
نسخة الجليسا والمعنى لما أمرك الناظم في البيت قبل هذا بالغنى عن
الناس وترك مخالطتهم لقلة الخير فيهم وغلبة الشر عليهم أمرك هنا أن
تجعل كتاب الله عز وجل أنيسك وجليسك فلا تتخذ أنيسا وأفضل

جليس وكفى به كما قال الفضيل رضي الله عنه كفى بالله محبا وبالقرآن
مؤنسا وبالموت واعظا واعلم انه ورد في فضل القرآن وتلاوته
آيات واحاديث وآثار قال الله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله
واقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية وقال عز وجل
في مدح من كانت هذه تلاوته القرآن يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون
وقال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير
جنات عدن يدخلونها الآية قال ابن عباس اراد الله تعالى بقوله
الذين اصطفينا من عبادنا امة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم
فقال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روي عن
اسامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وعن
عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في هذه الآية فقال اما السابق بالخيرات فيدخل
الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه
فيحبس في المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن وقالت عائشة رضي الله عنها كلهم في الجنة وقال كعب الاحبار
استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا باعمالهم واختلف في السابق
والمقتصد والظالم فقال الحسن رحمه الله السابق من رجحت حسناته
على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت
سيئاته على حسناته وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب
الصغائر والسابق من لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقال الوراق رتبهم هذا
الترتيب على مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم
توبة ثم قربة فاذا عصى دخل في حيز الظالمين فاذا تاب دخل في جملة
المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد
السابقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل عبادة امتي تلاوة
القرآن وقال صلى الله عليه وسلم ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد
فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر الموت وفي الخبر
الصحيح لا يتقرب العبد الى الله بمثل كلامه وفي حديث سيدنا عمر بن الخطاب

رضي

رضي الله عنه قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع
بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من
القرآن كالبيت الخرب رواه الترمذي واخرج اصحاب الصحاح من حديث
عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خيركم من تعلم
القرآن وعلمه ومن حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها
طيب ومثل المومن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها
ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل
الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها وعن ابن مسعود
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه
الترمذي ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رجل للنبي صلى الله عليه
وسلم اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل الذي يضرب من اول القرآن
الى آخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي واخرج ايضا من حديث عبد الله بن عمرو
بن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اذا دخل
الجنة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرأها
قال السدي وفي هذا الحديث دليل على ان اعلى الناس درجة في الجنة حامل
القرآن واخرج ايضا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حله فيلبسه الله تاج الكرامة
فيقول يا رب زده فيلبسه حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقول
له اقرأ وارق ويزاد بكل آية حسنة وعن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ القرآن وعمل به البس والداه يوم القيامة
تاجا ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل
بهذا اخرجه ابو داود وعن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به
الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب واخرج الكسائي في باب فضل القرآن والحاكم وابن حبان من حديث
انس رضي الله عنه انه قال بينما ابو ايوب يقرأ القرآن في وهن من الليل وحده

من بركة بمصحف داره اذ نفر الفرس فخرج لينظر اليه فاذا هو بظلة تدنو وفيها مثل المصابيح
فجعل ينظر اليها وهي تدنو حتى توارت عنه فخرج الى بيته وجعل يقرأ من حيث
انتهى فبينما هو يقرأ اذ نفر الفرس ثانيا فخرج فاذا الظلة فيها فامسك عن القراءة
فلما اصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له تلك الظلة السكينة
نزلت لقراءتك والمصابيح التي رأيت في الظلة الملائكة والذي نفس محمد بيده ان
لو دمت على قراءتك لاصبحوا والناس ينظرون اليهم عيانا ومن حديث ابي موسى
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ المؤمن القرآن على كتفي
قلبه تحشى بالشياء من السنة فقد اوتي النبوة الا انه لا يوحى اليه اخرجه
النسائي وغيره وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا حسد الا في اثنتين رجل
اتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل واطراف النهار ورجل اتاه الله مالا
فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار وفي رواية فسلطه على هلكته في الحق
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يقول من
شغله القرآن وذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وفضل كلام
الله سبحانه على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه رواه الترمذي
واخرج مسلم في صحيحه من حديث ابي امامة الباهلي اقرأوا القرآن فانه يأتي
يوم القيامة شفيعا لاصحابه واخرج البيهقي من كلام عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن يتراءى لاهل السماء كما تتراءى
النجوم لاهل الارض واخرج ايضا من حديث انس نوروا منازلكم بالصلاة
وقراءة القرآن وروى الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال
اقرأوا القرآن فان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن وان هذا القرآن مادبة
الله فمن دخل فيه فهو امن ومن احب القرآن فليبشر ومن حديث عبيدة
موقوفا ومرفوعا يا اهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته
في اناء الليل واطراف النهار وافشوه وتدبروا ما فيه لعلكم تفلحون وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مدح القرآن هو الفصل ليس بالهزل من تمسك
به هدي ومن حكم به عدل ومن ابتغى به رشد ومن استغنى به كفي فهو
سبب الهدى طرفه بيد الله وطرفه الاخر بايدي المومنين من استمسك به فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا
انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا ومن
حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الماهر

الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن وهو يتتعتع فيه وهو
عليه شاق له اجران رواه البخاري ومسلم الماهر الحاذق الكامل الحفظ جيد
التلاوة والسفرة جمع سافر وهم رسل من الملائكة سموا بذلك لانهم يسفرون
برسالات الله الى انبيائه وقيل هم الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون
له ومعنى كونه معهم ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع
اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه وقوله له اجران اي يحصل له اجر بسبب
القراءة واجر بسبب تعبه فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل
الماهر افضل منه واكثر اجرا قاله شيخنا في تذييل الكوكب الرفاع وفي
الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي
افضل مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال صلى الله عليه
وسلم ما من شفيع افضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل ان يخلق
الخلق بالف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليها
هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لالسنة تتكلم بهذا وقال صلى
الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك اسود لا يهولهم
فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء
وجه الله عز وجل ورجل ام قوما وهم به راضون وقال صلى الله عليه وسلم
اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ابو امامة الباهلي اقرأوا القرآن
ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن
وقال ابن مسعود اذا اردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الاولين
والاخرين ولا يسأل احدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه
فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وان كان يبغض القرآن
فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال عمرو بن العاصي رضي
الله عنه كل اية في القرآن درجة في الجنة ومصباح في بيوتكم ومن قرأ
القرآن فقد ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لا يوحى اليه وقال
الامام احمد بن حنبل رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما افضل ما
تقرب به اليك المتقربون فقال بكلامي يا احمد قال فقلت يا رب بفهم او
بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض
النساك ما ها هنا احد تستانس به فمد يده الى المصحف ووضعه على

يجدد له وقال هذه تنبيهات الاول قال في الاحياء وللعلماء عادات مختلفة
في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم
مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة واولى ما يرجع
اليه في التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل
من ثلاث لم يفقهه وذلك ان الزيادة عليه تمنع الترتيل وقد قالت عائشة
رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ان هذا ما قرأ القرآن ولا
سكت وامر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان يختم
القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون في كل
جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهم ففي
الختم اربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر
كل يوم جزء من ثلاثين جزءا وكانه مبالغة في الاقتصار كما ان الاول مبالغة
في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما في الاسبوع مرة والثانية في
الاسبوع مرتين تقريبا من الثلاث هـ وقال السمرقندي في البستان ينبغي للقارئ
ان يختم في السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن
ابي حنيفة انه قال من ختم القرآن في كل سنة مرتين فقد ادى حقه لان النبي صلى
الله عليه وسلم عرضه على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين ومن حديث
ابن حنبل يكره تاخير ختمة القرآن لمن يجعله اكثر من اربعين يوما بلا عذر
لان عبد الله بن عمر سأل النبي صلى الله عليه وسلم في كم يختم القرآن قال في اربعين
يوما رواه ابو داود قال النووي في الاذكار والمختار ان ذلك يختلف باختلاف
الاشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما
يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم او فصل
الخصومات او غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر
لا يحصل بسببه الاخلال بما هو مرصد له ولا فوات كماله وان لم يكن من
هؤلاء المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل والهذرمة
في القراءة ونحوه في الاحياء ونصه والتفصيل في مقدار القراءة انه ان كان من
العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي ان ينقص عن ختمتين في الاسبوع
وان كان من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشتغلين بنشر العلم
فلا باس ان يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي
في الشهر مرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتامل الثاني قال ابن

الفم

الفم يستحب الوضوء لقراءة القرآن وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكره
ان يذكر الله الا على طهارة كما ثبت في الحديث وقال امام الحرمين لا تكره
القراءة للمحدث لانه صح عنه صلى الله عليه وسلم انه كان ربما قرأ وهو محدث
وفي شرح المهذب واذا كان القارئ يقرأ فعرضت له ريح في اثناء قراءته فالادب
ان يمسك عن القراءة حتى يستتم خروجها واما الجنب والحائض فان القراءة
تحرم عليهما اجماعا الا ان يكون لا يقدر على مس الماء فكمل ذلك حينئذ التيمم
فيفعل به ما يشاء من قراءة وغيرها وتكره القراءة لمن بفمه نجس او هو
متنجس بل الصحيح الحرمة ولا يحل له مس المصحف باليد المتنجسة وتسن القراءة
في الموضع النظيف وافضله المسجد وكره قوم القراءة في الحمام والطريق وقيل لا تكره
وكرهها الشعبي في بيت الحش وبيت الرحى وهي تدور ويستحب للقارئ ان يكون واقفا على
هيئة الادب والسكون اما قائما واما جالسا مستقبل القبلة مطرقا راسه
غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه
بين يدي استاذه ويسن له الاستياك قبل القراءة تعظيما وتطهيرا لقوله عليه
الصلاة والسلام نظفوا افواهكم بالتسويك والتخليل فانها طرق القرآن ومجالس
الملائكة ويروى ان الله تعالى وكل ملكا بالقارئ اذا قرأ ان يجعل فاه على فيه
لاجل استماع القرآن والملائكة عليهم السلام يتاذون بالريح التي يتاذى منها الناس ويجدون
الرائحة الكريهة ويتضررون بها وفي الخبر ان افواهكم طرق القرآن فطيبوها
بالسواك ويسن له ايضا التعوذ قبل القراءة لقوله تعالى فاذا قرأت القرآن
فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اي اذا اردت القراءة وقال قوم بوجوب
التعوذ تمسكا بظاهر الامر قال شيخنا في التذييل قال النووي ينبغي له
اذا مر على قوم ان يسلم عليهم ثم يعود الى قراءته فلو اعاد التعوذ لحسن والا
فلا شيء عليه هـ وصفة التعوذ المختارة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
الا ان جماعة من السلف كانوا يقولون اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان
الرجيم وبعضهم كان يقول اعوذ بالله القادر من الشيطان الغادر وبعضهم
كان يقول اعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي وبعضهم اعوذ بالله
العظيم من الشيطان الرجيم وزاد في الاحياء بعد التعوذ رب اعوذ بك من
همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون قال وليقرأ قل اعوذ برب الناس
وسورة الحمد قال الحلواني ليس للاستعاذة حد تنتهي اليه فمن شاء زاد
ومن شاء نقص لان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من

غير ان يعيده لعلها بشيء اليه قال ابن الجوزي واذا قطع القراءة اعراضا عنها
او بكلام اجنبي او لرد السلام استأنف الاستعاذة وهل هي سنة كفاية او عين
حتى لو قرأ جماعة جملة فهل يكتفي باستعاذة واحد منهم كالتسمية على الاكل
او لا لم ار للعلماء في ذلك نصا والظاهر الثاني لان المقصود اعتصام القارئ والتجاؤه
بالله من الشيطان فلا يكون تعوذ الواحد كافيا عن الجميع قال شيخنا رضي
الله عنه وليحافظ القارئ على البسملة اول كل سورة غير براءة لان اكثر العلماء
على انها اية من كل سورة فاذا اخل بها كان تاركا لبعض الختمة عند
اكثر العلماء فان قرأ من اثناء سورة استحبت له اعادة البسملة نقل ذلك
العبادي عن الشافعي ويتأكد الاتيان بالبسملة عند قراءة اليه يرد علم
الساعة وكذلك عند قوله وهو الذي انشأ جنات معروشات لما في ذكر ذلك
بعد الاستعاذة دون البسملة من ايهام رجوع الضمير الى الشيطان اللعين
وينبغي له ايضا الترتيل للقراءة قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا
لان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه وعن ام سلمة رضي الله عنها
انها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة مفسرة حرفا حرفا رواه ابو
داود والنسائي وغيرهما وقال ابن عباس رضي الله عنهما لان اقرأ سورة
ارتلها احب الي من ان اقرأ القرآن كله وسئل مجاهد رضي الله عنه عن رجلين
قرأ احدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها وزمنهما وركوعهما وسجودهما
وجلوسهما سواء فقال الذي قرأ البقرة وحدها افضل وعن ابن مسعود رضي
الله عنه ان رجلا قال له اني اقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال أهذا كهذ
الشعر ان قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب
فرسخ فيه نفع واتفق علماء السلف على كراهة الافراط في الاسراع وان
قراءة جزء بترتيل افضل من قراءة جزءين في قدر ذلك الزمن بغير ترتيل لان
الترتيل اقرب الى الاجلال والتوقير واشد تأثيرا في القلب ولهذا يستحب
الترتيل حتى للاعجمي الذي لا يفهم معنى القرآن وينبغي
له ايضا اذا شرع في القراءة ان يكون شأنه الخشوع والتدبر فان ذلك هو
المقصود الاعظم والمطلوب الاهم قال الله عز وجل افلا يتدبرون القرآن وقال
تعالى كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وقال علي رضي الله عنه لا خير
في قراءة لا تدبر فيها وقال ابن عباس رضي الله عنهما لان اقرأ اذا زلزلت
والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وصفة

ذلك

ذلك ان يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به فيعرف معنى كل آية ويتأمل
الاوامر والنواهي مع اعتقاد قبول ذلك فان مر على شيء مما قصر عنه فيما
مضى من عمره اعتذر واستغفر وطلب الاقالة من الله تعالى واذا مر بآية رحمة
استبشر وسأل او في آية عذاب اشفق وتعوذ او في آية تنزيه نزه وعظم او
في آية دعاء تضرع وطلب كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال صليت مع
النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ثم قرأ آل عمران ثم
النساء فقرأها يقرأ مترسلا اذا مر بآية فيها تسبيح سبح واذا مر بسؤال سأل
واذا مر بتعوذ تعوذ وفي حديث عوف بن مالك قال قمت مع النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة فقام فقرأ البقرة لا يمر بآية رحمة الا وقف وسأل ولا يمر بآية
عذاب الا وقف وتعوذ واخرج الترمذي في صحيحه انه ينبغي لمن قرأ والتين
والزيتون فانتهى الى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين ان يقول بلى وانا على
ذلك من الشاهدين ومن قرأ لا اقسم بيوم القيامة فانتهى الى قوله أليس
ذلك بقادر على ان يحيي الموتى فليقل بلى ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث
بعده يؤمنون فليقل آمنت بالله وبرسله وبملائكته وبما انزل في كتابه قال
النووي ومن الآداب اذا قرأ الانسان وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت اليهود يد الله مغلولة ان يخفض بها صوته
كما كان النخعي يفعل وغيره من مشايخ الثبت قال ويستحب ترديد الآية
للتدبر عن ابي ذر رضي الله عنه قال قام النبي صلى الله عليه وسلم بآية يرددها
حتى اصبح والآية ان تعذبهم فانهم عبادك رواه النسائي وابن ماجه وعن
تميم الداري رضي الله عنه انه كرر هذه الآية حتى اصبح ام حسب الذين
اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية
قال وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها
ويرددونها الى الصباح وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة
ومات جماعة منهم حال القراءة قال وروينا عن بهز بن حكيم ان زرارة بن
اوفى التابعي الجليل رضي الله عنه امهم في صلاة الفجر فقرأ حتى اذا بلغ فاذا
نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير خر ميتا قال بهز فكنت فيمن حمله
قال رضي الله عنه واما البكاء عند قراءة القرآن فهو صفة العارفين
وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم
خشوعا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اقرؤوا القرآن

وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال في التذكار يروى ان بعض الصالحين رأى
النبي صلى الله عليه وسلم في نومه كاليقظة او يقظة كالنوم فقال له يا رسول الله
انى اريد ان اقرأ عليك شيئا من كتاب الله الذي اخذ عنك فقال نعم فلما اخذ في القراءة
فقال له هذه القراءة فاين البكاء اما سمعت الى قول الله ويخرون للاذقان يبكون
ويزيدهم خشوعا فوقع عليه البكاء حتى استيقظ ومن يومئذ فتح عليه في البكاء
عند القراءة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم واي ابالي بذلك وفي الصحيحين
حديث قراءة ابن مسعود على النبي صلى الله عليه وسلم وفيه واذا عيناه تذرفان
وفي شعب الايمان للبيهقي عن سعد بن مالك مرفوعا ان هذا القرآن نزل بحزن
وكآبة فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال الغزالي البكاء مستحب
في الاحياء ووجه احضار الحزن ان يتامل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق
والعهود ثم يتامل تقصيره في اوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكي فان لم يحضره
حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء
فان ذلك اعظم المصائب هـ ومن آداب التلاوة تحسين الصوت بالقراءة
من غير تمطيط مفرط يغير النظم قال صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم
وفي لفظ حسنوا القرآن باصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا
وفي لفظ حسن الصوت زينة القرآن وقال عليه الصلاة والسلام ما اذن
الله لشيء ما اذن لحسن الصوت بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل اراد به الاستغناء وقيل اراد به التحزين وقيل
الاعلان به وهو الصواب عند اهل اللغة يروى انه صلى الله عليه وسلم كان ليلة
ينتظر عائشة رضي الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم ما حبسك
قالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام
صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال صلى الله عليه وسلم هذا سالم
مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله واستمع صلى الله عليه وسلم ايضا
ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم
قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على
قراءة ابن ام عبد واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال لقد اوتي
هذا مزمارا من مزامير آل داود فبلغ ذلك ابا موسى فقال يا رسول الله لو علمت
انك تسمع لحبرته لك تحبيرا وهل الجهر بالقراءة افضل او الاسرار وردت
احاديث تقتضي استحباب كل منهما جمعا الاول ما ورد في الصحيحين من قوله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى
بالقرآن يجهر به وروي انه صلى الله عليه وسلم سمع جماعة من اصحابه رضي
الله عنهم يجهرون في صلاة الليل فصوب ذلك وقال صلى الله عليه وسلم اذا
قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار
يستمعون قراءته ويصلون بصلاته ومن الثاني حديث ابي داود وغيره
الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة
وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم يفضل قراءة السر على قراءة
العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال اهل العلم
والجمع بينهما ان الاخفاء افضل حيث خاف الرياء او كان يتأذى به من
يتنفل والجهر افضل في غير ذلك لان العمل فيه اكثر ولان فائدته
تتعدى الى السامعين ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر
ويصرف سمعه اليه ويطرد النوم ويزيد في النشاط يروى ان ابا بكر
رضي الله عنه كان يسر في غالب امره وكان عمر رضي الله عنه يجهر في غالب
امره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما لي اراك تسر في غالب امرك
فقال الذي اخاطبه يسمعني قال صدقت وكلاهما ارفع قليلا وقال لعمر ما
لي اراك تجهر في غالب امرك فقال ارضي الرحمن واطرد الشيطان واسمع
الاذان واوقظ الوسنان قال صدقت ولكلاهما اخفض قليلا ويدل لهذا
الجمع حديث ابي سعيد اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد
فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر فقال الا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ ين
بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة وقال بعضهم يستحب
الجهر ببعض القراءة والاسرار ببعضها لان المسر قد يمل فيستأنس بالجهر
والجاهر قد يكل فيستريح بالاسرار ويسن الاستماع لقراءة القرآن وترك
اللغو والحديث عند الحضور للقراءة قال الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له
وانصتوا لعلكم ترحمون وفي الحديث من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت
له نورا يوم القيامة وفي بعض الاخبار كتب له عشر حسنات ويكره للقارئ الضحك
اثناء القراءة وكذلك العبث والنظر الى ما يلهي عن الخشوع وكذا قطع
قراءته لمحادثة احد لان كلام الله تعالى لا ينبغي ان يؤثر عليه كلام غيره وقد
كان ابن عمر رضي الله عنهما اذا قرأ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه وقد ورد في
التوراة ان الله تعالى يقول يا عبدي اما تستحيي مني يأتيك كتاب من بعض

بعض اخوانك وانت في الكرب تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتنوء
وتتكدر حتى فلا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي انزلته اليك انظر كم
فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم انت
معرض عنه افكنت اهون عليك من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك
فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك
شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا ذا مقبل عليك ومحدث لك وانت
معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عندك من بعض اخوانك وينبغي له ايضا
ان يراعي هذه الايات فيسجد عند قراءة كل اية من ايات السجود المعلومة
وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد ويشترط فيه ما يشترط في الصلاة خلافا
لمن يقول بشرط الصلاة فارغ ومستقبل فالاولى بعد دعاء سجوده بما يليق بالاية التي
فيها كما اذا قرأ قوله تعالى خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم
اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين
عن امرك وكما اذا قرأ قوله تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا
فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وهكذا وقال بعض العلماء
ينبغي له ان يقول سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا الحمد لله سجد وجهي للذي
خلقه وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته اللهم اكتب لي بها عندك اجرا
واجعلها لي عندك ذخرا وارفع لي بها عندك ذكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من
عبدك داوود عليه السلام اللهم اغفر لي قال في الاحياء والاحب ان يختم القارئ
ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر
او بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب او بعدهما ليستقبل
اول النهار واول الليل بختمته فان الملائكة عليهم السلام تصلي عليه ان كانت
ختمته ليلا حتى يصبح وان كانت نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع
الليل والنهار قال العلماء وينبغي للقارئ ان يجمع اهله ويحضرهم لتنالهم
بركة الختم وكذا الاصحاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد خاتمة
القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه كان يجعل رجلا يراقب رجلا يقرأ القرآن فاذا اراد ان يختم اعلم ابن
عباس فيشهد ذلك وكان انس بن مالك رضي الله عنه اذا ختم القرآن جمع
اهله ثم دعا وامنوا على دعائه وقال مجاهد انهم كانوا يجتمعون عند ختم القرآن
ويقول ان الرحمة تنزل عند ختمه وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من ختم

ونضع عني بها وزرا

القرآن

القرآن له دعوة مستجابة وكان اذا ختم القرآن جمع اهله ثم دعا وامنوا على
دعائه وفي حديث الطبراني مرفوعا من ختم فله دعوة مستجابة وفي حديث ابي
هريرة مرفوعا من قرأ القرآن وحمد الله تعالى وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم
واستغفر ربه فقد طلب الخير من مكانه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى
ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته
اناء الليل واطراف النهار واجعله لي حجة يا رب العالمين ويستحب
لمن فرغ من الختمة ان يشرع في اخرى عقب الختم لحديث النبي من احب الاعمال
الى الله تعالى الحال المرتحل الذي يضرب من اول القرآن الى اخره كلما حل
ارتحل ومن حديث ابي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ قل
اعوذ برب الناس افتتح بالفاتحة ثم قرأ من البقرة الى اولئك هم المفلحون
ثم يدعو بدعاء الختم ثم يقوم اخرجه الداني بسند مرفوع فقد روي ان الامام
احمد كان يمنع تكرار سورة الاخلاص عند الختم لكن جرى العمل على خلافه قال
بعضهم والحكمة فيه ما ورد انها تعدل ثلث القرآن فيحصل بذلك ختمة بختمة
الثالث من التنبيهات قال العلماء القراءة في المصحف افضل من
القراءة من الحفظ لان النظر فيه عبادة مطلوبة وتناوله باليدين عبادة ثم
وليس في ذلك خلاف عند علماء السلف وقد قيل كما في الاحياء الختمة في المصحف
بسبع وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان كثير من
الصحابة يقرأ من المصاحف ويكرهون ان يخرج يوم ولم ينظر في المصحف
وقد اخرج الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث اوس الثقفي مرفوعا
قراءة الرجل في غير المصحف الف درجة وقراءته في المصحف تضعف على الفي
درجة وفي حديث ضعيف فضل قراءة القرآن نظرا على من يقرؤه ظاهرا
كفضل الفريضة على النافلة اخرجه ابو عبيد وفي حديث اخر من سره ان
يحبه الله ورسوله فليقرأ القرآن في المصحف قال شيخنا في التذييل وهذا
الحديث منكر وان كان البيهقي قد اخرجه عن ابن مسعود وفي حديث اخر
ادعوا النظر في المصحف اخرجه البيهقي ايضا بسند حسن خاتمة
صرح الامام النووي رضي الله عنه بان نسيان القرآن بعد حفظه من الكبائر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي اعمال امتي حتى القذاة يخرجها
الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن

أو آية أو نسيها إلى أجل ثم نسيها رواه أبو داود والترمذي فإذا كان من نسي
آية أو سورة أو نسيها بتضييعه هذا الوعيد الشديد ويكون من تلك الكبيرة
فما ظنك بمن رغب عنه رأسا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
ثم نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة أجذم رواه أبو داود وقال صلى الله عليه
وسلم ما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا جاء يوم القيامة أجذم وما أبلغ من مصيبة بمن
كسبت أيديهم وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن وأي خير يحصل لمن فاته
الشفاء وأي رحمة لجاهلين بغير القرآن قال تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين فمن رغب عنه ولم يبق له مع القدرة على قراءته بعد فاته
ذلك لأن الذي يعرضه لأجل رغبته عنه أيضا الهدى والشفاء كما في قوله تعالى
قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فجعلنا الله والمسلمين من الذين يستمعون
القول فيتبعون أحسنه ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو
أشد تفلتا من الإبل في عقلها وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم إنما
مثل القرآن كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها
ذهبت رواهما البخاري ومسلم اللهم انفعنا بالقرآن العظيم واجعله لنا حجة
ونورا في الدنيا والآخرة بجاه محمد وقوله وطالع الكتب تكن أنيسا الطالع أي
من طالع الشيء اطلع عليه وطالع الكتاب نظر فيه وتعهد معناه والكتب بسكون
التاء في وزن جمع كتاب وهو في اللغة ما يكتب فيه كما في القاموس ثم صار
يطلق على المكتوب أغلبا وهذه المادة تدل على الضم والجمع ومنه كتيبة
الجيش أي الجماعة منه ثم استعمله المؤلفون فيما يجمع مسائل وأشياء من نوع
واحد وقد ألغز فيه العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي بقوله

وذي وجوه كلما	سألته رد الجواب
على الخطأ أمسى أرى	وتارة على الصواب
لا أكتفي رأيته	إن راح منه إلى أنا تاب

وفيه الغز أيضا ابن الخشاب النحوي

وذي أوجه لكنه غير بائح	بسر وذو الوجهين للسر مكتم
تناجيك بالأسرار أسرار وجهه	فتسمعها بالعين ما دمت ناظرا

وتكن مضارع مجزوم لوقوعه في جواب الأمر وأنيسا الأنيس في اللغة المؤنس يقال
يقال راس فلان القوم بين أسعع بالفتح رياسة فهو رئيسهم ويقال ربما كفيم

محمد

كما في المختار ومعنى الكلام إذا اعتزلت الناس وخلوت بنفسك فلا تضيع
وقتك بل اجعل كتاب الله عز وجل أنيسك وجليسك واشتغل بتلاوته
وطالع كتب العلم والأدب فإن بمطالعتها تصير رئيسا كيف أمكن ما علي غيرك
كما قيل عليك بدرس الكتب تسمو إلى العلى وتدعى شريفا كالذي وابن سابق
فالكتاب نعم الجليس ونعم الصاحب والأنيس وقد قالوا الكتب المفيدة هي عدة
بعد الأنس ولذته تغنيه عن الأنيس وتفعل فيه فعل الخندريس

إذا ما خلوت من المؤنسين	جعلت المؤنس لي دفتري
فلم أخل من شاعر محسن	ومن مضحك طيب مندر
وكم حكم بين أثنائها	بدائع للناظر المفكر
فإن ضاق صدري بأسراره	وأودعته السر لم يظهر
فلست أرى مؤنسا ما حييت	عليه تدبرا إلى المحشر

ولله در القاضي عبد الوهاب إذ قال

سأجعل وقتي في كتابي	والتمتع التفتيش في ثيابي
لعمري إن دروس كتاب	ألذ من المطاعم والشراب
ومن جمال تاريخي ولبس غني	وأشهى من ملاعبة الكعاب
ومن زهر إلى بلاد إذا تناهى	وسال عليه تقطار السحاب

وقيل

ولكل صاحب لذة	أبدا ونزهة على كتبه

وقال ابن المعتز الكتب بساتين العقلاء والكتب أصداف الحكم وفي
محاضرات الأبرار للشيخ الأكبر محي الدين بن العربي قال بعضهم الكتاب نعم الذخر
والعدة والجليس والعمدة ونعم النشرة والنزهة ونعم المشتغل والحرفة
ونعم الأنيس ساعة الوحدة ونعم المعرفة ببلاد الغربة ونعم القرين والدخيل
ونعم الوزير والنزيل وقال بعضهم الكتاب وعاء ملئ علما وظرف حشي
ظرفا وإناء شحن مزاحا إن شئت كان أعيا من باقل وإن شئت كان أبلغ
من سحبان وائل وإن شئت ضحكت من نوادره وعجبت من غرائبه حدثني أبو
جعفر ابن يحيى في كتبه قال عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقد سأله بعض أصحابه وكان لا يجالس الناس ولا يرى إلا وبيده
كتاب فقال في ذلك أرى أنس من كتاب ولا أسلم من الوحدة وقال بعضهم ما
رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تنقل في حجر ينطق عن الموتى ويترجم عن
الأحياء من الكتاب لك مؤنس لا ينام إلا بنومك ولا ينطق إلا بما تهوى أمن

من الارض واكتم للسر من صاحب السر واحفظ للوديعة من ارباب الوديعة ولا اعلم
جارا ابر ولا خليطا انصف ولا رفيقا اطوع ولا معلما اخضع ولا صاحبا اظهر كفاية
وعناية ولا اقل ابراما وملالا ولا ابعد من مراء ولا اترك لشغب ولا ازهد في جدال
ولا اكف عن قتال من كتاب. وذكر على بعض من مشايخي وقد جلس بمكتبة
من كتبه وقال اذا اردت محادثة العلماء فجئته اخذت الصحيح فلا ازال اناجيه
ويناجيني واذا اردت محادثة الرسول صلى الله عليه وسلم اخذت كتاب حديثا وكذا
كل ما اردت مجالسته من الاولين والاخرين ياتي اني اجالسهم ما يقع بمجلسي ولا ينفك
حديثي ثم انشدني لبعضهم

لنا جلساء لا نمل حديثهم • الباء مامونون غيبا ومشهدا
اذا ما خلونا كان خير حديثهم • معينا على نفي الهموم مؤيدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى • وعقلا وتاديبا ورايا مسددا
بلا ريبة تخشى ولا سوء عشرة • ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا
فان قلت اموات فلست بكاذب • وان قلت احياء فلست مفندا

واهدى بعض الكتاب الى صديق له دفترا وكتب اليه هديتي هذه اعزك الله تنمو على
الانفاق وتربو على الكد لا تفسدها العواري ولا يخلقها كثرة التقليب وهي انس في
الليل والنهار والسفر والحضر تصلح للدنيا والاخرة وتؤنس في الخلوة وتمنع من الوحدة
مسامر مساعد ومحدث مطاوع ونديم صديق

• عتابي فيه بستاني وراحتي • ومنه سميري نعمي والنديم •
• يسامرني وكل الناس حرب • ويسليني اذا اعيت الهموم •
• ويجعلني تمنع مجتنيه • كرام الناس اذ فقد الكريم •
• اذا اعوج على لحم يعامرو • ملى فيه لهم بعا مستقيم •

انتهى وقال بعض الحكماء الكتاب خير جليس وانس انيس لا يكلفك مؤنة
ولا يغير عذرك وقال المتنبي

• خير المحادث والجليس كتاب • تخلو به ان مل الاصحاب •
• لا مفشيا سرا اذا استودعته • وتنال منه حكمة وصواب •

وقال بعض الحكماء ايضا الكتاب جليس لا مشقة له وقال ذهب المكارم الا
من الكتاب وقال موفق الدين عبد اللطيف البغدادي في وصيته ينبغي للانسان
ان يقرأ التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كانه في عمره
القصير قد ادرك الامم الخالية وعاصرهم وعرفهم خيرهم وشرهم وفي كتاب الف

٢.

بلا ابا الحجاج البلوي رحمه الله والقاء بعينك ايها الطالب على العلم الدرس
مع البحث ولا ينفك البه بيدك كتاب تتعلمه فاجتهد فانه نعم الجليس ونعم الصاحب
ولا نيس الا تسمع قول الشاعر • وخير جليس في الزمان كتاب •
انشدني الشيخ الفقيه الاديب ابو محمد عبد الوهاب رحمه الله لبعضهم وكتبه لي بخطه

• فيا ماجدا اثنى على مالك • ممتنا جاء في شيء من الكلا • تيممت الافضال يا معمل •
• وانك مطبوع على نيل العلا • فان تبغ بعلكي مالا • فلا تنس اني بعزة من العلا •
• من النور الاكتب حاز بها • بينك من نسخة او من الكلا • فانت فيها كل حبيب ترى •
• بعضا لمن مر على بالكلا • فان تبغ اقبل للعلا وارفع • معتراخي في نخ اقفال الكلا •
• ما كل حبيب تخذ الشيخ خدا • ميمن ووفقا لاشتغال الكلا • لا سيما ان كنت ذا اولة •
• فانت مجبور لا فلا الكلا • وربما ابي منه فاشتكي • والكتب لا تنذر مالا الكلا •
• فالكتب لا تخفى مساعة • فاسبقها في حمل اثقال الكلا • اخلال بعامي مما نرى عاريا •
بغي هاع في كل اخ لا الكلا

حكى احمد بن ابي عمران قال كنت يوما عند ابي ايوب احمد بن شجاع وقد تخلف في
منزله فبعث غلاما من غلمانه الى ابي عبد الله ابن الاعرابي صاحب الغريب
يسأله المجيء اليه فعاد الغلام وقال قد سالته ذلك فقال عندي قوم من
العرب فاذا قضيت اربي معهم اتيت قال الغلام وما رايت معه احدا الا
اني رايته وبين يديه كتب ينظر في هذا مرة وفي هذا مرة ثم ما شعرنا حتى
جاء فقال له ابو ايوب يا ابا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا
الانس بك وانه قال لي الغلام ما راى عندك احدا وقد قلت له انا مع قوم
من الاعراب فاذا قضيت اربي معهم اتيت فانشد لنا جلساء لا نمل حديثهم
الابيات السابقة في فوائد الاولى قال الشيخ ابو علي اليوسي
في القانون وقد اختلفت احوال الناس واغراضهم في اعارة الكتب فمنهم
من كرهها صونا للكتب عن الضياع وقد قيل في افة الكتب العارية
ومنهم من يحض عليها لا نفع من التغالي على البخل والحق التفصيل
فمن كان اهلا لان يعطى ويعار بظهور غاية وظهور ديانة للكتب ينبغي
ان يعار ومن مثله يقال حبس الكتب عن اهلها من الظلم وقال رجل
لابي العتاهية اعرني كتابا فقال اني اكره ذلك فقال اما علمت
ان المكارم موصولة بالمكاره فاعاره وقال ابن حجر الهيتمي في فتاويه
نقلا عن شيخ الاسلام ابن جماعة وتسن اعارة الكتب حيث لا ضرر

وقيل نعم ولا وجه له كيف وفيها من الاعانة على العلم والخير ما لا يخفى و
للوسائل حكم المقاصد ثم قال وينبغي للمستعير ان يشكر للمعير ذلك
ويجزيه خيرا ولو بالدعاء وقد قيل

امرر كتابي عن يدي لا تمرنه • صيانة نفسي عن يديك لا تمرنها

وقد تكلم بعضهم في الشح من اعارتها بقوله

الا يا مستعير الكتب دعني • فان اعارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتابي • وهل ابصرت محبوبا يعار

ولبعضهم ايضا

الا ليت بالله وان تكن • نفسي معا معي وبه عاريه
ان لست ما عشت ولو ساعة • ارى كتابي في يد عاريه

لكن قال العلماء ينبغي ان محل هذا حيث خيف على الكتب الضياع او علم
من المستعير عدم المحافظة عليها اما اذا لم يعلم ذلك فيطلب بعدا ورائها
والا فاعارتها سنة معلومة بين الانام من قديم الايام كما قال القائل

كتبي لاهل العلم مبذولة • ايديهم مثل يدي فيها
متى ارادوها بلا منة • عارية فليستعيروها
اعارنا اشياخنا كتبهم • وسنة الاشياخ نمضيها

وقد رد على قائل البيتين المشهورين السابقين بعض الادباء فاسا بقوله

اذا ما المستعير اتى حبيبا • فما للكتب يمنعني فرار
فان الكتب بالاثمان تهدى • ولا يهدى الحبيب ولا يعار

ورد عليه ايضا بعض المشارقة بقوله

الا يا مالكا كتبا اعرها • فما بالعارية للكتب عار
اذا الحبيب في الدنيا كتابا • فمحبوب الاحبة قد يزار

بالصواب حينئذ هو التفصيل كما تقدم وقد قلت

اعارة الكتب صواب • وسنة بين الصحاب
فلا تمل للطالب • اتاك من اجل كتاب
ان كان ذا تخبط • او اجعل العذر جواب

الثانية قال ابو علي اليوسي رحمه الله فاذا تقدم اذا وقعت العارية
فواجب على المستعير صيانة الكتاب فلا يعرضه لتلف ولا افساد ولا هوان
فلا يكون بيده تلوثه او تركه مما فيها او يتلطخ فيه في حال غلبة النوم على
سقطه من يده او على المصباح او سقط عليه المصباح او زيته او يعرضه

للندى

٩٣

للندى او الشمس او للدخان او للسارق او غير ذلك من الافات كما قيل

عليك بالحفظ دون الجمع في الكتب • فان للكتب افات تفرقها
الماء يغرقها والنار تحرقها • والفار يخرقها واللص يسرقها

وان لا يبيت به بالسعي بدل الكمال ياخذه او افشاء ما عساه ان يجده فيه مكتوبا
من اسرار مالكه او غيره وبالجملة يجب ان يفعل به ما يفعله لنفسه كما قيل

ايها المستعير مني كتابا • ارض لي فيه ما لنفسك ترضى

ومتى علم من نفسه انه عاجز عن القيام بذلك لم تجز له الاستعارة لان مقدمة
الحرام حرام اهـ وفي منظومة العلامة السيد العربي المساري

وان اعارك كتابه خليل • فصنه كما يصان درهم النبيل
لا تقلبنه وبالبد غمر • او وسخ بين الاصابع استقر
واحفظه من ماء ومن نيران • والفار والسارق والدخان

الثالثة قال العلامة ابن حجر الهيثمي في فتاويه واذا وضع الكتب
مكان فليجعل بينها وبين الارض حائلا وليراعي الادب في وضعها باعتبار
شرفها وجلالة مصنفها فيضع الاشرف اعلاها والمصحف اعلا الكل
وتعليقه بمسمار في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس اولى ثم كتب الحديث
المحض كصحيح مسلم اه لكن ينبغي تقديم البخاري عليه لانه مع كونه اصح
اكثر فوائد وسياتي ان الاكثر فوائد من المستويين في علم يقدم ثم تفسير
القران ثم شرح الحديث فاصول الدين فاصول الفقه فالفقه فالنحو فالصرف
وعلوم المعاني والبيان والبديع ونحوها واشعار العرب فالعروض وعند
وعند استواء كتابين في فن يعلى الاكثر فوائد اذا لم يكن فتجلالة المصنف
فالاكثرهما وقوعا في ايدي العلماء والصالحين فالاصحهما والاولى في وضع الكتاب ان
يكون اوله المفتتح بنحو البسملة الى فوق وقد سئل الامام العارف بالله احمد
بن ناصر نفعنا الله به عن وضع الكتب على الارض فاجاب بقوله واما وضع الكتب
على الارض فلا باس به ما لم تكن نجسة وقد خفف في ذلك كما في اجوبته
رضي الله عنه وارضاه وهو ظاهر اذا لم يقصد بذلك اهانتها ولم يكن معها
بدل وهو وامنع رمي الكتب كما يفعله بعض الناس بل رمي الكتاب بعنف من
فوق اهانة له ولو القاه على حائط وفي الفانون من المحرمات تحكيم
الكتب واختي امها فلا يضعها على الارض ولا عند رجليه او تحت راسه وهي
كلها مشتركة في هذا المعنى وان كانت تتفاوت في شدة الاعتناء بعضها

اكثر من بعض وان الكتاب لو فرض ان يكون ما فيه غير حق فمنه يقتبس الحرمة
للورق والحروف وقال في محل آخر لا ينبغي ان يوضع على الكتاب شيء مما
غير الكتب او ما هو وقاية لها والا ان تتوسد وقد حكي ان رجلا بات متوسدا
لرسالة الشيخ ابن ابي زيد فأصبح اعمى وقد ابتلي في الاوراق المكتوبة ان كان
تكون من انا الشيء احتى اما العام وقال ابن حجر ويحرم جعل الكتاب مخدة
لا عنو انحرف عليه ويحرم توسد المصحف ولو خاف سرقته بخلاف ما لو خاف
عليه نجسا او كافرا فيجوز توسده بل يجب هـ قال بعض العلماء وظاهر ان
مثله جعله متكأ او مستند الامر وحال الغفلة لا متعمدا فيه بالنسبة لما قبله
قلت وقد سمعت بعض الاشياخ ينعى على من جعل الكتاب من وجاهه ووجهه
على وجهه ويبالغ في ذلك وقال الزركشي ويحرم مد الرجل الى شيء من
القرءان وكتب العلم وتعقبه ابن حجر بان لا وجه لعدم الحرمة اذا لم يقصد بذلك
ما ينافي تعظيمه هـ وقد يقال ان مد الرجل اليه مظنة عدم تعظيمه فيمنع سدا
للذريعة والله اعلم قال المسلي ايضا

وعن طهر حك له بالمستجير • صفه على وقاية من عرق الحمير
وللكتب لا تجعل وسادة ولا • مسند ولو تحت رجل واحكم

السابعة قال الامام يحيى احمد بن ناصر رضي الله عنه في اجوبته لا ينبغي جعل
الدواة فوق الكتاب وليكتب منها كما لا ينبغي جعل الورق فوق الكتاب
ليتمكن من كتابته فان ذلك من اهانة الكتب وذلك في المجموع ايضا وقال
بعد ما حذر من قلب الاوراق بالبصاق ومن اراد شيئا من ذلك فليفعله
بالماء المطلق هـ وقد شدد ابن الحاج النكير على من يلطخ اوراق المصحف وكتب
العلم بالريق لكي يسهل قلبها وجعل ذلك من الجهل المؤدي للكفر قال العلماء
ومراده بذلك المبالغة في الزجر لا الحقيقة قال البناني على قول خليل رحمهما
الله مشبها فيما يوجب الردة كالقاء مصحف بقذر وبعض كلامهم اذا لم يفعل ذلك
للضرورة اما اذا بل اصابعه ليتمكن قلب اوراقه فبعيد ان كان مما لا ينبغي اه
بتخاسر على القول بكفره وانه لا ان لم يقصد التحقير الذي هو موجب الكفر في هذه
الامور هـ وقال شيخ شيوخنا ابو عبد الله سيدي محمد جسوس في اختصاره عن قول خليل
في باب قضاء الحاجة ومكتوب وقد اغتفر الشافعية قلب الاوراق بالبصاق هـ
تتمة تصنيف الكتب من خصائص هذه الامة المحمدية قال الامام
ابن العربي في شرح الترمذي لم يكن قط في امة من الامم من انتهى الى حد هذه
الامة من التصرف في التصنيف والتحقيق ولا جاراها في مداها من التفريع

والتصنيف

والتأليف وتصنيف الكتب وتدوين العلوم وحفظ سنة نبيهم صلى الله
عليه وسلم اي اقواله وافعاله فتدوين العلوم وتصنيفها وتفريع انواعه
وكثرة التفريع وضبط ما يقع وبيان حكمه وتقسيم الفروع والسنة ولا
واستخراج علوم الادب وتتبع كلام العرب امر مندوب اليه واعلاه خير
الخليفة وحي المواهب ومنعها التنفع او تنزل تصنيف الكتب ذكر بعضهم
ولا نزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق حتى ياتي امر الله رواه الشيخان
هـ قال البخاري في الصحيح والطائفة اهل العلم وقال النووي في التهذيب حمله
العلماء او جمهورهم على اهل العلم وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها ويحملهم
عدول في حديث يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة
العلم وحفظه وعدالة ناقليه وانه تعالى يوفق له في كل عصر عدولا يحملونه
وينفون عنه وهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قاله الزرقاني
والله سبحانه يوفقنا بفضله الى ما فيه رضاه في امين قال الناظم رحمه الله

واكثر من الذكر في كل حال • فانه من شيم الابدال

الكثر بضم الكاف لغة يقال كثر الشيء يكثر بالضم كثرة فهو كثير ويتعدى بالتضعيف
والهمز كما هنا فيقال كثرته واكثرته والذكر والذكرى بالكسر نقيض
النسيان وكذلك الذكرة وقولهم اجعله منك على ذكر وذكر بضم وكسر
بمعنى كما في الصحاح وقال العز اي الذكر بالضم ما يكون بالقلب وقوله
في كل حال اي على كل حال كنت من قيام وقعود وغير ذلك كما في الاية والشيم
جمع شيمة وهي الغريزة والطبيعة والجبلة التي خلق الانسان عليها والابدال
جمع بدل قال في النهاية في حديث علي رضي الله عنه الابدال بالشام وهم
الاولياء والعباد الواحد بدل كحمل وبدل كجمل سموا بذلك لانه كلما مات
منهم واحد بدل بآخر هـ وسيأتي الكلام على هذا بعد ان شاء الله والمعنى
لما امرك في البيت قبل هذا بتلاوة القرءان العظيم ومطالعة كتب العلم امرك
هنا بالاكثار من ذكر الله عز وجل فانه من شيم الاولياء والصالحين
وهو افضل الكرامة الموصلة الى الله تعالى واعظم الوسائل الى القرب
به عز وجل وهو عنوان الولاية وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء
النهاية جمع وصف الذكر بقوله اعطي المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل

قال العلماء وليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال المحمودة راجعة الى الذكر
ومنشأها عن الذكر فان روح العبادات والمقصود منها انما هو اجلال
الله وتعظيمه والثناء عليه بالدلالات القولية والفعلية وقد قيل
افضل ما اعطاه الله لعباده في الدنيا الذكر وافضل ما اعطاهم في العقبى
اللقاء اليه فذكر الله في الدنيا كالنظر اليه في الآخرة فالذاكر بلسانه مع حضور
قلبه مشاهد له بسره ناظر اليه بفؤاده ماثل بين يديه ببدنه فكأنه في
الجنة يتنعم وقال في تحفة السالكين اعلم ان الذكر هو تنزيه الاسم المذكور
بالقلب واللسان ولا شيء اقرب بالطريق الى الوصول الى الله عز وجل منه فهو علم على
وجود ولاية العبد المشتغل به حقا ومن لزم الذكر فقد اعطي منشور الولاية ومن
سلب عنه الذكر فقد عزل عنها قال بعضهم
والذكر اعظم باب انت داخله ‌ لله فاجعل له الانفاس حراسا
قال الاستاذ القشيري رضي الله عنه الذكر عنوان الولاية ومعيار الوصلة وعلامة
صحة البداية ودلالة التصفية النهاية وليس وراء الذكر شيء وجميع الخصال
المحمودة راجعة الى الذكر ومنشأها من الذكر وقال بعضهم اذا اراد الله
ان يوالي عبده فتح له باب ذكره فلما استلذ بذكره فتح له باب القرب ثم رفعه الى
مجالس الانس بالله ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجب وادخله
دار الفردانية وكشف له الجلال والعظمة فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة
خرج من حسه ودعاوى نفسه واعلم ان ذكر الله عز وجل مأمور به
مطلوب وورد في فضله من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ما لا
يحصى قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا
وسبحوه بكرة واصيلا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة
واجرا عظيما وقال تعالى فاذكروني اذكركم وقال عز وجل الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تعالى
واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة
واصيلا وقال تعالى ولذكر الله اكبر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قيل وما المفردون
يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم وفي رواية
الترمذي قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر

عنهم

عنهم اثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا والمفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة
وقيل باسكان الفاء وكسر الراء يقال فرد الرجل وفرّد بالتخفيف والتشديد
وافرد واستفرد كله بمعنى والمراد به الذين تفردوا بذكر الله وقيل هم الذين هلك
اقرانهم من الناس وذهب الذين كانوا فيه وبقوا بعدهم فيه يذكرون الله والمستهتر
بالشيء المولع به المواظب عليه محبا ورغبة فيه وقال القاضي عياض
في المشارق قال ابن الاعرابي يقال فرد الرجل بالتشديد اذا تفقه واعتزل
الناس وخلا بنفسه وحده مراعيا للامر والنهي وقال الازهري هم الذين
تخلوا لذكر الله لا يخلطونه بغيره وقيل معنى استهتروا اي الهجوا خبالا وقيل
المهتزون المعتمدون الذين لا يذكرون الا الله اخلصوا لله عبادتهم نقله في
مفتاح الفلاح وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي
وانا معه حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملإ ذكرته
في ملإ خير من ملإيه وان تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا وان تقرب مني
ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن عبد الله بن
عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عجز منكم عن
الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يقاتله وبخل بالمال ان ينفقه فليكثر
ذكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم
وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب
والفضة وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم
قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وعن جابر رضي الله عنه قال خرج
علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مسجد المدينة فقال ان لله
سرايا من الملائكة تحل وتقف في مجالس الذكر فاذا رأيتم رياض الجنة
فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكر اغدوا
وروحوا بذكر الله تعالى ومن كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف
منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد حيث انزله من نفسه وعن عبد الله
بن بشير قال اتى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان شرائع الاسلام قد كثرت علي فأنبئني بشيء اتشبث به فقال لا يزال
لسانك رطبا بذكر الله وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تبارك وتعالى يقول عبدي اذكرني ساعة بالغداة وساعة بالعشي اكفك
ما بينهما وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة

مرت بقوم يذكرون الله فيها وقال صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه
والذي لا يذكر مثل الحي والميت وقال صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا
مجلسا وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه الا كانما تفرقوا عن جيفة حمار وكان
عليهم حسرة يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من اكثر ذكر الله تعالى
احبه الله وقال عليه الصلاة والسلام من اكثر ذكر الله برئ من النفاق
وقال صلى الله عليه وسلم ذكر الله بالغداة والعشي خير من حطم السيوف
في سبيل الله وقال صلى الله عليه وسلم مجالس الذكر تنزل عليهم السكينة
وتحف بهم الملائكة وتغشاهم الرحمة ويذكرهم الله على عرشه وقال صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراءون وقال صلى الله
عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وعن معاذ بن جبل ما عمل
العبد عملا انجى له من عذاب الله من ذكر الله اخرجه في الموطا وعن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد
افضل وارفع درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قيل
يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في سبيل الله حتى
ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر لله افضل منه درجة اخرجه الترمذي
وفي رواية عن رزين قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي العباد
افضل وارفع درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله وقال
صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر
فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم
باجنحتهم الى السماء الدنيا فيسالهم ربهم وهو اعلم ما يقول عبادي قال
يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول هل راوني
فيقولون لا والله ما راوك فيقول كيف لو راوني قال يقولون لو راوك
كانوا اشد لك عبادة واشد تمجيدا واكثر لك تسبيحا فيقول فما يسا
لوني قال يقولون يسالونك الجنة قال يقول وهل راوها قال يقولون
لا والله يا رب ما راوها فيقول فكيف لو راوها قال يقولون لو راوها
كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واعظم فيها رغبة قال فمم
يتعوذون قال يتعوذون من النار قال يقول وهل راوها قال يقولون
لا والله ما راوها فيقول فكيف لو راوها قال يقولون لو راوها كانوا اشد
منها فرارا واشد لها مخافة قال فيقول فاشهدكم اني قد غفرت لهم قال

يقول

فيقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجته قال هم الجلساء
لا يشقى جليسهم رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا يقعد قوم
يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم وفي الحديث يقول الله تعالى انا مع
عبدي ما ذكرني او تحركت بي شفتاه ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت
الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه وانيسه وقال
صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله
في الغافلين كغصن اخضر في شجر يابس وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح
في بيت مظلم وذاكر الله في الغافلين يريه مقعده من الجنة وهو حي
وذاكر الله في الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح واعجم الفصيح بنو ادم والاعجم
البهائم وذاكر الله في الغافلين ينظر الله اليه نظرة لا يعذبه بعدها ابدا
وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة وعن ابي امامة رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اوى الى فراشه
طاهرا يذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسال الله فيها
خيرا من خير الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه اخرجه الترمذي وعن عمر رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة واسرعوا
الرجعة فقال رجل ممن لم يخرج ما راينا بعثا اسرع رجعة ولا افضل غنيمة
من هذا البعث فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على قوم افضل
غنيمة واسرع رجعة قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى
حتى تطلع الشمس فاولئك اسرع رجعة وافضل غنيمة اخرجه الترمذي
وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خرج معاوية على حلقة في المسجد
فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال الله ما اجلسكم الا ذلك
قالوا والله ما اجلسنا الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم تهمة لكم وما كان
احد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم اقل عنه حديثا مني وان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم
قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن علينا
به قال الله ما اجلسكم الا ذلك قالوا والله ما اجلسنا الا ذلك قال اما
اني لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه اتاني جبريل فاخبرني ان الله يباهي بكم
الملائكة اخرجه مسلم والترمذي زاد في رواية قال ثم حدثنا فقال من

اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم ويذكرون
الله الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله
فيمن عنده وعن ابي مسلم الاغر قال اشهد على ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم
الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده
اخرجه مسلم والترمذي والسكينة من السكون والطمانينة قال القاضي
عياض في قوله صلى الله عليه وسلم تلك السكينة تنزلت لقراءة القرءان
وهي الرحمة وقيل الطمانينة وقيل الوقار وما يسكن به الانسان مخففة
الكاف هذه اشهر اللغات ومن وحكي عن بعض اللغويين فيها التشديد وقد
وذكر عن الحربي والكسائي وقيل يحتمل ان التي تنزلت لقراءة القرءان
هي السكينة التي ذكر الله تعالى بقوله فيه سكينة من ربكم وقد قيل انها اسم
ملك وقيل خلق له وجه كوجه الانسان وقيل روح من الله يكلمهم ويهديهم
ويبين لهم اذا اختلفوا في شيء وقيل فيه غير هذا وما ذكر ذلك يحتمل ان
يتنزل مثل هذا على من قرأ القرءان ويجتمع للقارئ لا نعلمها جملة الروح و
والملائكة والله اعلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه ترة ومن
اضطجع مضجعا لم يذكر الله كانت عليه من الله ترة هذه رواية ابي
داوود وفي رواية الترمذي قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله
فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة ان شاء عذبهم وان شاء
غفر لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس
لا يذكرون الله فيه الا قاموا على مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة
اخرجه ابو داوود واصل الترة النقص ومعناه التبعة فيقال وترته ترة
ترة على وزن وعدته عدة وعن كعب الاحبار رضي الله عنه انا نجد
في كتاب الله المنزل على انبياء الله ان الله تعالى يقول من شغله ذكري
عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وسئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل فقال ان تموت ولسانك رطب
بذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم اصبح وامس ولسانك
رطبا بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة ويروى ان كل
نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقد ورد ان في الجنة

ملايكة

ملايكة يغرسون الاشجار للذاكرين فاذا وقف الذاكر وقف الملك فيقول
بين ما حبسك ويروى ان بيوت الذاكرين لها نور تراه الملائكة بقدر
ما فيها من الذكر كما ترى نحن النجوم في السماء وقال انس بن مالك
ذكر الله علامة على الايمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان
وحرز من النار وقال مالك بن دينار من لم يانس بحديث الله عن حديث
المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضاع عمره وفي رسالة القشيري قال
الحسن تفقدوا الحلاوة في ثلاثة اشياء في الصلاة والذكر وقراءة القرءان
فان وجدتم ذلك والا فاعلموا ان الباب مغلق وقال حامد الاسود
كنت مع ابراهيم الخواص في سفر فجئنا الى موضع فيه حيات كثيرة فوضع
ركوته وجلس وجلست فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات
فصحت بالشيخ فقال اذكر الله تعالى فذكرت فرجعت ثم عادت فصحت
به فقال مثل ذلك فلم ازل الى الصباح في مثل ذلك الحال فلما اصبحنا
قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تكورت
به فقلت ما احسست بها فقال لا منذ زمان ما بت ليلة اطيب من
البارحة وقال ابو عثمان من لم يذق وحشة الغفلة لم يجد طعم انس
الذكر سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذبياني
يقول سمعت الحريري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول
مكتوب في بعض الكتب التي انزل الله تعالى اذا كان الغالب على عبدي
ذكري عشقني وعشقته وباسناده انه اوحى الله الى داوود عليه
السلام بي فافرحوا وبذكري فتنعموا وقال الثوري لكل شيء عقوبة
وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر وفي الانجيل اذكرني حين
تغضب اذكرك حين اغضب وارض بنصرتي لك فان نصرتي لك خير
من نصرتك لنفسك وقيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه
الشيطان صرع كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان فتجتمع عليه
الشياطين فيقولون ما لهذا فيقال قد مسه الانس وقال سهل ما
اعرف معصية اقبح من نسيان هذا الرب وقال مكحول بن ابي بكر
المحب لا يسلم من حديث حبيبه وقال بعضهم ذكر الله بالقلب سيف
المريدين يقاتلون به اعداءهم وبه يدفعون الافات التي تقصدهم
وان البلاء اذا اظل العبد فاذا فزع بقلبه الى الله تعالى تحول عنه الحال

كل ما يلهيه وقال ذو النون المصري من ذكر الله ذكرا على الحقيقة نسي
في جانب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل
شيء ومن روضة النعيم في الذكر مجيء الانس المحيي وسع القواطع
من السالكين الى حضرة رب العالمين وهو العبادة التي لم تمنعها في الجور
وبالذكر حضور وبالانس بالذكر انوار على النور في سائر الجوارح وفي جميع
الاوقات ويشم ذا الفقر ويفتح باب الانس ويحضر الخير وقال في
تاج العروس وسائر العبادات ترفع مع الذكر لانه ممكن من الشيخ الكبير والمريض
والذي لا يستطيع القيام والذي خرج فان نسي عجز الغزو فليعمل على قدر
حاله ورفع الباقي بالذكر فانه لا شيء اسهل منه يمكنك في حال القيام
والقعود والاضطجاع والمرض فهو اسهل العبادات وهو الذي قال فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال لسانك رطبا بذكر الله واي دعاء وذكر
اسهل عليها واخف عليه فان مدح له سأل الله عز وجل فجاءه ذكر ثم لا ينبهه وما
اغفلت عنه الا بسكوته وفيه فاعمل واجتهد في الغفلة في العمل خير من
الغفلة عنه وينبغي للعبد ان يستلذ من ذكر الله في كل حالاته وان
يستغرق فيه جميع اوقاته ليحوز رضى ربه ويفوز بجنته وفيه وكلا
يغفل عنه قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا وقال
ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فما
ان عقوبة له على الغفلة عن الذكر وروي انه ما من عبد يعاد ولا
من شيء تقطع الا الغفلة عن ذكر الله تعالى قال في تاج العروس الا
السارق لا يسرق بيتا واهله ايقاظ بل على غفلة ونوم انتهى
تنبيهات الاول الذكر عند القوم هو الخروج من ميدان الغفلة
الى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف وشدة الحب قاله الواسطي
وقيل ذو النون المصري عن الذكر فقال غيبة الذاكر عن الذكر وانشد
لا لاني انساك اكثر ذكراك ولكن بذاك يجري لساني
وهو مفتاح الفلاح الذي هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور
القلب مع الحق وقيل ترديد الاسم المذكور بالقلب واللسان وسواء
في ذلك ذكر الله او صفة من صفاته او حكم من احكامه او فعل من افعاله
او استدلال على شيء من ذلك او دعاء او ذكر رسله او انبيائه او
اوليائه او من انتسب اليه او تقرب اليه بوجه من الوجوه او بسبب من

الاسباب



الاسباب او فعل من الافعال بنحو قراءة او ذكر او شعر او غناء او مذاكرة او
حكاية فالمتحدث ذاكر والمتفقه ذاكر والمدرس ذاكر والواعظ ذاكر والمتفكر
في عظمة الله وجلاله وجبروته وآياته في ارضه وسماواته ذاكر والممتثل
لما امر الله به او نهى عنه ذاكر وقال القشيري الذكر هو امتلاء القلب من
المذكور وقيل طمأنينة القلب بشهود الرب وقيل طلوع الانوار بمزيد
القهار وبلوغ الاماني بشهود وجدانه ولصاحبه ثلاث امارات اشار الى
التنبيه عليها في الحكم فقال اي مكي امارات ثلاثة جعلك ذاكرا له ولولا
فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك وجعلك مذكورا به اذ حقق نسبته لديك
وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك هذه الى امارات الثلاث التي
اكرم الله بها عبده المؤمن قد جمع له فيها كل الفلاح والنجاح في
الاولى كونه ذاكرا له اذ اجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن اين له
ذلك لولا فضله سبحانه والثانية كونه مذكورا به فيقال هذا عبد الله
ووليه وصفيه وذلك بما اكرمه الله به من تحقيق النسبة اليه وهي
اثبات الخصوصية والثالثة كونه مذكورا عنده لحديث من ذكرني في
نفسه ذكرته في نفسي الخ فتمم نعمته عليك به ذكر عنده قال تعالى ولذكر
الله اكبر قيل معناه ذكر الله عبده اكبر من ذكر العبد له قالوا
وهذا من خصائص الذكر انه جعل في مقابلته الذكر قال الله تعالى فاذكروني
اذكركم وهذا من خصائص هذه الامة لم يعطه احد قبلها جاء جبريل
الى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يقول اعطيت امتك ما لم اعط امة من الامم فقال وما ذاك يا جبريل فقال
قوله تعالى فاذكروني اذكركم لم يقل هذا لاحد غير هذه الامة ومن
خصائص الذكر ايضا انه غير موقت بوقت بل ما من وقت من الاوقات
الا والعبد مأمور بذكر الله تعالى اما فرضا او ندبا قال ابن عباس
رضي الله عنهما لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر
اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر
احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال فاذكروا
الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال واذكروا الله ذكرا كثيرا اي في
الليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة
والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال قاله في لباب التأويل

الثاني قال العلماء انواع الذكر ثلاثة ذكر لسان مع غفلة القلب وهو
ذكر العوام وذكر مع حضور القلب وهو ذكر الخواص وذكر بجميع الجوارح
وهو ذكر خواص الخواص فثمرة الاول العقاب وثمرة الثاني عظيم الثواب
وثمرة الثالث لا يعلمها الا الكريم الوهاب وقال سيدي زروق في شرح
الرسالة الذكر ثلاثة انواع ذكر بالقلب وموجبه التعظيم والاجلال
وذكر بالجوارح ومن جعله للامتثال الامر والنهي وذكر باللسان فالاول
اعلاها وعنه ينشأ الاخيران والثاني يليه لانه قيام بحق العبودية
والثالث مقدمة لهما ونتيجة عنهما فقد قال عبد الوهاب اذا اكثر
العبد من ذكر الله تجدد خشوعه وازداد يقينه وبعدت عن قلبه
الغفلة وكان الى التقوى اقرب وعن المعاصي ابعد ثم فاعلا انواع
الذكر الذكر بالقلب واللسان او بالقلب لانه هو المنشور الكثير النفع الفاتح
لباب الختم قال الامام الساحلي في بغية السالك ليس المراد هنا بالذكر وارده
على اللسان فقط بل ذكر معناه بفيض القلب حتى ينطبع ذلك المعنى في النفس
فتتحلى به وتتصف بمقتضاه اتصافا ذاتيا او كالذاتي وقال الغزالي
المؤثر البالغ هو الذكر على الدوام مع حضور القلب واما الذكر والقلب لاه
فهو قليل الجدوى وكذا حضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله
سبحانه مع الاشتغال بالدنيا قليل الجدوى ايضا بل حضور القلب مع الله على
الدوام او في اكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر
العبادات وهو ثمرة العبادات العملية قال بعض العلماء وهذا هو الذكر
الذي يطرد الشيطان ويذهب وسوسته بالكلية ولا يبقى له الا طواف حول القلب
خارجه كالسارق الخائف واهله هم المذكورون في قوله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الاية لكن قال العلماء لا ينبغي
ان يهمل ذكر الله باللسان لان له نسبة في العبودية وهو الحضور بالصورة اذ
ان لم تكن الا بحقيقة قال في جامع شرح الوغليسية ومن التعبد لله دوام
ذكره بالقلب والجوارح فان لم يجتمعا فلا يهمل العبد ما قدر عليه وقد قيل لبعضهم
ما بالنا نذكر الله باللسان والقلب غافل فقال اشكر الله على ما وفق من
ذكر اللسان ولو اتى بمكانه الغيبة ماذا كنت تصنع ثم قال الله اكبر ما ان
يفتح العبد بلسانه ثم لا يعين عليه بحضور قلبه ه وفي الحكم لا تترك الذكر
لعدم حضورك مع الله فيه لان غفلتك عن وجود ذكره اشد من غفلتك في

وجود

وجود ذكره وعسى ان يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود
يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر
مع وجود حضور الى ذكر مع وجود الغيبة عما سوى المذكور ومدار الكل
على المدعى بين والمراد باليقظة كما قال الشيخ زروق الانتباه لمعاني
الذكر عند العمل والتوجه له والمراد بالحضور استيلاء معاني الذكر في الخيال
حتى يؤدي الى تعظيم المذكور وايما ثمرة ذكر القلب نوعان كما قال
الغزالي احدهما وهو ارفع الاذكار واجلها الفكر في عظمة الله
تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وفي آياته في سمواته وارضه ومنه الحديث
خير الذكر الخفي والمراد به هنا الثاني ذكر بالقلب عند الامر والنهي
فيمتثل ما امر به ويترك ما نهي عنه ويترك ما اشكل عليه قال
واما ذكر اللسان مجردا فهو اضعف الاذكار ولكن فيه فضل عظيم جاءت
به الايات فالواجب على العبد الاخلاص والصدق في الذكر فان الذاكر
بالاخلاص والصدق جليس الملك الحق لقوله تعالى في الحديث القدسي انا
جليس من ذكرني قال بعض العلماء واصل الذكر الصفاء وفي عدد الوفاء
وشرطه الحضور وبساطه العمل الصالح وخاصيته فتح ما بينه وبين الاسم
المذكور به قال ولا بد ان يكون الذكر بقوة شديدة كما ذكر وكثيفة
يدخل اثر الذكر في باطنه فيسري في العروق والشرايين ويحرق كثافة الوجود
وكثافته ويحرقه بنار الذكر فان الذكر له نار ونور فبنوره يسكن القلب
الا ان ذلك انه تطميس القلب وبناره تحرق كثافة الوجود فيتحول منه
الخشونة اللاهية واليبوسة الجبلية فيعلو قلبه عن ارض الملكوت الى
سماء الربوبية وفي الحديث لكل شيء صقالة وصقالة القلب ذكر الله

الثالث للذكر شروط كثيرة وهي آداب من رعاها
فعليها الذاكر حاز مناه وفاز بمقعد صدق عند مولاه قال في تحفة السالكين
اعلم انه لا يحصل لك الفتح الا بالتخلق باداب الذكر لان كل عبادة خلت عن
الادب فهي قليلة الجدوى وقد اجمع الاشياخ ان العبد يصل بعبادته الى حصول
الثواب ودخول الجنة ولا يصل الى حضرة ربه الا ان صحبه الادب في تلك العبادة
ومن المعلوم ان مقصود القوم الذي به ما ينتهي الخلاصة المصطلح عليها عندهم
مجالسة هيبة من غير حجاب واما الثواب فحكمه عندهم حكم علف البهائم
قال تعالى انا جليس من ذكرني يعني ذكرنا على وجه الادب والحضور والمراد

بالمجالسة انكشاف الحجب للعبد انه بين يدي ربه عز وجل ويعوض الله ومطلع عليه
فمتى ادام العبد هذا الشهود فهو جليس الله تعالى فاذا غاب عن ذلك الشهود
خرج من الحضرة والا فمع وليس المراد بحضرته تعالى مكان مخصوص في السموات او في
الارض كما قد يتوهم فان الله لا يحويه مكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وانشد بعضهم في المعنى

ولما تجلى من احب تكرما ٭ واشهدني ذاك الجمال المعظما
تعالى فالى عنا نيلتقت انني ٭ اراه بعيني جهرة لا توهما
وفي كل حال اجتليه ولم ازل ٭ على طور قلبي حيث كنت مكلما
وما هو وهل يحتمل وكلا ٭ ينفصل عني وحاشاه منهما
وما قدر مثلي ان يحيط بذاته ٭ وابن الثرى من ربعة البدر [illegible]
اشاهده في [illegible] ٭ جل الا تعالى عز ان يقسما
كما ان بدر التم ينظر وجهه ٭ بطور غدير وهو في افق السما

ثم اعلم ان في اداب الذكر كثيرة وقد عد بعضهم للذاكر الف ادب منها السابقة
على الذكر ومنها اللاحقة ومنها المقارنة ومنها القاطع ومنها الكامنة
لا تحصى قالوا يجمع هذه الاداب كلها عشرون ادبا خمسة منها سابقة
على الذكر وثلاثة بعد الفراغ من الذكر واثنا عشر في حال الذكر
فاما الخمسة السابقة على الذكر فاولها التوبة وقد تقدم الكلام عليها
الثاني الطهارة الكاملة كما اراد الذكر من غسل او وضوء وازالة
الخبث الثالث السكوت والسكون ليحصل له الصدق فيه الذكر بان يشغل
قلبه بالاسم الاعظم الله الله الله بالقلب دون اللفظ حتى لا يبقى له خاطر مع
غير الله ثم يتبع اللسان القلب الرابع ان يستمد عند شروعه من همة
شيخه اي بهمة شيخه بان يشخصه بين عينيه ليكون رفيقه في السير والادب
الخامس ان يرى استمداده من شيخه هو حقيقة من رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى واما التي
حال الذكر فاولها الجلوس في المكان الطاهر كجلوسه في الصلاة الثاني
ان يضع راحتيه على ركبتيه ويستقبل بجلوسه القبلة ان كان يذكر وحده
وان كانوا جماعة يتحلقون الثالث تطييب مجلس الذكر وكذا
تطييب الثياب بالطيب والرائحة الطيبة الرابع ان يكون ملبسه حلالا وان
يكون ماكله بما كل الحلال فان الذكر وان كان نارا يحرق الاجزاء الناشئة

عن

عن الحرام وبالكلية الا انه اذا كان الباطن خاليا من الحرام والشبهة يكون له
البالجة اعظم في التنوير وابلغ في القاء النور على النور وعن ملاقات الظلام
تذهب الانارة في التكميل الخامس اختيار المكان المظلم من خلوة او
سرداب السادس تغميض العينين لتنسد طرق الحواس الظاهرة
وبسدها تنفتح حواس القلب السابع ان يتخيل شخص شيخه بين عينيه
مادام ذاكرا وهذا عندهم من الاداب لان المريد يترقى به الى الادب مع
الله والى الرفيق له الثامن الصدق في الذكر بان يستوي عنده السر
والعلانية التاسع الاخلاص وهو تنقية العمل وتصفيته من شوائبها
الى [illegible] وقد تقدم الكلام عليه العاشر ان يختار من صيغ الذكر لا اله
الا الله فانها افضل الذكر وله اثر عظيم عند القوم لا يوجد في غيرها
من سائر الاذكار الحادي عشر استحضار معنى الذكر بقلبه الثاني
عشر نفي كل موجود من الخلق حال الذكر من القلب سوى الله بقوله
لا اله الا الله فان الحق سبحانه غيور لا يحب ان يرى في قلب الذاكر له غيره
ولولا ان الشيخ له مدخل عظيم في تاديب المريد ما ساغ له ان يتخيل شخصه
بين عينيه قال في مفتاح الفلاح قال بعضهم وادنى درجات الذكر انه
كلما قال لا اله الا الله لا يكون في قلبه شيء غير الله الا وينفيه من قلبه ومتى التفت
اليه في حال ذكره فقد اتخذه الها قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه
وقال تعالى لا تجعل مع الله الها اخر وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم
تعس عبد الدينار وان كان الدرهم والدينار لا يعبدان بالركوع ولا بالسجود
وانما ذلك بالتفات القلب اليهما فلا يصح منه لا اله الا الله الا بنفي ما في
نفسه وقلبه مما سوى الله ومن امتلا قلبه بصور المحسوسات لو قال الف
الف مرة لا يشفي قلبه بمعناها واذا فرغ القلب عما غير الله لو قال مرة واحدة
الله يجد من اللذة ما لا يستطيع اللسان وصفه واما الثلاثة
الاداب التي عقب الذكر فاولها ان يسكت اذا سكت ويخشع ويحضر مع قلبه
مترقبا لوارد الذكر فلعله يرد عليه وارد فيعمر وجوده في لحظة اكثر مما تعمره
المجاهدة والرياضة في نحو ثلاثين سنة ثانيها ان يرد نفسه مرارا
ثلاثة انفاس الى سبعة الى اكثر حسب ما قرره [illegible] وهذا [illegible] على وجوبه عندهم
حتى يدور الوارد في جميع حواسه فانه اسرع الى تنوير البصيرة وكشف الحجب

وقطع خواطر النفس والشيطان ثالثها ان يمتنع من شرب الماء البارد عقب
ساعة عقب الذكر فان الذكر يورث حرارة وهيجانا الى المذكور الذي هو المطلوب
الاعظم من الذكر وشرب الماء يطفئ تلك الحرارة فليحرص الذاكر على هذه الثلاثة
الآداب فان نتيجة الذكر انما تظهر بها قال في روح الارواح ومنة الفتاح وهذه
الآداب لابد منها الى ان يفتح فاذا فتح فانه بعد ذلك يحصل له الثواب وهو عين
الهوية فيحصل له ذلك لا ينقطع وان اهمل او نام من اجمع في حضرة المولى جل جلاله
وذلك للذين لابد لهم المحافظة على الآداب المذكورة قال وفي آكد الآداب
المذكورة صحة النية بان يكون لله وتكلفا بان لا يطلب فيه ولا يغيب عن وجهه
الشيء اذ ما خالف الشرع لا يعد عملا ولا يثاب عليه بل يعذب بفعله ان لم
يعف الله عنه والله الموفق بمنه التنبيه الرابع ان قيل
هل الذكر جهرا افضل ام سرا اجاب كما في تحفة السالكين ان الجهر افضل
لمن غلبت عليه القسوة من اصحاب البداية والسر افضل لمن غلبت عليه الجمعية
من اصحاب السلوك قال في مفتاح الفلاح وينبغي للذاكر اذا كان وحده ان
كان من الخاصة ان يخفض صوته بالذكر وان كان من العامة ان يجهر به وان كان
الذاكرون جماعة فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الاصوات بطريقة
واحدة موزونة قال بعضهم مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة كمثل مؤذن
واحد ومؤذنين جماعة فكما ان اصوات المؤذنين جماعة تقطع جرم الهواء اكثر مما
يقطعه صوت واحد كذلك ذكر جماعة على قلب واحد اكثر تاثيرا واشد في رفع
الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده وايضا يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه
وثواب سماع الذكر من غيره وقد شبه الله تعالى القلوب القاسية بالحجارة في قوله
تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة والحجارة لا تنكسر
الا بقوة وكذلك قساوة القلب لا تزول الا بالذكر القوي ويستعمل من هذا ان
الجهر بالذكر والاجتماع له جائز وهو الى اجر وقد تقدم حديث لا يقعد قوم
يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة الحديث وكره الامام مالك الاجتماع على
الذكر الا ان يكون كل واحد يذكر لنفسه على انفراد او يذكر وعليه
حمل هذا الحديث وما شاكله من الاحاديث الدالة على الاجتماع على
الذكر والتلاوة قاله [illegible] واعترض الشيخ زروق في القواعد هذا
الحمل بما حاصله ان كان الذكر سرا فجائز قطعا وان كان
جهرا وكل على ذكره فلا يخفى ما فيه من اساءة الادب بالتخليط وغيره

مما

مما لا يسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله فليس جوازه بل ندبه بشرطه
واما قول ابن مسعود رضي الله عنه لقوم يذكرون الله جماعة لقد جئتم
ببدعة ظلما او لقد فقتم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما فلا يصح جوابا
انه لم يبلغه الحديث الذي عقب فيه او انه انكر الهيئة ونحوها
والا فلا يصح انكاره بهذه الوجه بعد الاحاديث وقال سيدي ابن
الناظم رضي الله عنه

روح ما سمعي بعاذل * تغني لكم ولا بقصي لعاذل * ومالي ويحكم عن ذا التعلل
ولولاني انحل بالمنازل * فحيي الى ذكر الله جهرا * وسرا بالغدو والاصائل
بجمع من المحبين واهتداء * بغادات وسادات الكامل

فصرح رحمه الله بجواز الجهر بالذكر والاجتماع له قال شيخ شيوخنا سيدي
الطالب ابن الحاج في حاشيته بعد نقل ما تقدم وظاهر الحديث كما في عدة
الحصن الحصين ان الفضيلة تحصل لمن جلس مع الذاكرين لان السماع
قائم مقام الذكر وهم القوم لا يشقى جليسهم قال وفي الجامع من المعيار نحوه
جواب طويل في هذه المسألة وبه ختم المازوني كتابه الدرر المكنونة
وقد الف السيوطي تاليفا سماه نتيجة الفكر في الجهر بالذكر وفي العمليات

والذكر مع فقراء للاعتبار * جماعة شاع لدى الالباب

وقال ابن عباد رضي الله عنه في مسئلة الحزب انه من رواج الدين التي
يتعين التمسك بها لذهاب حقائق هذه الديانة في هذه الازمنة وان كان
بدعة فهو مما اختلف فيه وغاية القول فيه الكراهة فصح العمل به على
قول من يقول به والله الموفق الخامس للذكر فوائد كثيرة لا
تحصى ذكر منها الائمة رضي الله عنهم ولنقتصر على ما لا بد منه فنقول
الذكر يرضي الرحمن * ويسخط الشيطان * ويزيل الهم والغم * ويجلب الفرح
ويذهب الترح * ويقوي القلب والبدن * ويصلح السر والعلن * ويبهج الوجه
وينوره * ويجلب الرزق وييسره * ويكسو الذاكر مهابة * ويلهمه صوابه *
ويحول واو المحبة سببا من الاسباب * ويقول لها من اعظم الابواب * ويورث
الى الفتنة الموصلة لمقام الاحسان * الذي يعبد العبد فيه كانه يرى ربه بالعيان
ويورث القرب من الرب * ويفتح باب الحب في القلب * ويورث ذكر الله
للعبد * وهو اعز شيء واعلاه * وهو قوت الارواح * كما ان الغذاء قوت
الاشباح * وجلاء القلب من صداه * الذي هو الغفلة واتباع هواه * وهو

للفوز كالسراج • الفلاح في الكلمة التي المنهاج • يحبط الذنوب والخطيئات •
ان الحسنات يذهبن السيئات • ويبدل الاستيحاش بالتأهل • ينبه القلب
والعبد الغافل • والعبادات كلها يوم الحشر تزول عن العبد الا ذكر
الله والترحيب والحمد • وما ترفع الى الله جل الى [illegible] بذكر • ترفع الله اليه
في الشدة والضيق • ولا عمل من الاعمال انجى منه من عذاب الله الجلال
وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه • وحفوف الملائكة به • وتنزل الرحمة
وغشيانها اليه • وما اجل ذلك من نعمة • وهو للسان شاغل • عن
الغيبة والكذب وكل باطل • والذاكر لا يشقى به جليسه • ويسعد به
انيسه • ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة • ولا يكون عليه ترة ولا
ندامة • والذكر مع البكاء والعويل • سبب لنيل ظل العرش الظليل • يوم
الحر الاكبر والوقوف الطويل • ومن ذكر الله له عن المسألة شاغل •
اعطي افضل ما اعطي سائل • وينبني على العبد في عموم الاوقات • وفي اكثر
الحالات • ومع كثرته على اللسان • ايسر حركة على الانسان • وهو غراس الجنات •
والجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان • وان غراسها سبحان الله والحمد
لله ولا اله الا الله والله اكبر كما جاء في الاحاديث الحسان • وهو سبب
للعطاء العظيم • والامان من النسيان • في الدنيا ودار الهوان • ونشاهده
الذي وبه الذي كم كما جاء في القرآن • وهو نور للعبد في دنياه وقبره وحشره
وهو راس الاصول • وباب الوصول • ويقرب من قلب العبد الآخرة • ويبعده عن
الدنيا وان كانت حاضرة • وهو شجرة ثمرها المعارف • وراس مال كل
عارف • والله مع الذاكر بالقرب والولاية • والمحبة والتوفيق والهداية
ما دام يبل لسانه بذكره • واتقى الله في نهيه وامره • اوجب له دخول
جنة الاحباب • والافتتاح بباب الارباب • ويذهب من القلب القساوة
ويورثه اللين والطراوة • والغفلة للقلب داء ومرض • والذكر شفاء من كل
داء وعرض • • اذا مرضنا تداوينا بذكركم • ونترك الذكر احيانا فننتكس
وهو اهل موالاة الله واسعها • والغفلة اهل معاداته واسعها • ويقوي
الجوارح • ويسهل العمل الصالح • وييسر الامور الصعاب • ويفتح مغلق
الابواب • ويخفف المشقة ويدفع الشقة • ويؤمن المخاوف • ويجلب [illegible] منها
المتالف • وهو سبب التصديق الى بالعبد • لانه يجني عن جلاله وجماله وحمده
ودور الجنة بالذكر تبنى • والغافل لا يبنى له في الجنة مبنى • وهو نار لا تبقي ولا تذر

اذا

واذا دخل بيتا لا يبقي فيه لغير الله عينا ولا اثر

فاذكر المهيمن العزيز السلام • يبقى به العبد اعلى مقام
ويدرك المأمول من فضل ربه • في حضرة القدس وينفي الملام
فهو جلاء القلب عن الصدا • ونوره يبدل عنه الظلام
يبهج الوجه بالانوار • ويوقظ الغافل عن المنام
يصحح الفؤاد مع جسمه • ويذهب الهم ويبري السقام
ويدفع الاهوال في حينه • وهو على الاعداء مثل الحسام
ويكشف الرزق ويكفي الذي • يعده الدنيا ودار الدوام
يستجلب الخير بانواعه • ويدفع الشر ويمحو الآثام
وهو من النار اجل جنة • ويسكن العبد بدار السلام
لا في به الاجر وفتنتها • تفضل دون الذكر وهو مدام
طلبه الى حمدا من عبده • في حالة القعود مثل القيام
طوبى لمن اكثر من ذكره • فقد فاز بالخير وحسن الختام
فاذكر وكن في القلب مستحضرا • عظمة الرب التي لا ترام
وانظر لما قد جاء في فضله • في سنة الهادي وخير الكلام
فناهيك بذكر الله اذ عبده • يذكره وقل به ذا اهتمام
مجالس الذكر تحيط بها • رحمة في الطول وفي كل عام
اياك ان تهملها ساعة • لا سيما لاكن خير الانام
فانها مفتاح باب الهدى • وسلم لنيل كل مرام
صلى عليه الله مع آله • ما ازهر الروض سحابا ركام

وللمؤلف ايضا في طلب الذكر والحث عليه قوله

عليك بذكر الله جل بذكره • به القلب يجلى والفؤاد ينور
به شاغلات العقول في الحين تختفي • به راية الاعداء تعلو وتكسر
به القلب يصبو مع اس خلائق خبثه • به واردات الخير تحلو وتكثر
به يطلق المأسور من قيد اسره • به علم الاسعاد للعبد ينشر
فتابع عليه كل وقت وساعة • ولا تنسه ما تعطى الثواب وتوجر
ومنه صلاة المصطفى جد في بها • بها انها تمحي الذنوب وتغفر
فداوم عليها بكرة وعشية • فما حبها الا بخير وينصر
واياك ان تهمل مجالسها التي • بها انها تذكر منك وتشكر

علامة حب الله ذكر حبيبه * فخذ حقه في ذكره حيثما يذكر
عليه صلاة الله ثم سلامه * والصحابة من بعدهم ليس ينكر

السادس للسبحة أصل في الشرع روى الديلمي في مسند الفردوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم المذكر السبحة وروى ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يعقد السبحة بيده ذكر هذين الحديثين العلامة ميارة في شرحه الكبير على المرشد في آخر مبحث باب الصلاة قال بعض الشيوخ وقد اتخذ السبحة سادات يرضى عنهم ويعتمد عليهم وروى الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن فتنسين التوحيد واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات فإن قلت هذا الحديث إنما فيه الأمر بالعقد بالأنامل لا بالسبحة فاعلم أن العقد بالأنامل إنما يتيسر في الأذكار القليلة من المائة فدون أما أهل الأوراد الكثيرة والأذكار المتصلة فلو عدوا بالأصابع لدخل عليهم الغلط واستولى عليهم الشغل بالأصابع قال الساحلي وقد صنف الجلال السيوطي فيما يتعلق بهذا المعنى في استعمال السبحة وهي رسالة لطيفة استوفى فيها الكلام من السنة وذكر فيه أن جمعا من الصحابة منهم عائشة وأبو هريرة وأبو الدرداء كانت لهم السبحة وكذلك جمع من الأولياء كالجنيد والجيلاني ومعروف الكرخي رضي الله عنهم وللمحدثين حديث مسلسل بمناولة السبحة رويناه عن جماعة من الشيوخ ومنتهاه إلى الحسن البصري وفي [illegible] الساحلي

ولا بد في هذا من اعمال سبحة * تنظمها وتري احافظ على الوتر

وإنما استحب أن تكون وترا لحديث إن الله وتر يحب الوتر وعدد حباتها كما قال الشيخ [illegible] حيث عدة الأوراد ونقل بعضهم حبها عن [illegible] قال فلو جعلت للخيلاء ولم يأت حسنا ولو تكلفت في خيطها حرير للخيلاء فلا حرمة كما لابن الصلاح في فتاويه وجزم به النووي في شرح المهذب وفيها قيل على سبيل اللغز

ومنظومة الشمل يخلو بها * اللبيب فيجمع في همته
إذا ذكر الله جل اسمه * عليها أتى من هيئته

هو وروي في يد شيخ الطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه سبحة فقيل له أنت مع تمكنك وشهرتك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم سبب وصلنا به

الى

إلى ما وصلنا فلا نتركه أبدا وفي منظومة لبعض الغرب

لابد للذاكر حال ذكره * من سبحة خوف ضياع قدره
تكون وترا هكذا أخذ السبب * فالله وتر وهو للوتر يحب

فوائد الأولى أفضل الذكر تلاوة القرآن ويروى عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال رأيت رب العزة في المنام فقلت يا رب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك قال كلامي قلت يا رب بفهم أو بغير فهم قال بفهم أو بغير فهم وقد تقدم لنا الكلام على فضل القرآن وتلاوته وما يتعلق به في الكلام على البيت الذي قبل هذا ومن أفضل الذكر أيضا الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قال الساحلي جاء في بعض الآثار أن الله تعالى قال يا محمد من أحبك فقد أحبني ومن ذكرك فقد ذكرني ولبعضنا كيفية من كيفيات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفيها اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته وقال ابن عطاء الله في منهاج الإنابة من فاته كثير الصلاة والصيام فليشغل نفسه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإنك لو فعلت في عمرك كل طاعة وصلى الله عليك مرة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تصلي على حسب وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا إذا كانت الصلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة كما جاء في الحديث وسيأتي لنا بحول الله وقوته الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها وما يتعلق بها في البيت بعد هذا والله سبحانه يوفقنا بفضله لما فيه رضاه في أموره الثانية أخرج الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وإليه المصير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وفي رواية وبنى له بيتا في الجنة وفي رواية من دخل السوق فنادى بأعلى صوته وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه

ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه وقال
صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه
وإن كانت مثل زبد البحر رواه البخاري ومسلم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله إن أحب الكلام
إلى الله سبحان الله وبحمده رواه مسلم وفي حديث جابر رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة
في الجنة رواه الترمذي وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله
عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بكرة من عندها حين صلى الصبح وهي
في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التي
فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك
أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله
وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه مسلم
وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأن أقول سبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس
زاد في رواية ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال هي خير من الدنيا
وما فيها وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
لا يضرك بأيهن بدأت وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى اصطفى من
الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإذا قال العبد سبحان الله
كتبت له عشرون حسنة وحطت عنه عشرون سيئة وإذا قال الحمد لله فمثل
ذلك وكذا في باقي الكلمات وفي حديث المعراج أنه صلى الله عليه وسلم
لقي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال له أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن
الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله
ولا إله إلا الله والله أكبر وقال صلى الله عليه وسلم لأبي موسى ألا أدلك على
كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله وفي رواية أ
لا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله

الثالثة

قال في تاج الدين ومن فاته من أوراده شيء وأراد أن يستدرك ما فاته فليذكر
بالأذكار الجامعة فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلا كقوله سبحان
الله العظيم وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال



الشيخ في زروق في شرح الحكم بعد نقله ذلك وقد صح أن له ثوابا أعظم من ثوابه من
غير ذكر وإن اختلف هل يكتب له العدد المذكور بالتضعيف وهو الأرجح بالحكم
أو إنما يكتب له دون تضعيف وهو الظاهر في الاعتبار وقد يقال إن ذلك
يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص فالذي يمنعه العجز والضعف ليس كالذي
يمنعه الشغل والعمل والذي يمنعه ذلك ليس كالمؤثر لذلك على نعت
الغفلة المجردة فانظر في ذلك وتأمله هـ رجع تقدم أن الأبدال جمع
بدل سموا بذلك لأنه إذا مات واحد أبدل مكانه آخر وقيل لأنهم أعطوا
من القوة أن يتركوا بدلهم حيث يريدون إذا غابوا صورة تحاكي صورتهم بحيث
أن كل من رآها لا يشك في أنه هو وهو لفظ مشترك يطلقونه على من
تبدلت أوصافه الذميمة بمحمودة ويطلقونه على عدد خاص مختلف فيه قرره
ذلك ابن العربي وفي حديث أنس مرفوعا الأبدال أربعون رجلا وأربعون
امرأة كلما مات رجل أبدل الله رجلا مكانه وإذا ماتت امرأة أبدل الله
مكانها امرأة رواه الخلال في كرامات الأولياء والطبراني في الأوسط
لكن بلفظ لن تخلو الأرض من أربعين رجلا مثل خليل الرحمن عليه الصلاة
والسلام فبهم يسقون وبهم ينصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله
مكانه آخر ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلاء أربعون اثنان
وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم أحد أبدل الله
مكانه آخر فإذا جاء الأمر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة
وفي المسند للإمام أحمد عن عبادة بن الصامت مرفوعا الأبدال في
هذه الأمة ثلاثون مثل إبراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله
تعالى مكانه رجلا زاد في لفظ الطبراني بهم تقوم الأرض وبهم يمطرون
وبهم ينصرون وفي الحلية لأبي نعيم عن ابن مسعود رفعه لا يزال أربعون
رجلا من أمتي على قلب إبراهيم يدفع الله بهم عن أهل الأرض يقال لهم الأبدال
إنهم لم يدركوها بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قالوا بم أدركوها يا رسول الله قال
بالسخاء والنصيحة للمسلمين ولا منافاة بين حديث أنهم ثلاثون
وبين حديث أنهم أربعون قال العلماء فيجمع بأن الحديث الذي فيه أنهم
ثلاثون أن من كانت قلوبهم على قلب إبراهيم الخليل فالعشرة الذين ابدلوا
مع الأربعين أي الذي في الحديث الأول قلوبهم على قلب غيره من الأنبياء قاله
الحفني لكن يرد عليه حديث ابن مسعود المذكور فيه لا يزال أربعون رجلا

من أمتي، وجمع بأن البدل له الصلاة كما تفيد الأحاديث في خلاف
علاماتهم وصفاتهم وأنهم يكونون في زمن أربعين وفي أخرى ثلاثين وورد
ريقا قال الشيخ الزرقاني في شرح المواهب بعد له والأولى في الجمع بين حديثي
الثلاثين والأربعين أن الأخبار بالثلاثين كان قبل أن يعلمه الله بالأربعين
بدليل زيادة النساء في حديث أنس يعني السابق هـ وقال بعض
العلماء ومن علامات الأبدال أنه لا يولد لهم وورد علامة أبدال أمتي
أنهم لا يلعنون شيئا أبدا فائدة قال بعض العارفين من قال كل يوم
ثلاث مرات اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد
كتبه الله من الأبدال والله الموفق سبحانه ثم قال رحمه الله

۞ كذا الصلاة على الرسول ۞ فهي وسيلة لكل سول ۞

لما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل الأذكار وأجلها
كما تقدم ذكرها هنا وأمر بها والمعنى كما أمر بالإكثار من
ذكر الله عز وجل أمرنا بالإكثار من الصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم لأنها وسيلة وسبب يتوصل به إلى كل سول ومطلب في الدنيا
والآخرة فإن الله عز وجل أمرنا بها وحضنا عليها تشريفا وتكريما
وتفضيلا لجلاله وتعظيما ووعد من استعملها حسن المآب والفوز
بجزيل الثواب قال العلماء فهي من أنجح الأعمال وأرجح الأقوال وأزكى
الأحوال وأحظى القربات وأعم البركات وبها يتوصل إلى رضا الرحمان
وتنال السعادة والرضوان وبها تظهر البركات وتجاب الدعوات ويرتقى
إلى أعلى الدرجات وتجلي صدأ القلوب ويعفى عن عظيم الذنوب وقال
السخاوي قال بعضهم من أعظم شعب الإيمان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
محبة له وأداء لحقه وتوقيرا له وتعظيما والمواظبة عليها من باب أداء شكره
صلى الله عليه وسلم وشكره واجب لما عظم منه من الأنعام فإنه سبب نجاتنا من
الجحيم ودخولنا في دار النعيم وإدراكنا الفوز بأيسر الأسباب ونيلنا السعادة
من كل الأبواب ووصولنا إلى المراتب السنية والمناقب العلية بلا حجاب
لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم الآية هـ وقال
الأقليشي أي علم أرفع وأي وسيلة أشفع وأي عمل أنفع من الصلاة على من
صلى الله عليه وجميع ملائكته وخصه بالقربة العظيمة منه في دنياه وآخرته
فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أعظم نور وهي التجارة التي لا تبور وهي كانت

تجيبي

تجيبي الأولياء في المساء والبكور فكن مثابرا على الصلاة على نبيك فبذلك
تتطهر من عيبك ويزكو أمنك العمل وتبلغ غاية الأمل ويضيء نور قلبك
وتنال مرضاة ربك وتأمن من الأهوال يوم المخاوف والأوجال صلى الله
عليه وسلم تسليما كما أكرمه برسالته وخلقه تكريما وعلمه ما لم يكن
يعلم وكان فضل الله عليه عظيما واعلم أن هنا فوائد تتعلق بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من جهة معناها وفضلها وفوائدها
وثمراتها وحكمها وحكمة مشروعيتها وغير ذلك وقد ألف العلماء
في هذه المسألة التآليف وبسطوا الكلام فيها وقد أحببت أن أشير
إلى ذلك هنا على وجه مفيد مختصر تتميما للفائدة ورجاء لنيل بركات
الصلاة على هذا النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم فنقول
أما معناها فقد تقدم الكلام عليه وما ذكره العلماء فيه في شرح مقدمة
هذه النصيحة وأما فضلها فيكفي فيه أن الله سبحانه تولاها
بنفسه ولا توجد عبادة من العبادات أمرنا بها تعالى بعد أن أخبر
أنه يفعلها هو وملائكته إلا الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقال تعالى
إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما قال أبو عثمان الواعظ سمعت سهل بن محمد يقول الذي شرف
الله به محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله إن الله وملائكته الآية أتم وأجمع
من تشريف آدم عليه السلام بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون
الله مع الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر منه أتم من تشريف
تختص به الملائكة نقله القسطلاني في المواهب وغيره على أنهم نصوا على
أن سجود الملائكة لآدم إنما هو في الصورة فقط وأما في الحقيقة فالسجود للنور
المحمدي الذي في صلب آدم عليه السلام كما يشير إليه قول ابن الفارض

۞ وإني وإن كنت ابن آدم صورة ۞ فلي فيه معنى شاهد بأبوتي ۞

وفي شرح الرسالة للشيخ جسوس ما نصه وفي أمره تعالى بالصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم بعد قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي إشارة إلى مزية
هذه العبادة وشرفها على غيرها وذلك أن الله تعالى أمر بها بعد أن أخبر
بأنه يفعلها هو وملائكته المطهرون وهذا شيء اختصت به من بين
سائر العبادات والله تعالى أعلم هـ وقال السمرقندي رحمه الله إذا
أردت أن تعرف أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر

العبادات فلا نظير هذه الآية فأمر الله عباده بسائر العبادات وصلى عليه
بنفسه أولا وأمر ملائكته بالصلاة عليه ثم أمر المؤمنين بأن يصلوا عليه
فضله في شرح الدليل وقال القاضي عياض الإجماع منعقد على أن في هذه
الآية من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها
وقال السخاوي المقصود من هذه الآية أن الله أخبر عباده بمنزلة نبيه صلى الله
عليه وسلم عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة
يصلون عليه ثم أمر أهل العالم السفلي بالصلاة عليه والتسليم ليجتمع الثناء
عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا ثم نقل عن الفاكهاني قال
والآية بصيغة المضارع الدالة على الدوام والاستمرار لتدل على أنه سبحانه
وتعالى وجميع ملائكته يصلون على نبينا صلى الله عليه وسلم دائما أبدا
وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى وأنى لهم بذلك
بل لو قيل للعاقل أيما أحب إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك
أو صلاة من الله تعالى عليك لما اختار غير الصلاة من الله تعالى فما ظنك
فيمن يصلي عليه ربنا سبحانه وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار فكيف
يحسن بالمؤمن أن لا يكثر من الصلاة عليه أو يغفل عن ذلك ه وقال
في مسالك الحنفا وفي صلاته تعالى عليه صلى الله عليه وسلم ترغيب
للمؤمنين في ذلك وترهيب لهم من تركها فإنه سبحانه وتعالى قال إن الله
تعالى بجلاله وعظمته وعلو شأنه وارتفاعه وغناه عن خلقه يصلي عليه
وأن الملائكة مع اشتغالهم بذكر الله وما أمرهم الله يصلون عليه فأنتم أحق
بذلك إذ أنتم محتاجون إليه صلوات الله وسلامه عليه في شفاعته لكم
ولما نالكم ببركة رسالته وبقيكم بعنايته من شرور الدنيا والآخرة جزاه الله
عنا ما هو أهله ه قال العلماء ومعنى صلوا عليه ادعوا الله تعالى
بأن يصلي هو عليه صلى الله عليه وسلم وحينئذ فنسبة الصلاة إلى العباد
مجازية بمعنى الدعاء قال في مسالك الحنفا فإن قلت ما الحكمة في أن
الله عز وجل أمرنا أن نصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقول
اللهم صل على محمد فنسأل الله أن يصلي عليه ولا نصلي عليه نحن بأنفسنا يعني
بأن يقول العبد في صلاته صليت على محمد قال ابن حجلة الحكمة في ذلك أنا لما
أمرنا بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك
أحلناه عليه لأنه أعلم بما يليق به وهو كقوله لا أحصي ثناء عليك وعليك

ذلك

ذلك أيضا بأنه صلى الله عليه وسلم طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعايب
والنقائص فكيف يثني من فيه معايب على طاهر فنسأل الله تعالى
أن يصلي عليه لتكون الصلاة من رب طاهر على نبي طاهر انتهى
وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم أصبح يوما طيب النفس يرى في وجهه
البشر فقالوا يا رسول الله أصبحت طيب النفس يرى في وجهك البشر فقال أجل
أتاني آت من ربي فقال من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها
عشر حسنات ومحا عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات ورد عليه
مثلها رواه الإمام أحمد في المسند عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي
عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب وفي رواية ذكرها صاحب الشفاء
تستغفر له والصلاة عليه في الكتاب قال سيدي زروق محتملة للكتابة
وهو الكتبي واللفظي نطقا وهو أرجحي وروي أنه صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقال إنه جاءني جبريل عليه
السلام فقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت
عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا هكذا
في رواية أن المصلي جبريل وفي غيرها أما يرضيك أن ربك عز وجل
يقول إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك الحديث قال القاضي أبو عبد الله
السكاكي اعلم أن الصلاة من الله رحمة ومن رحمه الله رحمة
واحدة فهو خير له من الدنيا وما فيها فما ظنك بعشر رحمات كم
يدفع الله بها من البلايا والمحن ويستجلب بها من العطايا والمنن
قال ابن عطاء الله رضي الله عنه من صلى عليه مرة واحدة كفاه هم
الدنيا والآخرة فكيف بمن صلى عليه عشرا وقال ابن شابع انبسط
جاهه صلى الله عليه وسلم حتى بلغ المصلي عليه بهذا الأمر العظيم
ولا جرم كان يحصل لك أن يصلي الله عليك ولو عملت في عمرك كله
من جميع الطاعات ثم صلى الله عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة
الواحدة على ما عملت في عمرك كله من جميع الطاعات لأنك تصلي
على حسب وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا إذا كانت
صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرا بكل صلاة نقله في شرح الدلائل
وقال صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بي أكثرهم علي صلاة أخرجه

يوم القيامة خرجه

البخاري في تاريخه والترمذي وابن حبان وقال صلى الله عليه وسلم من
صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات
اخرجه النسائي وغيره وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه
وسلم انه قال من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا اخرجه
مسلم قال بعض العلماء ما اعظم قدر هذه العبادة التي تكون سببا
يتوصل به العبد الى صلاة سيده عليه مضاعفة وما اربحها فانه يبلغ
العبد بها من مرامه هذا المساعد وغيره مستغن عن ذلك بولايته
جاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمن عامل الله لم تخسر تجارته • وكل فلاح ابدا للتقي عم
ومن صلى على المختار واحدة • الا عليه يصلي ربه عشرا
فاغنم صلاتك يا هذا عليه تجد • بالاجر عند الله جل مرتجى

وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا الصلاة علي فان صلاتكم علي مغفرة
لذنوبكم واطلبوا الي الدرجة التي هي الوسيلة والوسيلة فان وسيلتي عند
ربي شفاعة لكم اخرجه ابن عساكر وعن انس ابن مالك رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة ليلة الجمعة
او يومها قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الاخرة وثلاثين من حوائج
الدنيا وبعث الي ملكا يدخل على قبري فيخبرني باسمه ونسبه فاكتبه عندي
في صحيفة بيضاء وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة تحت ظل
العرش يوم لا ظل الا ظله قيل من هم يا رسول الله قال من فرج عن مكروب من
امتي ومن احيا سنتي ومن اكثر الصلاة علي وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله وكل بقبري ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال الملكان
يجيبك له غفر الله لك فيقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين
امين ولا اذكر عند احد فلا يصلي علي الا قال الملكان لا غفر الله لك
وتقول حملة العرش وسائر الملائكة جوابا للملكين امين وقال صلى الله
عليه وسلم من صلى علي مائة مرة تزحزحت النار عنه وروي انه اذا كان
يوم القيامة وضعت حسنات المومن وسيئاته فتنزل بطاقة من عند الله
بيضاء على حسناته فترجح حسناته على سيئاته فيقول الله تعالى هذه
صلاتك على محمد صلى الله عليه وسلم ثقلت بها ميزانك وجعلتها لك
ذخيرة وقال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان والاقامة

اللهم

اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والعـ
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة
اخرجه البخاري واخرجه غيره بغير هذا اللفظ وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال للمصلي علي نور على الصراط ومن كان على
الصراط من اهل النور لم يكن من اهل النار وقال صلى الله عليه وسلم من
نسي الصلاة علي فقد اخطأ طريق الجنة والمراد بالنسيان الترك اي من ترك
الصلاة علي اخطأ تركه بعد كمن بيت الجنة وعن عبد الرحمن بن عوف عنه صلى
الله عليه وسلم قال جاءني جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يصلي عليك
احد الا صلى عليه سبعون الف ملك ومن صلت عليه الملائكة كان من
اهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اكثركم علي صلاة اكثركم ازواجا
في الجنة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى علي تعظيما لحقي
خلق الله عز وجل من ذلك القول ملكا له جناح بالمشرق والاخر بالمغرب
ورجلاه مغروزتان في الارض السابعة وعنقه ملتوية تحت العرش يقول الله
عز وجل صل على عبدي كما صلى على نبيي فهو يصلي عليه الى يوم القيامة
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليردن على الحوض اقوام ما اعرفهم
الا بكثرة الصلاة علي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه
الملائكة ما صلى علي فليقلل عبد من ذلك او ليكثر وقال صلى الله عليه
وسلم ان اولى الناس بي اكثرهم علي صلاة قال الشيخ من تحفة في شرح الاحياء
والمعنى اقربهم مني في القيامة واحقهم بشفاعتي اكثرهم علي صلاة في الدنيا
لان كثرة الصلاة عليه تدل على صدق المحبة وكمال الوصلة فتكون منازلهم
في الاخرة منه بحسب تفاوتهم في ذلك وقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي
فان صلاتكم علي زكاة لكم وانها اضعاف مضاعفة وقال صلى الله عليه
وسلم من صلى علي بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك
عشر حسنات وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري
سمعته ومن صلى علي غائبا بلغته وقال صلى الله عليه وسلم ان لله
ملكا اعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي
صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان قال فيصلي
الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشرا وتصلي عليه
الملائكة ما دام يصلي علي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي

واحدة صلى الله عليه عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ومن
صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من
النار واسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء فاكثروا من الصلاة علي
كلما ذكرت فانها كفارة لسيئاتكم وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
علي مرة واحدة صلى الله عليه عشر مرات ومن صلى علي عشر مرات
صلى الله عليه مائة مرة ومن صلى علي مائة مرة صلى الله عليه ألف
مرة ومن صلى علي ألف مرة حرم الله جسده على النار وثبته بالقول
الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة وجاءت صلاته علي نورا
له يوم القيامة على الصراط مسيرة خمسمائة عام واعطاه الله بكل صلاة
صلاها قصرا في الجنة قل ذلك او كثر ومن رواية ومن صلى علي الف
زاحمت كتفه كتفي على باب الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى
علي صلاة من امتي كتب الله له عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات
ورفعه بها عشر درجات وكان له عدل عشر رقاب وقال صلى الله عليه
وسلم من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة
وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كل يوم مائة مرة قضى الله
له مائة حاجة ايسرها عتقه من النار وقال صلى الله عليه وسلم
[illegible] من صلى علي كل يوم ثلاث مرات وكل ليلة
ثلاث مرات حبا لي وشوقا الي كان حقا على الله ان يغفر له ذنوبه
تلك الليلة وذلك اليوم وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي
صلاة كتب الله له قيراطا والقيراط مثل احد وعن سيدنا علي
كرم الله وجهه قال لولا ان انسى ذكر الله عز وجل ما تقربت الا
بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول قال جبريل يا محمد ان الله عز وجل يقول من صلى
عليك عشر مرات استوجب الامان من سخطي وقال صلى الله عليه
وسلم اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده
الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ
منها قال ابو الدرداء قلت وبعد الموت قال ان الله حرم على الارض
ان تأكل اجساد الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلاة
علي يوم الجمعة فان صلاة امتي تعرض علي في كل يوم جمعة فمن كان

اكثرهم

اكثرهم علي صلاة كان اقربهم مني منزلة وقال صلى الله عليه وسلم اكثروا
علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا
وشفيعا يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي يوم الجمعة
ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما فقيل له يا رسول الله كيف
الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي وتعقد واحدة ومن رواية من صلى صلاة العصر من يوم الجمعة
فقال قبل ان يقوم من مقامه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين عاما وكتب له عبادة
ثمانين سنة وقال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة خلقوا من النور
لا يهبطون الا ليلة الجمعة ويوم الجمعة بايديهم اقلام من ذهب وفي الكيس
من نور لا يكتبون الا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تنبيهان الاول
قال في المواهب اللدنية فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار
من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب ابن القيم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة
عليه فيه مزية ليست لغيره مع حكمة اخرى وهي ان كل خير نالته امته
في الدنيا والآخرة فانما نالته على يده صلى الله عليه وسلم فجمع الله لامته به
بين خيري الدنيا والآخرة واعظم كرامة تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم
الى منازلهم وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو
عيد لهم في الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا
يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده صلى الله
عليه وسلم فمن شكره وحمده واداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم
ان يكثروا عليه من الصلاة في هذا اليوم وليلته الثاني قال ابن حجر
في الدر المنضود نقلا عن بعض العلماء ان الاشتغال بالصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اعظم اجرا من الاشتغال
بتلاوة القرآن ما عدا سورة الكهف التي الحديث على قراءتها
ليلة الجمعة ويومها والله اعلم واخرج ابن الخلف مرفوعا قال عليه
الصلاة والسلام من صلى علي صلت عليه الملائكة ومن صلت عليه الملائكة
صلى الله عليه ومن صلى الله عليه لم يبق شيء في السموات السبع والارضين
السبع والبحار السبع والاشجار والنباتات والطيور والسباع والانعام

الصلاة عليه **وفي تحفة** الاخبار للامام رحمه الله عن علي رضي الله عنه وكرم
وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى وكل بقبري ملكا اسمه صلصائيل
وهو في صورة الديك راسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة
له ثلاثة اجنحة جناح بالمشرق وجناح بالمغرب وجناح بين يديه على قبري فاذا صلى
علي عبد كان التقطها منه كما يلتقط الطير الحب ثم يقول **يا محمد**
ان فلان بن فلان من موضع كذا وكذا صلى عليك وفي رواية يقريك السلام ثم
يقبضها روح منها نور بالمسك الاذفر ابيض ويضعها عند راسي حتى اشفع له في
يوم القيامة **وفي** شفاء الصدور روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من سره ان يلقى الله وهو عنه راض فليكثر من الصلاة علي فانه من صلى علي
في كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر ابدا وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام
سروره واستجيب دعاؤه واعطي امله واعين على عدوه وعلى اسباب الخير
وكان ممن يرافق نبيه في الجنان **وفي حديث** ذكره صاحب كتاب
الغريب عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا صلى العبد علي صلاة نادى مناد صلى
الله عليك بها عشرا فيسمعه اهل السماء الاولى فيقولون صلى الله عليك
بها مائة فيسمعه اهل السماء الثانية فيقولون صلى الله عليك بها مائتين
فيسمعه اهل السماء الثالثة فيقولون صلى الله عليك بها الفا فيسمعه
اهل السماء الرابعة فيقولون صلى الله عليك بها الفين فيسمعه اهل
السماء الخامسة فيقولون صلى الله عليك بها ثلاثة الاف فيسمعه
اهل السماء السادسة فيقولون صلى الله عليك بها اربعة الاف ثم
فيسمعه اهل السماء السابعة فيقولون صلى الله عليك بها خمسة الاف ثم
فيقول الرب تبارك وتعالى دعوا ثواب هذا العبد المصلي كما عظم نبيي وصلى
عليه بطيب نفسه ان اغفر له كل ذنب **وروي** ان جبريل عليه السلام
اتى النبي صلى الله عليه فقال يا محمد ان ربك يقريك السلام ويقول لك ان
تشا اعطيتك في الدنيا ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وجعلت جبال تهامة ذهبا وفضة تسير معك حيث سرت قال فقلت يا جبريل
العمر في الدنيا ام الموت فقال لا بد من الموت ومن لقاء الله عز وجل بعد
الموت فقلت يا جبريل ما لي غبطة في نعيم زائل ودنيا فانية ان الدنيا دار من
لا دار له تغر من لا عقل له لا حبيبها سالم ولا نعيمها دائم فقال جبريل تبارك
الله رب العالمين اتاني امين اجل عن الله عز وجل بهذا الكلام فلابد تترك

الدنيا



الدنيا يا محمد فان الله معطيك في الجنة قبة من فضة ثلاثمائة عام فكر
حتى تصل اليها الى امة لا يدخلها الا من اكثر الصلاة عليك **وفي**
فضل الصلاة من دلائل الخيرات قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من
عبد صلى علي الا خرجت الصلاة مسرعة من فيه فلا يبقى بر ولا بحر ولا شرق ولا
غرب الا وتمر به وتقول انا صلاة فلان بن فلان صلى على محمد المختار خير
خلق الله فلا يبقى شيء الا وصلى عليه ويخلق من تلك الصلاة طائر له
سبعون الف جناح في كل جناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف
وجه في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان كل لسان
يسبح الله تعالى بسبعين الف لغة ويكتب الله له ثواب ذلك كله
وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا على غير
الصلاة علي الا تفرقوا على جيفة انتن من جيفة الحمار وما من مجلس يصلى
علي فيه الا فاحت له رائحة طيبة حتى تبلغ عنان السماء فتقول الملائكة
هذه رائحة مجلس صلي فيه على محمد صلى الله عليه وسلم **وقال** صلى الله
عليه وسلم ان انجاكم يوم القيامة من اهوالها اكثركم علي صلاة في دار
الدنيا انه قد كان في الله وملائكته كفاية وانما امر بذلك المومنين
ليثيبهم عليه **وقال** صلى الله عليه وسلم ثلاثة تحت ظل عرش الله يوم لا ظل
الا ظله قيل من هم يا رسول الله قال من فرج عن مكروب من امتي ومن احيا
سنتي ومن اكثر الصلاة علي **وعن عايشة** رضي الله عنها قالت كنت
اخيط شيئا في السحر فسقطت الابرة وانطفا المصباح فدخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاضاء البيت من ضياء وجهه فوجدت الابرة فقلت
يا رسول الله ما اضوا وجهك فقال يا عايشة الويل لمن لا يراني يوم القيامة
قالت فقلت ومن الذي لا يراك يوم القيامة قال البخيل فقلت ومن البخيل
يا رسول الله قال الذي اذا ذكرت عنده لم يصل علي **وقال** صلى الله عليه وسلم
ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه
وسلم الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من ذكرت
عنده فلم يصل علي دخل النار وفي رواية من ذكرت عنده فلم يصل علي
فقد شقي **وقال** صلى الله عليه وسلم الا انبيكم باشد البخلاء الذي
انبيكم باعجز الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من ذكرت عنده فلم يصل
علي **وقال** صلى الله عليه وسلم اني ما يكون احدكم مني اذا ذكرني

وصلى علي وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي محى الله قلبه من النفاق كما
يمحي التراب الماء وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبدين متحابين
يستقبل احدهما صاحبه ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم الا لم يتفرقا
حتى يغفر لهما ذنوبهما ما تقدم منها وما تاخر وروى القشيري في رسالته
باسناده الى ابن عباس رضي الله عنهما قال اوحى الله الى موسى عليه السلام
يا موسى اتريد ان اكون اقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن وسواس قلبك
الى قلبك ومن روحك الى بدنك ومن نور بصرك الى عينك قال نعم يا رب قال
فاكثر من الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وذكر غير واحد من العلماء
عن كعب الاحبار رضي الله عنه قال اوحى الله الى موسى على نبينا وعليه
الصلاة والسلام في بعض ما اوحى اليه يا موسى لولا من يحمدني ما امطرت
من يعصيني قطرة عين يا موسى لولا من يشهد ان لا اله الا الله لسلطت جهنم
على الدنيا يا موسى اذا لقيت المساكين فسائلهم كما تسائل الاغنياء
فان لم تفعل ذلك فاجعل كل شيء عملته تحت التراب يا موسى اتحب
ان لا ينالك من عطش يوم القيامة قال الهي نعم قال فاكثر الصلاة على
محمد صلى الله عليه وسلم واخرج ابو نعيم عن ابي بكر الصديق وجابر بن عبد الله
رضي الله عنهما انهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كثرة الذكر
والصلاة علي تنفي الفقر وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم من اكثر
الصلاة علي اغناه الله غنى لا فقر بعده وقال السخاوي في القول البديع
روي انه عليه الصلاة والسلام قال اكثروا من الصلاة علي فانها تحل
العقد وتفرج الكرب

اذا كنت في ضيق وضقت بحيلة ... واصبحت محزونا وقلبك في حرج
فصل على المختار من آل هاشم ... كثيرا فان الله ياتيك بالفرج

وفي فصل الفضائل من دلائل الخيرات روي انه عليه الصلاة والسلام
قال من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة علي فانها تكشف الهموم
والغموم والكروب وتكثر الارزاق وتقضي الحوائج

عليك باكثار الصلاة محبة ... على من عليه الله قد صلى في الذكر
ترى الخير من كل الجهات مواليا ... عليك وتكفى ما نخاف من الشر

والاحاديث في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة والآثار والحكايات
فيها شهيرة قال بعض العلماء ويكفيك في فضلها وبركتها ان جميع

الاذكار

11

الاذكار لا تفيد ولا تقبل الا مع حضور القلب الا تلاوة القرآن والصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فانهما يقبلان مع عدم حضور القلب كما نص عليه الشيخ
شهاب الدين احمد بن عبد اللطيف اليمني في تاليفه في الصلاة والعوائد فقال
ومن فضائلها ايضا ان بعضهم قال انها الصلاة الوسطى المامور بالمحافظة
عليها بالخصوص ومع الاختلاف في تعيينها والمشهور في مذهب الامام
مالك وكذا الشافعي انها صلاة الصبح ولذلك قال في المختصر وهي
الوسطى والله اعلم واما فوائدها وثمراتها فقد قال الشيخ العارف
ابو المواهب الشاذلي رضي الله عنه في العقود المحمدية اخذ علينا العهد
العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نكثر من الصلاة والتسليم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلا ونهارا ونذكر اخواننا ما في ذلك من الاجر والثواب
ونرغبهم فيه بكل الترغيب اظهارا لمحبته صلى الله عليه وسلم وقد حبب الي ان اذكر
لك يا اخي جملة من فوائد الصلاة والتسليم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
تشويقا لك لعل الله تعالى ان يرزقك محبته الخالصة ويصير شغلك في اكثر
اوقاتك الصلاة والتسليم عليه وتصير تهدي ثواب كل عمل عملته في صحيفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه خبر كعب ابن عجرة اني اجعل لك
صلاتي كلها اي اجعل لك ثواب جميع اعمالي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اذا يكفيك الله هم دنياك وآخرتك فمن ذلك وهو اهمها صلاة الله وسلامه
وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه ومنها تكفير الخطايا وتزكية
الاعمال ورفع الدرجات ومنها مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه
لقائلها ومنها كتابة قيراط من الاجر مثل جبل احد والكيل بالمكيال
الاوفى ومنها كفاية امر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه كما تقدم
ومنها محو الخطايا وفضلها على عتق الرقاب ومنها النجاة من سائر
الاهوال وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ووجوب الشفاعة
ومنها رضا الله ورحمته والامان من سخطه والدخول تحت ظل العرش
ومنها رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض والامان من العطش ومنها
العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف ورؤية المقعد
المقرب من الجنة قبل الموت ومنها كثرة الازواج في الجنة والمقام الكريم
ومنها رجحانها على اكثر من عشرين غزوة وقيامها مقامها ومنها
انها زكاة وطهارة وينمو المال ببركتها ومنها انه تقضى له بكل صلاة

ما ليست حاجة بل اكثر ومنها انها عبادة واحب الاعمال الى الله ومنها
انها علامة على ان صاحبها من اهل السنة ومنها ان الملائكة تصلي على
صاحبها ما دام يصلي عليه صلى الله عليه وسلم ومنها انها تزين المجالس
وتنفي الفقر وضيق العيش ومنها انه يلتمس بها مظان الخير ومنها
ان صاحبها اولى الناس به يوم القيامة ومنها انه ينتفع هو وولده بها
وبثوابها وكذا من اهديت في صحيفته ومنها انها تقرب الى الله عز وجل
والى رسوله صلى الله عليه وسلم ومنها انها نور لصاحبها في قبره ويوم
حشره وعلى الصراط ومنها انها تنصر على الاعداء وتطهر القلب من
النفاق والصدا ومنها انها توجب محبة المومنين فلا يكره صاحبها
الا منافق ظاهر النفاق ومنها رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
وان اكثر منها يراه في اليقظة ومنها انها تقلل من اغتياب صاحبها
حبيبها وهي من ابرك الاعمال وافضلها واكثرها نفعا في الدنيا والاخرة
وغير ذلك من الاجور التي لا تحصى وقد رغبتك بذكر بعض ثوابها
فلازم بالحرص عليها فانها من افضل ذخاير الاعمال وقد امرني بها
ابو العباس الخضر عليه السلام وقال لازم عليها بعد الصبح كل
يوم الى طلوع الشمس ثم اذكر الله عقبها مجلسا خفيفا فقلت له سمعا
وطاعة وحصل لي ولاصحابي بذلك خير الدنيا والاخرة وتيسير الرزق
بحيث لو كان اهل مصر كلهم عيالي ما حملت لهم هما والحمد لله رب
العالمين وقال العلامة سيدي محمد الفاسي في شرح الدلائل بعد كلام
وهي من اهم المهمات لمن يريد القرب من رب الارباب وجه اهمية الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في حق من يريد القرب من مولاه من وجوه منها
ما فيها من التوسل الى الله تعالى بحبيبه ومصطفاه وقد قال الله تعالى وابتغوا
اليه الوسيلة ولا وسيلة اليه تعالى اقرب ولا اعظم من رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم
ومنها ان الله تعالى امرنا بها وحضنا عليها تشريفا له صلى الله عليه وسلم
وتكريما وتفضيلا وتعظيما ووعدنا على امتثالها حسن المآب والفوز بجزيل الثواب
فهي من انجح الاعمال وارجح الاقوال وازكى الاحوال واحظى القربات واعم البركات
وبها يتوصل الى رضا الرحمن وتنال السعادة والرضوان وبها تظهر البركات وتجاب
الدعوات ويرتقى الى اعلا الدرجات وتجبر صدع القلوب ويعفى عما عظم من الذنوب
ومنها انه صلى الله عليه وسلم محبوب الله عز وجل عظيم القدر عنده ومنه صلى

عليه

عليه هو وملائكته وامر المومنين بالصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم فوجبت
محبة المحبوب والتقرب الى الله تعالى بمحبته وتعظيمه والصلاة عليه والاقتداء
بصلاته تعالى وصلاة ملائكته عليه ومنها ما ورد في فضلها والوعد عليها
من جزيل الاجر وعظيم الذخر وجوز مستعملها برضى الله تعالى وقضاء حوائج
الاخرة ونيلها ومنها ما فيها من قضاء حق الواسطة في نعم الله علينا الصادرة
بشفاعته اذ ما من نعمة لله علينا سابقة ولا لاحقة من نعمة الايجاد والامداد في الدنيا
والاخرة الا وهو السبب في وصولها الينا واجرائها علينا فنعمه صلى الله عليه وسلم
علينا تابعة لنعم الله تعالى ونعم الله لا يحصرها عد كما قال سبحانه وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها فوجب لحقه صلى الله عليه وسلم علينا ووجب علينا في نعمته ان
نكافيه عنها بالصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه ومنها ما فيها من القيام
برسم العبودية بمعنى امتثال امر الله تعالى ومنها ما جرب من تاثيرها والنفع بها
في التنوير ورفع الهمة حتى قيل انها تكفي عن الشيخ في الطريق وتقوم مقامه
ومنها ما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ففي الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم ذكر الله ورسوله ولا اخذ الكل عكسه ثم قال وفي كتاب ابي
محمد الفكهي واعلم ان في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عشر كرامات
احداهن صلاة الملك الجبار والثانية شفاعة النبي المختار والثالثة
الاقتداء بالملائكة الابرار والرابعة مخالفة المنافقين والكفار والخامسة
محو الخطايا والاوزار والسادسة العون على قضاء الحوائج والاوطار
والسابعة تنوير الظواهر والاسرار والثامنة النجاة من دار البوار والتاسعة
دخول دار القرار والعاشرة سلام الرحيم الغفار ثم قال وفي كتاب حدائق
الانوار في الصلاة والسلام على النبي المختار صلى الله عليه وسلم الحديقة الخامسة
في الثمرات التي يجتنيها العبد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم والفوائد
التي يكتسبها ويقتنيها الاولى امتثال امر الله بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
الثانية موافقته سبحانه وتعالى في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الثالثة
موافقة الملائكة في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الرابعة حصول عشر
صلوات من الله تعالى على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم واحدة الخامسة
انه يرفع له عشر درجات السادسة يكتب له عشر حسنات السابعة يمحى
عنه عشر سيئات الثامنة ترجى اجابة دعوته التاسعة انها سبب
لشفاعته صلى الله عليه وسلم العاشرة انها سبب لغفران الذنوب وستر العيوب

الحادية عشر انها سبب لكفاية العبد ما اهمه الثانية عشر انها سبب لقرب
العبد منه صلى الله عليه وسلم الثالثة عشر انها تقوم مقام الصدقة الرابعة عشر
انها سبب لقضاء الحوائج الخامسة عشر انها سبب لصلاة الله وملائكته على المصلي
السادسة عشر انها سبب زكاة المصلي والطهارة له السابعة عشر انها سبب
لتبشير العبد بالجنة قبل موته الثامنة عشر انها سبب النجاة من اهوال يوم القيامة
التاسعة عشر انها سبب لرده صلى الله عليه وسلم على المصلي عليه الموفية عشرين
انها سبب لتذكر ما نسيه المصلي عليه صلى الله عليه وسلم الحادي والعشرون انها
سبب لطيب المجلس وان لا يعود على اهله حسرة يوم القيامة الثانية والعشرون
انها سبب لنفي الفقر عن المصلي عليه صلى الله عليه وسلم الثالثة والعشرون انها
تنفي عن العبد اسم البخل اذا صلى عليه عند ذكره صلى الله عليه وسلم الرابعة والعشرون
نجاته من الدعاء عليه برغم انفه اذا تركها عند ذكره صلى الله عليه وسلم الخامسة
والعشرون انها تاتي بصاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتاركها عن طريقها
السادسة والعشرون انها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم السابعة والعشرون انها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله
والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم الثامنة والعشرون انها سبب لفوز العبد
بالجواز على الصراط التاسعة والعشرون انه يخرج العبد عن الجفاء بالصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم الموفية ثلاثين انها سبب لابقاء الله تعالى الثناء
الحسن على المصلي عليه صلى الله عليه وسلم بين السماء والارض الحادي والثلاثون
انها سبب رحمة الله عز وجل الثانية والثلاثون انها سبب البركة الثالثة
والثلاثون انها سبب لدوام محبته صلى الله عليه وسلم وزيادتها وتضاعفها
وذلك من عقود الايمان الذي لا يتم الا به الرابعة والثلاثون انها سبب لمحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم للمصلي عليه صلى الله عليه وسلم الخامسة والثلاثون انها
سبب لهداية العبد وحياة قلبه السادسة والثلاثون انها سبب لعرض المصلي
عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده صلى الله عليه وسلم السابعة والثلاثون
انها سبب لتثبيت القدم يعني على الصراط الثامنة والثلاثون تادية الصلاة
عليه لاقل القليل من حقه صلى الله عليه وسلم وشكر نعمة الله التي انعم بها
علينا التاسعة والثلاثون انها متضمنة لذكر الله وشكره ومعرفة احسانه
الموفية اربعين ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من العبد دعاء وسؤال
من ربه عز وجل فتارة يدعو لنبيه صلى الله عليه وسلم وتارة لنفسه ولا يخفى ما في

هذا

هذا من المزية للعبد الحادي والاربعون من اعظم الثمرات واجل الفوائد
المكتسبة بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم انطباع صورته الكريمة في النفس الثانية
والاربعون ان الاكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الشيخ المربي انتهى
وفي شرح الحكم للشيخ الطيب بن كيران ومن فوائد الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم انها تنور القلب وبقدر ذلك النور يقبل صاحبه على الخير والاستقامة
وينشأ عن ذلك النور نور حسي كخبر ابن وداعة عن ابن عمر زينوا مجالسكم
بالصلاة علي فانها نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة ومنها تطهير
القلب من النفاق كما في حديث ذكره الغزالي ومنها تفريج الهموم وتكفير
الاوزار وقضاء الحوائج كخبر من عسرت عليه حاجة فليكثر من الصلاة علي
الحديث ومنها تكثير الحسنات ورفع الدرجات كخبر احمد وغيره عن انس
من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه عشر
خطيئات ورفع له عشر درجات قال ومنها نيل الشفاعة اخرج الطبراني
في الكبير عن ابي الدرداء رفعه من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا
ادركته شفاعتي يوم القيامة ومنها قلع الاغيار من القلب فاذا تخلى
بعد ذلك لشيء فيه نور جماله الحسي والمعنوي ومنه احسانه وهو سبب المحبة
فتقوى محبته في القلب فلا يبقى لغيره فيه التفات ويميز بسبب ما انفتح فيه
من النور بين الحقائق فيدركها على ما هي عليه فلا التباس فيطلع له
الحق حقا والباطل باطلا ادراك تحقق على الحقيقة فتكشف فيه
الاشياء على ما هي عليه فيثمر ذلك للعمل بما جاء به ويصير هواه
تبعا له ومنها ان من لم يكن له شيخ يربيه ويرقيه فلازمها فانها
تقوم به وتربيه وترقيه وتوصله ذكره زروق عن شيخه ابي العباس الحضرمي
والسنوسي عن بعض ائمة التصوف وقاله الشيخ اليمني ومنها تقوية
اليقين قاله ابن عباد ومنها انها تفتح من كيمياء السعادة ابوابا
لا يفتحها غيرها قاله ابن عجيبة لانها تنقل النفس الامارة وهي حالة ما هي
والنحاس الى لوم صاحبها على التقصير والمخالفة فتصير لوامة وهي حالة
وسطى كالفضة ثم تنقلها الى الاطمئنان تحت الامر والنهي من غير ان يبقى
لها ميل الى المخالفة والتقصير فتصير مطمئنة وهي كالذهب الابريز وقد
تنقل الامارة الى الاطمئنان ابتداء من غير واسطة باعتبار قوة الداعي
ومنها التعرض لنفحات الحق بذكر حبيب الله واكرم الخلق على الله

ومن الحديث ان لله نفحات فتعرضوا لها والمراد بالنفحة انصباب الرحمة
والسكينة ومنها استجابة الدعاء قال الى صاحب من صلى عليه صلى الله عليه
وسلم انما كنت بعد الرحمة ومن انما كنت بعد الرحمة كيف لا تجاب له الدعوة واذا كان
الدعاء مقبولا عند ذكر الصالحين فكيف بمن هو رحمة للعالمين اهـ وفي
شرح الدلائل للفاسي وعن بعض العارفين قال ان من كان شانه كثرة الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم يحصل له البشرى الاكبر بكونه صلى الله عليه وسلم يحضر
عند سكرات الموت وهناك يحصل برؤيته ما اعد الله له من الحور والقصور والولدان
وكثرة الازواج والتهنئة بالسلام عليه من العزيز الغفار كما قال جل شانه الذين
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اهـ
ويروى ان سبب وضع الامام الجزولي رضي الله عنه الكتاب دلائل الخيرات انه
كان سائرا يوما في بعض اسفاره فحضرت الصلاة وكان بازاء بير فيه ماء
وعدم الالة فجعل يطوف حول البير بالتمس ما يستقي به فنادته صبية وقالت
له ما شانك فقال لها مع ما بنفسه كي تقضي له الوطر انا الجزولي ولم اجد
الة لسقي الماء وقد فات الوقت فتفلت الصبية الى البير وتفلت فيه
فعلا وذهبت فسقى منه فتوضأ وصلى وذهب لبابها داخلها فجعل ينادي
عليها ويتوسل لها بحق النبي صلى الله عليه وسلم لتخرج اليه فخرجت باعياء
لتتشفع لها بجاهه صلى الله عليه وسلم لتخبره بم ادركت هذا السر
فقالت له لولا تشفعك بحبيبي محمد صلى الله عليه وسلم ما اخبرتك ادركت
ذلك بكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فذهب الشيخ وشرع في
تاليف الدليل قال في جلى الاسرار والحقايق وقد نص جماعة من العلماء
الاجلة الذين هم في سماء الفضايل اهلة على ان النبي صلى الله عليه وسلم
جليس ذاكره ومقبل على مسامره ومن كان النبي صلى الله عليه وسلم جليسه
وسميره كيف تحوم حول حماه الشقاوة او تحتوي على قلبه القساوة ومن
الصحيحين من حديث ابي هريرة هم القوم لا يشقى جليسهم وانشد
المحدث عنهم انما الدوائر بمجالس السادة فيهم وذاكره صلى الله عليه
محفوفا بالرحمة ومحفوفا بالجلال نعمة واذا كانت الرحمة تتنزل عند ذكر
الصالحين كما قال ابن عيينة وعقد له من قال

اذا ما ذكر الصالحين وسمعهم ◦ فبذكرهم تتنزل الرحمات
والجميع نيل العلاء في قربهم ◦ وقبورهم زرها اذا ما انت ...

محمد

فما بالك بسيدهم وسندهم ومقدمهم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

ذاكر الحبيب لا يمل ابدا ◦ على التمام ابدا ابدا مزيدا
هو الحياة للقلوب وجد ◦ فخلني ونرتقي الى السعدا

ومن ثمرات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم حسن الخاتمة قال السيد
محمود الكردي في الباقيات الصالحات واتفقوا على ان كثرة الصلاة والسلام
على النبي صلى الله عليه وسلم من علامات حسن الخاتمة ومنها دفع
الطاعون قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في كتابه تحفة الراغبين في بيان
امر الطواعين في اخر العمل السادس منه وعن بعض العارفين ان من اعظم
الاشياء الدافعة للطاعون وغيره من البلايا العظام الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ومنها انها تزيل العطش الغالب على الانسان في وقت الحمى
وغيره قال العارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي في شرحه على القصيدة المضرية
ومما وقع لنا في تكرار الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم انها تزيل العطش
الغالب على الانسان في وقت الحمى وغيرها واني جربت ذلك وامرته لبعض
اخواني فجربوه في كرب العطش عند فقد الماء لكنا نشترط ان لا يكون في تلك الصيغة التي
يصلى بها على النبي صلى الله عليه وسلم لفظ الميم لانه حار وانما الصيغة التي تزيل
العطش هذه الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الانام الصلاة والسلام على
نبينا محمد المبعوث الينا بالحق المبين الصلاة والسلام على سيدنا محمد الامي الامين
وافضل الصلوات واشرف التسليمات على النبي الصادق والرسول المؤيد
باسرار الحقائق وامثال ذلك اهـ قال في مطالع المسرات وقد انهى العلماء
ابحاثهم في شتاته فوائد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الى الثلاثمائة
بالجزئية للدنيا والدنيا والاخرة وقال الامام السنوسي في كتابه بغية
السالك وقد رقمت مرة بعض فوائدها فبلغت على مائة وفائدة ثم فتح
على في ذلك باب من الفوائد بعجز عنه الحصر والاستقصاء اهـ قال صاحب
كنوز الاسرار بعد نقله ذلك قلت وقد امتن الحق تعالى على برشحة من سواحل
هذا البحر المحيط الذي لا يسبح بموجه غطيط فما وجدت ما اعبر به في الجملة الا اني
اقول في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم من الفتوحات والاسرار والمعارف والانوار
في هذه الدار وفي تلك الدار ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ولولا قصور الفهم وخمود الذهن عما وراء معارف اسرار اولياء الله تعالى
لبسطت القول في ذلك اهـ ولنا منظومة في الحث على الصلاة على النبي صلى

وسلم

الله عليه وسلم ونذكر جملة من مواضعها وثمراتها والنطق بها في الجزء الخامس
من روض الرياحين والاسرار في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وما
يتعلق بها **واما حكمها** فالاجماع منعقد على وجوبها في الجملة
وانه لا يخالف القائل بالسنية وانما اختلف في وقت الوجوب على اقوال
نذكر هنا عشرة **احدها** انها تجب في الجملة من غير حصر لكن اقل ما
يحصل به الاجزاء مرة وهو الذي شهره القاضي ابو الحسن ابن القصار من المالكية
قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
وقال ابن عبد البر اجمع العلماء على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض
على كل مومن بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما **الثاني**
انه يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد وهو للقاضي ابي بكر بن بكير من
المالكية وعبارته كما في القول البديع افترض الله على خلقه ان يصلوا على
نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا ولم يجعل لذلك وقتا معلوما فالواجب
ان يكثر المرء منها ولا يغفلها **الثالث** انها تجب مرة في العمر في صلاة
او غيرها وهي مثل كلمة التوحيد وهو محكي عن ابي حنيفة رضي الله عنه
قال السخاوي ونقل ايضا عن مالك والثوري والاوزاعي رضي الله عنهم اعني
وجوبها في العمر مرة واحدة لان الامر المطلق لا يقتضي تكرارا **قال القاضي**
وابن عبد البر وهو قول جمهور الامة وممن قال به ابن حزم وقال القرطبي لا
خلاف في وجوبها في العمر مرة وانها واجبة في كل حين وجوب السنن المؤكدة
وسبقه ابن عطية بقوله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حال
واجبة وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير
فيه **الرابع** انها تجب في القعود آخر الصلاة بين قول التشهد وسلام
التحلل وهو للشافعي ومن تبعه وقال به ابن المواز من المالكية وصححه ابن
العربي في احكامه **الخامس** انها تجب في التشهد وهو قول الشعبي واسحاق
بن راهويه والتشهد يصدق بالاول والثاني هكذا نسب هذا القول الامام
القسطلاني في المواهب لاسحاق بن راهويه وسلمه شارحه والذي له في شرح
البخاري في كتاب التفسير ان اسحاق يقول بقول الشافعي انها واجبة في خصوص
القعود للتشهد الاخير فلعل له قولين او وقع له الغلط في احد الكتابين
والله اعلم **السادس** انها تجب في الصلاة من غير تعيين المحل نقل
ذلك عن ابي جعفر الباقر رضي الله عنه **السابع** انها تجب في كل

مجلس

مجلس مرة ولو تكرر ذكره مرارا حكاه ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم
بل ولو لم يذكر فيه صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم
مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم رواه الترمذي عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما
والترة بفتح التاء والراء المخففة كما في الحفني على الجامع الصغير او بكسر
الفوقية وفتح الراء وهاء تانيث كما في شرح المواهب **الثامن** انها
تجب في كل دعاء حكاه الزمخشري وكان قائله تعلق بقوله صلى الله عليه
وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه فان احتاج الى وضوء
توضأ والى شيء ابتنى به والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه
وآخره **التاسع** انها تجب كلما ذكر صلى الله عليه وسلم قاله الامام
الطحاوي وجماعة من الحنفية والحليمي والشيخ ابو حامد الاسفراييني وجماعة
من الشافعية وحكي عن اللخمي من المالكية وابن بطة من الحنابلة
وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط وعبارة الطحاوي كما في القول
البديع تجب كلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم او ذكره بنفسه ومما
استدل به لهذا المذهب اعني وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما
ذكر الآية التي فيها بان الامر للوجوب ويحمل على التكرار ابتداء على ان الامر
يدل عليه كما هو احد الاقوال في الامر المطلق **قال** السخاوي وبعد نقل
كلام الطحاوي وقد اختلف القائلون بالوجوب كلما ذكر هل هو على
العين فيجب على كل فرد فرد او الكفاية فاذا فعل ذلك البعض سقط
عن الباقين فيه والاكثرون قالوا بالاول ومن القائلين بالثاني ابو الليث
السمرقندي من الحنفية في مقدمته المعروفة **قال** شيخنا يعني الحافظ ابن حجر
وتمسك القائلون بالوجوب كلما ذكر من حيث النقل بان الاحاديث فيها
الدعاء بالرغم والابعاد والشقاء والوصف بالبخل والجفاء وغير ذلك مما يقتضي
الوعيد فان الوعيد على الترك من علامات الوجوب ومن حيث المعنى بان فائدة
الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مكافأته على احسانه واحسانه مستمر فيتأكد
اذا ذكر وتمسكوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه لكان كآحاد الناس ويتأكد ذلك
اذا كان المعنى بقوله دعاء الرسول الدعاء المتعلق بالرسول **قال الحليمي**
واذا قلنا بوجوب الصلاة كلما ذكر صلى الله عليه وسلم فان اتحد المجلس وكان

مجلس علم ورواية منها احتمل ان يقال الغافل عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
كلما جرى ذكره اثناء المجلس يعد اجزاؤه لان المجلس اذا كان معمورا بذكره
كان كله حالة واحدة كالذكر المتكرر وان لم يكن المجلس كذلك فلا ارى
ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم كلما ذكر ولا ارخص في تاخيره ذلك الى
ليس ذكره فاقل ما عد الفاكهاني قال ومن ترك الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم عند ذكره ثم صلى عليه في المستقبل بعد التوبة والاستغفار رجونا ان يكفي
عنه ولا يطلق عليه اسم القضاء والله اعلم ه تنبيه قال العلامة ابو
العباس البلغيثي وينبغي تقييده بعد القول بان لا يكون السامع في محل
ينهى عنه اسمه صلى الله عليه وسلم كالكنف او كان يقرا القرءان او يسمع
الخطبة او في حال الجماع او الاذان او الاقامة او غير ذلك مما يسقط فيه
رد السلام وفي نقل الامام النابلسي رضي الله عنه في شرح الحديقة الندية
على الطريقة المحمدية عن والده ان قارئ القرءان اذا سمع اسمه صلى الله
عليه وسلم فانه لا تجب عليه الصلاة وان فعل ذلك بعد فراغه من القراءة ثم
حسن ه ونحو مثله في غير القراءة مما تقدم لانه غير مطلوب بالصلاة في تلك
الاحوال الا في صلاة الماموم فانه يجوز له ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم اذا
سمع ذكره في حال الصلاة وفي المسائل الملقوطة اذا مر ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم في قراءة الامام فلا باس للماموم ان يصلي عليه اه ثم ما زاد
على الواجب من ذلك فهو مستحب متاكد الاستحباب فينبغي الاكثار منه بغير
حصر قالوا وقد حكمت مراكب بالتنصيص على التاكد فيها منها
عند ذكره او سماعه على قول من لا يوجبها حينئذ لما ورد في ذلك من الاحاديث
كقوله صلى الله عليه وسلم البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي
وقوله رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وقوله بحسب المرء من البخل
ان اذكر عنده ولا يصلي علي وان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند سماع
اسمه الشريف من علامات محبته قال الرصاع في تذكرة المحبين ما نصه
من علامات محبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه المبادرة عند سماع ذكر
اسمه او رؤيته بتعظيمه وتقبيل المكتوب التي تشتمل على اسمه وتوقيره
وتعزيره كما يوقر محل حلوله ورسمه يحكى ان رجلا من بني اسرائيل في زمن موسى
عليه السلام وكان الى جل مسرفا على نفسه لم يعمل خيرا قط مشهورا بينهم بالفعل
بالمخالفات متشبثا بقبح الافعال والسيئات فطرح في المزابل بعد موته على الحسب

حال

حاله واسمه واحسن صوره في جمال نظر وشبح واجمله فقيل له من اين لك هذا
الى ربي وهذا الحسن والجمال وكنت شينا بقبائح الافعال فقيل اما صالح الاعمال
فقال لا الى فتحت ذات يوم التوراة فوجدت فيها صفة حبيب الله محمد بن عبد الله
فقبلت اسمه ووضعته على راسي فعاملني المولى جل جلاله بفضله وغفر لي ورحمني
محبة اكراما واجلالا لنبيه وحبيبه وغيره فتذاكر ايها المحب تعظيم المولى جل جلاله
لمقدار هذا النبي العظيم وما اعد الله سبحانه لمن يحبه ويعظمه من الخير الجسيم
ضاعف الله حظنا فيه بفضله واجاض علينا من بركته ورحمته وجميل نيله اه
ومنها المواطن التي تتاكد فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم يوم
الجمعة وليلتها لما تقدم في ذلك من الاحاديث وعند الاذان وسماعه والفراغ
من الطهارة ولدخول المسجد والخروج منه وعقب دعاء القنوت والتشهد الاخير
عند من لا يوجبها حينئذ والتشهد الاول ايضا نص عليه الرصاع ونقله عن الزناتي
في شرح المختصر وغيره وبعد السلام من الصلاة وفي خطبتي الجمعة وغيرها
واثناء تكبيرات صلاة العيدين وفي صلاة الجنازة وعند التلبية والاجتماع
والتفرق وعلى الصفا والمروة وعند زيارته صلى الله عليه وسلم وفي الرسائل
بعد البسملة وفي ابتداء الكتاب وختمه وفي الصباح والمساء ويوم السبت
والاحد والخميس وعند طنين الاذن ونسيان الشيء وعند دخول البيت الذي ليس
فيه احد والمصافحة وقبل الدعاء واوسطه وبعده وعند الوعظ ونشر العلم
وقراءة الحديث ابتداء وانتهاء وعند كتابة السؤال والفتيا قال في المراصد
ومنها بعد العطاس كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة ونازع في ذلك
اخرون وقالوا هذا موطن يفرد فيه ذكر الله تعالى وقال القاضي عياض
مذهب مالك الكراهة عند العطاس كالذبح والتعجب والجماع والعثرة وقضاء
حاجة الانسان والبيع ورمز بعضهم لهذه المواضع السبعة باوائل الكلمات من قوله
٥ على عاتقي حملت ذنب جوارحي ٥ تعبت بها والله للذنب غافر ٥
فالعين الاولى للعطاس والثانية للعثرة والحاء لحاجة الانسان والذال المعجمة
للذبح والجيم للجماع والتاء للتعجب والباء للبيع ومنه شمل البيع وزاد
بعضهم الحمام اذا دخله عند الحرارة لا خارجه عند نزع الثياب ومثله المحال
القذرة كما قال الرصاع وعين بعضهم فلا حرج منه في المحال القذرة وزاد ابن حجر
من المواضع المكروهة عند الاكل ومثله الشرب وزاد الامام الرصاع اشتهار السلعة
في الاسواق ونحوها مع زيادة في عدم التوقير بل مع ضحك ولعب وزاد وابقا عند

الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر والعياذ بالله اذا قيل له عند الغضب
صل على محمد صلى الله عليه وسلم ذكره الامام النووي تنبيه قال اهل العلم حكم
السلام في الوجوب وفي الاستحباب ما ذكر على الواجب حكم الصلاة لاقترانهما في
الامر بهما في الاية تنبيه في الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم من الانبياء في
خلاف الحي وما متقدم بها مالك وجمهور العلماء الجواز وحكى النووي الاجماع
عليه ونصه اجمعوا على الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من
يعتد به على جوازها واستحبابها على سائر الانبياء والملائكة استقلالا
واما بالتبع فلا نزاع في جوازها واما الصلاة على غير الانبياء فاما تبعا فـ
بالاجماع على جوازها ايضا كما حكاه النووي والى احد بالجواز الاذن القاضي
بالاستحباب اذ الصلاة على آله صلى الله عليه وسلم وصحبه مستحبة من غير انها
لا ان يجتمع معه اثار محبته عليه الصلاة والسلام التي هي اساس الايمان
واما استقلالا ففيها اربعة اقوال المنع والكراهة وخلاف الاولى والجواز
ومشهورها الكراهة وعلى الجواز فانما يقصد بها الدعاء لا انها بمعنى
التعظيم خاصة بالانبياء كمحمد عز وجل بالله فلا يقال محمد عز وجل وان كان
صلى الله عليه وسلم عزيزا جليلا وكذا السلام هو خاص به صلى الله عليه وسلم
وبالانبياء والملائكة فلا يقال ابو بكر عليه السلام قاله في الشفاء وفي كثير
مما هو بيد بعض الانبياء من الاجلة وغيرهم بالغفران والرضا اه وقال النووي
ويستحب الترضي والترحم على الصحابة والتابعين فمن بعدهم من العلماء
والعباد وسائر الاخيار واما قول بعض العلماء ان الترضي خاص بالصحابة
ويقال في غيرهم رحمه الله تعالى فقط فليس كما قال بل الصحيح الذي عليه
الجمهور استحبابه ودلائله اكثر من ان تحصر اه وقال ابن حجر ويستثنى من
غير الانبياء لقمان ومريم والخضر نبيا والخضر وحواء وآسية وغيرهم ممن
اختلف في نبوته فيقال فيهم عليهم السلام من غير كراهة وان قلنا انهم غير
انبياء وهو الاصح لانهم ارتفعوا عن درجة من يقال فيه رضي الله عنه وقال
النووي والذي اراه ان هذا لا باس به وان الارجح ان تقول رضي الله عنهم لان
هذه مرتبة غير الانبياء ولم يثبت كونهم انبياء اه واما حكمة مشروعيتها
فقد قال الشيخ سيدي يوسف الفاسي في شرح التنبيه واختلف في الحكمة في امر
الله سبحانه ايانا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فقال القشيري في تفسيره
اراد سبحانه ان يكون للامة عنده صلى الله عليه وسلم يد خدمة فيكافيهم عليها من الشفاعة

بعد

بين نعمة فامرهم بالصلاة عليه ثم كافاهم سبحانه عنه على لسانه عليه السلام من صلى
على مرة واحدة صلى الله عليه عشرا من اخذاه وقال الحليمي المقصود بالصلاة
التقرب الى الله تعالى وقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن
عبد السلام في شجرة المعارف فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم
شفاعة له فان مثلنا لا يشفع لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا
فان عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فارشدنا الله الى الصلاة عليه لما علم
عجزنا عن مكافاة نبينا ونحوه للجاني اه وقال العلامة سيدي حمدون بناج
في شرح العقود البالغة نقلا عن ابن عطاء الله ما نصه ولعل من حكمة
الصلاة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان روح الانسان ضعيفة لا تستعد
لقبول الانوار الالهية فاذا استحكمت العلاقة بين روحه وروح الانبياء بالصلاة
فالانوار الفائضة من عالم الغيب على ارواح الانبياء تنعكس على ارواح المصلين
عليهم اه واما وقت مشروعيتها فقد قال القسطلاني في المواهب
نقلا عن ابي ذر الهروي ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم شرعت في السنة
الثانية من الهجرة وقيل ليلة الاسراء وقيل ان في اية ان الله وملائكته يصلون
على النبي الاية نزلت في شعبان ولذلك كان شهر الصلاة عليه صلى الله عليه
وسلم اه ومثله في فتح الباري واما ما اشتهر من التكلم بفضلها وكونها لا تؤخذ
في التبعات واي الصلاة على السلام وعكسه وهل ينتفع صلى الله عليه
وسلم بصلاتنا عليه وغير ذلك فقد تقدم الكلام على ذلك كله في الخطبة
فراجعه والله الموفق بمنه خاتمة في بعض كيفية صلواتنا على
النبي صلى الله عليه وسلم جامعة فيها فوائد نافعة نذكرها تبركا بالصلاة
على حبيب الرحمن وسيد الاكوان وشفيع الخلائق من انس وجان
الاولى نقلها الرصاع في كتابه تحفة الاخيار من رواية البخاري رضي الله
عنه عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقينا كعب بن عجرة رضي الله عنه
فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الينا فقلنا يا
رسول الله علمتنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد قال القسطلاني
في المواهب وقد استدل العلماء بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه هذه
الكيفية بعد سؤالهم عنها على انها افضل كيفيات الصلاة عليه لانه لا يختار

لنفسه الا الماشي في الفضل ويترتب على ذلك لو حلف شخص ان يصلي عليه صلى الله عليه
وسلم افضل الصلاة فطريق البر ان يأتي بذلك كذا اورده النووي في الاذكار وحققه هو
قال الزرقاني في شرح المواهب ووجهه السبكي بأن من اتى بها فقد صلى على النبي
صلى الله عليه وسلم الصلاة المطلوبة بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها فهو من اتيانه
بالصلاة المطلوبة في شك لانهم قالوا كيف نصلي عليك فقال قولوا فجعل الصلاة
عليه منهم هي قول هذا اه الثانية اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى
آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن
على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد هذه الصلاة اسندها صاحب الشفاء عن علي بن الحسين عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا نزلت من عند
رب العزة الكيفية الثالثة اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد هذه الصلاة ذكرها صاحب الشفاء عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا
اهل البيت فليقل اللهم صل الخ واخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما
عن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم الرابعة اللهم صل وسلم وبارك
على سيدنا محمد النبي الكامل وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية
لكمالك وعدد كماله قال الشيخ جسوس في شرح الشمائل روي عن الشيخ ابي عبد الله
بن محمد بن علي الشهير بابن ريسون انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم مناما ولقنه
هذه الصلاة ولكن ذكرها بلفظ آخر نصه اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما
لا نهاية لكمالك وعدد كماله واخبره صلى الله عليه وسلم انها بعشرة آلاف
وقد نازعه بعض الفقهاء المعاصرين في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم مناما ونعال
عن ذلك وصدق الشيخ المذكور في رؤياه وسمع من اخيه الشيخ سيدي الحسن بن
ريسون ان من صلى بها سبع مرات كانت فداء له من النار وروي عن الشيخ ابي
الحسن علي بن احرازم المصري شارح جمل المجرادي ان هذه الصلاة تعدل خمسمائة

الف

الف وهي فداء من النار وهي اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى
آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله بن بادة وسلم وبارك ومولانا به بانتظار
ومن البدور الضاوية نقلا عن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله البيغ قال سمعنا من
سيدنا شيخ الاسلام بفاس الشيخ ابا عبد الله محمد بن ابي بكر الدلائي قال من قال
اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله كما لا نهاية لكمالك وعدد كماله مرة
واحدة فكأنما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بغيرها عشرة آلاف وكنا
سمعنا عنه ان الواحدة منها بستة آلاف فسألناه فقال لا بل الواحدة بعشرة
آلاف وسمعت منه رضي الله عنه ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بها
سبع مرات فقط جديدة لا يعرفها الناس بل نقل بعض العلماء عن الفقيه
الحافظ ابي عبد الله القسمطيني الحسني انها بسبعين الف صلاة وذكر ان
الذي اخرج هذا الحديث ولم يوجد لغيره من بعض علماء عصره النبي صلى الله
عليه وسلم وسأله عنها فقال هي كذلك الخ ومما وجد بخط شيخ شيوخنا
ابي عبد الله جنون ما نصه وجدت بخط شيخنا يعني شيخه سيدي الوليد العراقي
رحمه الله الجميع اختار الشيخ المسناوي وعدد كماله بالجر وبعض فيه النصب
وهو الجاري على الالسنة وسمع من غير واحد من الشيوخ ووجهه انه معطوف
على نهاية لكمالك اي صلاة تقع في محل نصب صفة لصلاة فكأنه قيل وصل
عليه صلاة عدد كماله والله اعلم الخامسة اللهم صل على سيدنا محمد
عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما بقدر عظمة
ذاتك في كل وقت وحين قال في كنوز الاسرار في شرح فضل هذه الصلاة انه
وجدت مقيدا عليها انها بمائة الف صلاة فتذاكرت مع بعض الاخوان
في فضلها فقلت له قيل انها بثمانمائة الف صلاة فقال لي هذا قصور وسوء ادب
لانك تقول فيها بقدر عظمة ذاتك وعظمة ذات الله سبحانه وتعالى لا نهاية
لها فيكون الثواب المرتب عليها لا يتناهى ان شاء الله فمن جعلنا لفضله
واستحسنته وانتفعنا انها من الصلوات الكوامل اه ووجد بخط شيخ شيوخنا
جنون رحمه الله تعالى ايضا ما نصه روى الازهري عن شمهروش عن النبي
صلى الله عليه وسلم مشافهة اللهم صل على سيدنا محمد عبدك في الواحدة منها
بالف الف ومن قالها عشرا وهو مصلح بين اخيه المسلم يعترفا حتى
يجمع بينهما اه السادسة اللهم صل على سيدنا محمد الحبيب المحبوب
شافي العلل ومفرج الكروب وعلى آله وصحبه وسلم قال في سعادة الدارين

هذه الصلاة مجربة لتفريج الكرب لقنيتها واجازني بها شيخي الولي المعتقد
الشيخ ابو حلاوة الغزي المتوطن ببيت المقدس اذ ذاك وهو سنة ست بعد الالف
والالف هجرية وقد شكوت له ما كان الم بي من الهم والكرب فبشرني ان تلوتها
ما شاء الله ان اتلوها فرج الله كربي وبلغني جميع امنيتي بفضله واحسانه
وبركة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بهذه الصيغة التي بقية اه منه
قال العبد الفقير محمد بن شقرون كان الله له دنيا واخرى وانا اخذ الكرب بسبب
هذه الصلاة ووجدت بي كتفا مني بعلامتي اني اشتغلت بها في بعض
الليالي فرايت بعد النوم كاني دخلت الى الروضة المشرفة على صاحبها
افضل الصلاة والسلام وجلست امام القبر الشريف وجعلت اتضرع الى
الله سبحانه وابكي واناجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينما انا في تلك
الحالة اذ نظرت عن شمالي فاذا برجل من الاشراف اخرج يده اسمه مولاي احمد
وهو بهيئة حسنة وثياب بيض متكئ على حائط الروضة المباركة وبيده شمعة
يناجي شخصا خلفه ويقول له اعط تلك الشمعة التي بيدك للفقير فانها
له ورايت خلال ذلك من العجايب بالله العظيم وله المنة فاستيقظت وبي
من الفرح ما لا يعلمه الا الله عز وجل وكثيرا ما استعملها عند الاحساس
برجوع الكرب او البلاء فارى بركتها في الحين السابعة اللهم
صل على سيدنا محمد الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي
الى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم هذه الصلاة
المباركة من الصلوات التي شاع عند الكثير من الناس ان المرة الواحدة
منها فدية من النار قال الامام ابو عبد الله سيدي محمد العياشي الدكالي ان
الواحدة منها بستمائة الف صلاة قال وذلك من خط الامام المحدث
شيخ الاسلام علامة وقته سيدي احمد بن الولي سيدي يوسف الفاسي هـ وقد ذكر
في وردة الجيوب ان صاحبها هو القطب العارف بالله ابو عبد الله سيدي محمد البكري
الصديقي نزيل مصر وانه قال من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض
صاحبها عند الله ونحوه هذا قول سيدي عبد الله الخياط الهاروشي في الفتح
المبين قال شيخنا العياشي حفظه الله وجدت مقيدا اخذت هذه الصلاة ملقنة
عن الامام الولي سيدي محمد البكري المصري رضي الله عنه قال من صلى بهذه الصلاة ولم
يدخل الجنة يقبضني بين يدي الله تعالى وكذا ذكر ذلك الصاوي في شرح
صلوات القطب الدردير وذكر عن القطب الاشهر ابي العباس التيجاني رضي

الله

الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره ان هذه الصلاة ليست من تاليف
البكري ولكنه توجه الى الله تعالى مدة طويلة ان يمنحه صلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال الطلب
مدة ثم اجاب الله دعوته واتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة
من النور الثامنة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة اهل
السموات والارضين عليه واجر يا رب لطفك الخفي في امري هذه الصلاة
وردت عن الشيخ سيدي فتح الله المصري انه اخذها عن النبي صلى الله عليه وسلم
يقظة مشافهة وان المرة الواحدة منها بسبعين الف واربعمائة منها
فداء من النار وفي شرح ابي كيفية الزروق فيه لسيدي بدر الدين الحمومي
ما نصه ومن كيفيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اللهم صل على سيدنا محمد
من خمس مرات في دبر كل فريضة ذكرها بعضهم وقال في كنز الاسرار قيل ان من
ذكرها الف مرة فرج الله كربه وقضى حاجته كائنة ما كانت قال الذي
اجازني بها وكذا من يذكر اسمه تعالى السريع العاجل بان يقول يا سريع
قال وما احسن ان يجمع بينهما اه قلت وقد جربت منها من اسرار هذه
الكيفية مع اسمه السريع بوجه تعالى مع اجابة من الله ما لا يوصف
ونظيرتها في ذلك عندي هذه الكيفية ايضا وهي اللهم صل على نبيك
الشفيع سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تفرج بها امورنا وامور
المسلمين بلطفك الخفي بالكيف فانها انفع في الكرب وحصول اللطف
في الامور لمن توجه بها بنية صادقة التاسعة اللهم صل صلاة
كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب
وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب وحسن الخواتم ويستسقى
الغمام بوجهه وعلى آله وصحبه هذه الصلاة تسمى بالتازية
نسبة لصاحبها العارف بالله سيدي ابراهيم التازي نفعنا الله به وهي من
الصلوات الكوامل ذوات الخيرات والبركات ومن المجربات المشهور
بين الناس ان من ذكرها اربعة الاف مرة واربعمائة واربعة واربعين
مرة ثم سال الله حاجته قضاها له كائنة ما كانت وهي من المجربات
لذلك بلا شك قال بعضهم ولا يكمل احد قط هذا العدد الا وانال الفرج
من الله سبحانه وعلى هذه الصيغة المذكورة ذكرها في الفتح المبين
وذكرها في خزينة الاسرار بلفظ آخر وهو اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما

تاما على سيدنا محمد تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به الحوائج وتنال به الرغائب
ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم
لك وقد نقل بعضهم عن الإمام الذي لكبي ان من داوم عليها كل يوم احدى واربعين
مرة او مائة او زيادة فرج الله همه وغمه وكشف كربه وضره ويسر امره ونور سره
واعلى قدره وحسن حاله ووسع رزقه وفتح عليه ابواب الخيرات والحسنات بالزيادة
ونفذ كلمته في المجالس بالسلامة وامنه من حوادث الدهر ونكبات الجوع والفقر
والقى له محبة في القلوب ولا يسأل من الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه وتحصل بهذه
الفوائد ان داوم عليها وهذه الصلاة كنز من الكنوز والله وقيل هي مفتاح
خزائن الله يفتح الله لمن داوم عليها من عباد الله ويوصله بها الى ما شاء الله اهـ
ثم ذكر بعده في موضع آخر وبالغ في مدحها والثناء عليها ونقل جملة اخرى من فضلها
وهي حقيقة بذلك كله العاشر اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق
نوره ورحمة للعالمين ظهوره عدد من مضى من خلقك ومن بقي ومن سعد منهم ومن
شقي صلاة تستغرق العد وتحيط بالحد صلاة لا غاية لها ولا منتهى ولا انقضاء
صلاة دائمة بدوامك وعلى آله وصحبه وسلم تسليما مثل ذلك هذه الصلاة
التي بعده قال الشيخ سيدي المهدي الفاسي في شرح الدلائل هذه الصلاة ختم بها
سيدي شيخ الاسلام عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ونفعنا به وهي احدى
الصلوات العشر ذات الخيرات والبركات التي جمعها الامام محي الدين ابن عربي في
حزبه الجيمي رضي الله عنه وهي مأثورة قال رضي الله عنه تستعمل وترتب
ما يصلى بها عشر مرات صباحا ومساء استوجب رضى الله الاكبر والامان من سخطه
وتواتر عليه الرحمة والعطف الذي من الاسواء وتسهل عليه الامور قال وهي
كذلك بلا شك وذكرها السخاوي وقال ايضا بعض معتمدي شيوخنا ان لها
فضيلة تبين ان لكل من مثلها بعض وان صلاة ... ومن الفتح الجيما الذي عن الله
الجيلاني نقلا عن شيخه العياشي قال حدثنا بعض اهل البيت قال كنت ببلاد
افريقيا فاجتمعنا مع بعض الاخيار من اصحاب الشيخ سيدي احمد بن عبد الهادي
البكالي الحسني فيه الى ان قال لي سمعت الشيخ سيدي احمد رحمه الله يقول من قال
هذه الصلاة نية مرة واحدة غفر الله له او يجازيه ذنب من الكبائر وهذا
من قوله اللهم صل على سيدنا محمد السابق للخلق نوره مع الذي بعدها في باب
الخيرات الى قوله والحمد لله على ذلك اهـ وكيفيات الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم كثيرة وفيما يليها ومنا بعدها شهيرة وفيما ذكرناه

كفاية

كفاية والحمد لله رب العالمين ثم قال الناظم رحمه الله

وترك امر بمعروف • نهي وورد المألوف

ثم بعد امرين قام بالامر بما يعرف به فيما امر به وقام بحقوق المصلح والاخ
ما نهى عنه واحسن في النداء كما تقدم والفرض والواجب متى ادى فيهما
في فعله الثواب وفي تركه العقاب وقال الذي اعني هو ما ادى تاركه والمراد
بالفرض المعروف هنا كلام الناظم الصلاة والمعنى امر الناظم ايها
الاخ في الله بالقيام بحق المعروف الذي افترضه الله عليك وهو الصلاة
بان تكون محافظا عليها في اوقاتها موجبا بشروطها واركانها وسننها
مشتملا دائما حاضر القلب فيها لانها ام العبادات واساس الخيرات
ومحل القرب والمناجات وبهذا امر الله سبحانه قال تعالى الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلاة وقال سبحانه رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي
وقال عز وجل اقم الصلاة واقام الصلاة والمقيمين الصلاة قال سيدي
ابن عباد في شرح الحكم ليكن همك اقامة الصلاة لا وجودها فما كل مصل
مقيم قال سيدي ابو العباس المرسي رضي الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون
في معرض المدح فانما جاء لمن اقام الصلاة اما بلفظ الاقامة او بمعنى
يرجع اليها ولما ذكر المصلين بالغفلة قال فويل للمصلين الذين هم
عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة فاقامتها انما هي
المؤمن صلاة فتلك منه خلق الله من صلاته صورة في ملكوته راكعة ساجدة
الى يوم القيامة وثواب ذلك لصاحب الصلاة واقامة الصلاة حفظ
حدودها الظاهرة والباطنة قال ابن عطاء الله رضي الله تعالى عنه اقامة
الصلاة حفظ حدودها الظاهرة والباطنة حفظ السر مع الله عز وجل لا يختلج
بسرك سواه وقال الامام ابو القاسم القشيري رضي الله تعالى عنه هو القيام
باركانها وسننها مع الغيبة عن شهودها برؤية من يصلى له ثم قال
رضي الله عنه بعد ذلك على قول الشيخ الصلاة طهرة القلوب من ادناس
الذنوب واستفتاح لباب الغيوب الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة
تتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها مشارق الانوار المقصود من
الصلاة انما هو تحصيل جوابها والمأمور به انما هو اقامة الصلاة
لا وجود الصلاة فان الصلاة المعتبرة انما هي صلاة الخاشعين لا صلاة الغافلين
التي لا تنهض لبلوغ هذه المقاصد السنية ولذلك كانت الصلاة ام العبادات

واساس الخيرات قال الله تعالى اقم الصلاة لذكري فاخبر ان المراد من الصلاة الذكر
وقد روي معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما فرضت الصلاة
وامر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله ولذلك كانت
قرة عين حبيب الله صلى الله عليه وسلم وفي بعض الاخبار ان العبد اذا قام
الى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة
من لدن منكبيه الى السماء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان
المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق راسه ويناديه مناد
لو يعلم المناجي من يناجي ما انفتل وان ابواب السماء تفتح للمصلي وان
الله تعالى يباهي الملائكة بصفوف المصلين وفي التوراة يا ابن آدم
لا تعجز ان تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك
وبالغيب رايت نوري وكانوا يرون ان تلك الرقة والبكاء وذلك الفتوح
الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب من القلب وقال محمد بن علي الترمذي
رضي الله تعالى عنه دعا الله تعالى الموحدين الى هذه الصلوات الخمس
رحمة منه عليهم وهيأ لهم فيها الوان الضيافات لينال العبد من كل
قول وفعل شيئا من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة
وهي عرس الموحدين هيأها رب العالمين لاهل رحمته في كل يوم خمس
مرات حتى لا يبقى عليهم دنس ولا غبار وقال ابو طالب المكي حدثت
ان المومن اذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه
لانه تاهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه
وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه الكريم فاذا قال الله اكبر
اطلع الملك على قلبه فاذا كان ليس في قلبه اكبر من الله فيقول الملك
صدقت الله اكبر في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق
بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض و
ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام
الى الوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب نقطة العسل
فاذا كبر اطلع الملك على قلبه فاذا كان شيء في قلبه اكبر من الله عز و
فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك اكبر كما تقول قال فيثور من قلبه
دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه عن الملكوت وتلتقم
الشياطين قلبه فلا تزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس اليه وتزين له حتى

ينصرف

ينصرف من صلاته لا يعقل ما كان فيه منها ولله در القائل شعر
• ويحضر في كل المواقف عاريا • بلا سترها مستخفيا فيه الجما •
• ومن بات يصلي الخمس والنفل هكذا • فليس له دين ولو بلغ النجما •
وقال الشيخ الحبر ابو العباس السبتي رضي الله عنه شعر
• ولم ير منك ما لدى من صلاته • سوى رؤية المحراب والخفض والرفع •
• يرى شخصه دون الحبيب قائما • وهمته للسوق والخد والدمع •
وقال ابو بكر رضي الله عنه وارضاه شعر
• ركعوا الانامل للصلاة وكبروا • فيه الخشوع نحورهم يتيم •
• وبدت جوانب دمعهم مسبلة • فوق الخدود والوقت مواته •
• هذي صلاة الخاشعين وعند ... • تالي القراءة واللسان يكلم •
لكن ذكر العلامة المحقق ابو عبد الله سيدي محمد بن احمد بن فيس في شرح الاربعين
النووية ما نصه قد علم ان الله سبحانه امر باقامة الصلاة في غير ما اية واختلف
الناس في تفسير الاقامة والاقرب الى الصواب ان تفسير الاقامة بما يشمل كل ما له
دخل في كمالها والاقبال فيقال اقامتها المحافظة عليها او قاتها والتوفية بشروطها
واركانها وسننها ومكملاتها الحضور فيها لانه وجه كان والمح ينتفع منها ويعم
اجزاءها ولا يفتقر مع ذلك الغيبة عن الاغيار وحفظ السر بحيث لا يختلج فيه السوى
وان قال ذلك ابن عطاء الله والقشيري لان الاقامة بهذا المعنى لا تتاتى الا
لاكابر الخاصة اهل المشاهدة انتهى الى ان قال الترجيح ومما نقطع به ان تشاء
النفي ان ليس خاصا بهم والا لم يندرج فيه من الامة المحمدية الا اقل قليل ومما
لا شبهة فيه ان تدبر ما يقرأه المصلي في صلاته ضرب من الحضور وان اهله من
اعيان الامة المرحومين في شأن النفي ان مع ان اهله قد يصلوا الى ان لا يختلج في سرهم
السوى قال سيدي زروق قال الشيخ ابو يحيى بن العربي ولقد رايت من
يحافظ عليها الا قليلا الا حصيها فاما من يحكمها بالخشوع والاقبال فيما
استوى منهم خمسة وقال سيدي ابن عباد في الرسائل الكبرى في اثناء كلام
واعلم ان هذا النوع من التضييق في تفسير الايات والاحاديث لا احبه
كما لا احب التضييق الذي ضيقه ابو حامد حيث تكلم على الخشوع وحضور
القلب في الصلاة وراى الصلاة من لم يحضر قلبه فيها فاسدة غير مجزئة
لاعتبار موجبة لها في الصلاة والبوار وان الفقهاء انما قصدوا مع
الناس مصالحهم الدنيوية وان مصالحهم الاخروية ليس الفكر فيها من

فانهم وهذا شيء لا اجتهد بان الناس فيهم اغبياء والبله وعوام ونحوهم والتكليف
شامل لجميعهم ودايرة الرحمة دايرة عليهم وكل واحد ياخذ منها بحظه واجر ا
على حسب حاله ومقامه والقط لا يقدر على حمل الجمل بل الصواب عندي ان
يقال ان من اتى بالصلاة على الوجه الذي ذكره الفقهاء فقد خرج عن الواجب
عليه وكان له ثواب مثله ومن اتى بالصلاة كذلك واقام لها ما اشترطه
الامام ابو حامد فهي ايضا مجزية وهو مثاب عليها وعلى ما اعتمد فيها من
المراقبة والحضور اضعافا مضاعفة ولو كلف الناس كلهم ان يصلوا على النحو
الذي ذكره بعض علماء الباطن لكثرهم بل لا يوجد منهم واحد من الف وكلام
الى سابق ولذا قالوا من يحمل له الفقهاء كطالب بكمال الوجاء وبالله تعالى
التوفيق وبه نستعين واعلم انه ورد في فضل الصلاة والمحافظة عليها
والتحذير من تركها وتضييعها ايات واحاديث كثيرة قال الله تعالى
حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى الاية والمراد داوموا على
الصلوات المكتوبات بمراقبتها وحدودها واتمام اركانها وخص الوسطى
بالذكر دلالة على فضلها وقال تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون
اولئك هم الوارثون الاية اولئك في جنات مكرمون وقال تعالى واقم الصلاة
طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات قيل الطرف الاول
الصبح والثاني الظهر والعصر والزلف المغرب والعشاء قاله مجاهد وقال تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الاية في القلشاني قال
بعض العلماء في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة انه خص الصبر لانه لا تتم
الصلاة كاملة الا به واعاد الضمير في قوله تعالى وانها لكبيرة على الصلاة لانها
ارفع منزلة من الصبر لانها تجمع ضروبا من الصبر اذ هي حبس الحواس على
العبادة وحبس الفكر والابكار على الطاعة ولهذا قال تعالى وانها لكبيرة
الا على الخاشعين فالصلاة التي تجب على غير الخاشع مشقة باحكامها وليست
في حكمها بدليل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فقلما ترى صلاة غير
الخاشع تنهى عن الفحشاء والمنكر ه وقال تعالى فخلف من بعدهم خلف
اضاعوا الصلاة الاية قال مجاهد وقتادة اضاعوا الصلاة اي تركوا الصلاة المعروفة
وقال ابن مسعود اخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو ان لا يصلي الظهر
حتى ياتي العصر ولا العصر حتى تغيب الشمس والغي نهر في جهنم بعيد قعره
خبيث طعمه وقال ابن عباس هو واد في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ بالله منه

ح

حرة وقال تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الاية سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فقال اضاعة الوقت وقال قتادة
ساهون عنها لا يبالي صلى اولم يصل وقال مجاهد غافلون عنها متهاونون
بها وقال الحسن هو الذي ان صلاها صلاها رياء وان فاتته لا يندم عليها
وقال ابو العالية لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها وسجودها
وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما
بينهن اذا اجتنبت الكبائر وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس
يمحو الله بهن الخطايا وقال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس
كمثل نهر غمر بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى
من درنه شيء قالوا لا قال فكذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله
بهن الخطايا وقال صلى الله عليه وسلم ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة
فيحسن خضوعها وخشوعها وركوعها الا كانت كفارة لما قبلها من
الذنوب ما لم تؤت كبيرة وفي الموطا عن يحيى بن سعيد قال بلغني
ان اول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة فان قبلت نظر فيما بقي من عمله
وان لم تقبل منه لم ينظر في شيء من عمله قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد
وقد روي هذا الحديث مسندا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح ثم
اسند ابو عمر عن انس بن حكيم قال قال لي ابو هريرة اذا اتيت اهل مصرك
فاخبرهم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يحاسب به العبد المسلم
الصلاة المكتوبة فان اتمها والا قيل انظروا هل له من تطوع فان كان له تطوع
اكملت الفريضة من تطوعه ثم يفعل بسائر الاعمال المفروضة مثل ذلك انتهى
وروى الامام احمد عن ابن عمرو بن العاص من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة
يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا ولا نجاة وكان يوم القيامة
مع فرعون وهامان وقارون وابي بن خلف قال العيشني وخص هؤلاء
الاربعة بالذكر لانهم رؤوس الكفر فمن ترك الصلاة لتجارته فهو مع ابي بن
خلف ومن تركها لملكه فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون
ومن شغله عنها رياسته فهو مع هامان وفي الحديث قال صلى الله عليه
وسلم خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن
شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يات

بعذابه وليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة وقال صلى
الله عليه وسلم علم الايمان الصلاة وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحو
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة
الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وقال صلى
الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئا احب اليه من
الصلاة ولو كان شيء احب اليه منها ما تعبد بها ملائكته فمنهم راكع وساجد
وقائم وقال صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة مر اهلك بالصلاة فان الله يأتيك
بالرزق من حيث لا تحتسب وانشدوا

الا ان الصلاة الخير والفضل اجمع … لان بها الارباب لله تخضع
واول فرض من شريعة ديننا … واخر ما يبقى اذا الدين يرفع
فمن قام للتكبير لاقته رحمة … وكان كعبد باب مولاه يقرع
وصار لرب العرش حين صلاته … نجيا فيا طوبى له حين يخشع

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة
وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت رواه البخاري ومسلم وقالت
عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا
حضرت الصلاة كانه لم يعرفنا ولم نعرفه قال الغزنوي فيا ايها الطامع في
ثواب الجنان الخاطب من ربه الحور الحسان حافظ على صلواتك وجمعها
بالنوافل تنل في غدك اعلى المراتب والمنازل في غد قال عليه الصلاة والسلام
ما من مسلم يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه خطيئة وروى
ابن حبان في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر ان العبد اذا قام يصلي
اتي بذنوبه فوضعت على راسه او على عاتقه فكلما ركع او سجد تساقطت
حتى لا يبقى منها شيء ان شاء الله ه وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي ويقول يا ويلي امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فابيت فلي النار فالصلاة من اجل ما يتقرب الله به عباده ويهديه اليهم
وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما اوتي عبد في الدنيا
خير امن ان يؤذن له في ركعتين يصليهما فيقيمهما فيجعل الله الخلوة معه
والانس اليه والتجلي السنية له والانقطاع اليه وفيهما ترفع الحجب عنها

فترجع

تلويع والاستار وتنجلي فيهما حقايق الاسرار وتشرق فيهما اشوارق الانوار
وفيهما تكون المناجات والمصافات وهي صلة بين العبد وربه ولذلك
قال عليه الصلاة والسلام الصلاة نور وقال لا يزال الله مقبلا على العبد
بوجهه ما دام في صلاته وان الله لينتصب الى احدكم وجهه ما دام مقبلا عليه
وفي الحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ه من شرح الاربعين
للشيخ التلمساني رحمه الله روى الطبراني مرفوعا اذا حافظ العبد على
صلاته فاتم وضوءها وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك
الله كما حفظتني فيصعد بها الى السماء ولها نور حتى تنتهي الى الله
تعالى لتشفع لصاحبها وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصلاة من مرضاة للرب
وحب الملائكة وسنة الانبياء ونور المعرفة واصل الايمان واجابة الدعاء
وقبول الاعمال وبركة في الرزق وسلاح على الاعداء وكراهية للشيطان
وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج في قبره الى يوم القيامة فاذا
كانت القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه وتاجا على راسه ولباسا على بدنه
ونورا يسعى بين يديه وسترا بينه وبين النار وحجة للمومنين بين يدي رب
العالمين وثقلا في الميزان وجوازا على الصراط ومفتاحا للجنة لان الصلاة
تسبيح وتحميد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء وان افضل الاعمال كلها
الصلاة لوقتها ه ذكره ابو الليث السمرقندي واخرج ابن ابي حاتم وغيره
عن ابن عباس مرفوعا من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد
بها من الله الا بعدا قال المناوي لان صلاته وبال عليه وهذه الافة غالبة على
غالب الناس ه واخرج ايضا عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله تعالى ان الصلاة تنهى عن
الفحشاء والمنكر قال من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له
وعن ابن مسعود مرفوعا لا صلاة لمن لا يطيع الصلاة وطاعة الصلاة ان
تنهى عن الفحشاء والمنكر وذكر الثعلبي في قوله تعالى ان الصلاة تنهى
عن انس رضي الله عنه ان رجلا كان يصلي الخمس مع النبي صلى الله عليه
وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ارتكبه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسن حاله فقال
الم اقل لكم ان صلاته تنهاه يوما واخرج الامام احمد عن ابي هريرة قال جاء

رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان فلانا يصلي بالليل فاذا اصبح سرق فقال
انه سينهاه ما تقول وحكي انه لما دخل الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله
عنه الاسكندرية اجتمع عليه علماؤها وكلهم قصد الاختبار فقال لهم هل صليتم
قط فقالوا وهل يترك الصلاة منا احد فقال لهم ان الله تعالى يقول ان الانسان
خلق هلوعا الاية فهل انتم كذلك اذا مسكم الشر لا تجزعون واذا مسكم الخير
لا تمنعون فسكتوا فقال لهم ما صليتم قط اما سمعتم قوله تعالى ان الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر فكل صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر
ليست بصلاة فتابوا الى الله جميعا وقالوا والله يا سيدي ما جئنا الا لا
لنختبرك ونتعنت عليك ونكذبك بكل الادلة فقال لهم الان بلغ مقصودكم و
والاولياء معيركم والمنكر وما تحرمون والله الموفق بمنه وقال ابو العالية
في قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الصلاة فيها ثلاث
خلال الاخلاص والخشية وذكر الله فكل صلاة ليس فيها من هذه الخلال
فليست بصلاة فالاخلاص يامره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكر
وذكر الله القرآن يامره وينهاه وفي الترغيب والترهيب عن النبي
صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى انما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها
لعظمتي ولم يستطل على خلقي ولم يبت مصرا على معصيتي وقطع نهاره في ذكري
ورحم الارملة والمسكين وابن السبيل والمصاب ذلك نوره كنور الشمس اكلؤه
بعزتي واستحفظه ملائكتي واجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما ومثله
في خلقه كمثل الفردوس والصلاة تفتح ابواب السماء ويكون اجرها نورا وتشفع
لصاحبها يوم القيامة وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة وقال
صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر
رواه الترمذي وقال حسن صحيح وخرج محمد بن نصر المروزي من حديث عبادة
بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تترك الصلاة متعمدا فمن
تركها متعمدا فقد خرج من الملة وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه
وسلم راس الامر الاسلام وراس الاسلام وعموده الصلاة فجعل الصلاة
كعمود الفسطاط الذي لا يقوم ولا يثبت الا به ولو سقط العمود لسقط الفسطاط
ولم ينتفع به دونه وقال سيدنا عمر رضي الله عنه لا حظ في الاسلام لمن ترك
الصلاة وقال ابن شقيق رضي الله عنه كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر الا الصلاة وقال ايوب السختياني ترك
الصلاة كفر لا يختلف فيه وقال ابن عباس رضي الله عنهما عرى الاسلام
وقواعد الدين ثلاثة عليهن اسس الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والصلاة
وصوم رمضان من ترك منهن واحدة فهو بها كافر حلال الدم وفي
فتح الباري قال القفال في فتاويه من ترك الصلاة فقد جنى على جميع المسلمين لان
المصلي يقول اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولا بد ان يقول في التشهد
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فيكون مقصرا في الخدمة لله وفي حق
رسوله وفي حق نفسه وفي حق كافة المسلمين ولذلك عظمت المعصية
بتركها واستنبط منه السبكي ان في الصلاة حقا للعباد مع حق الله وان
من تركها اخل بحق جميع المؤمنين من مضى ومن يجيء الى يوم القيامة لذكره
في قوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اه وفائدة قال العلماء
الحكمة في مشروعية الصلاة التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى والتنعم
بذكره ومناجاته واستعمال جميع الجوارح في خدمته وفي فتح
فوق السموات ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع وافتراض مثنى
فرضت والصحيح انها فرضت قبل الهجرة بسنة قاله ابن مسعود وحكى ابن
حزم الاجماع عليه وجزم به النووي والمشهور انها فرضت كما هي وعن
عائشة انها فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في الحضر واول صلاة صلاها
جبريل برسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر ولذلك تسمى الاولى
قال العلامة ابن زكري في شرح الصلاة المشيشية تفضل الله بفرضها ولطفها
حتى جعلت في قالب الايمان والتعلق وجعلت من الدين كالرأس من الجسد
ناسب ان يطلعها صلى الله عليه وسلم في قاب قوسين من غير واسطة
تمييزا لها عن غيرها من التي افترضها من الحضرة القدسية واعظم
الطرق الرحمانية وانفس الذخائر الملكوتية العرشية ولعظمها تكررت من
المكلف في كل يوم وليلة بخلاف غيرها من التي ايضا قال الشيخ عبد الرزاق
القشاني وفيها من لطائف الاقتباس ومطابقة القياس ما ينبهر العاقل
ولو علم بها ورغبته الخوض فيها وشوقه اليها اذ اداء الصلاة انما
بني على النبي صلى الله عليه وسلم وامته في وقت مسراه فالمصلي حكمه حكم
مسرى له صلى الله عليه وسلم فطهارة المصلي واسباغ وضوءه وتهيئته للوقوف
بين يدي ربه هو حكمه من شرح صدره صلى الله عليه وسلم حين شق جبريل عليه

السلام على صدره صلى الله عليه وسلم وغسله بماء زمزم وملؤه حكمة وايمانا كما صح
في الخبر وسعي المصلي من بيته الى المسجد هو حكمة مسيره صلى الله عليه وسلم من مكة
الى بيت المقدس وخلع المصلي نعله بباب المسجد وصلاته ركعتي تحية المسجد هو
حكمة من صلاته صلى الله عليه وسلم في مسجد بيت المقدس حين دخله كما صح في الخبر
ورمي المصلي باسباب الدنيا من خلفه وطرده اشتغالها من قلبه وتعلق قلبه بحضرة
ربه هو حكمة من ارتقاء المصلي صلى الله عليه وسلم من عالم الملك الى عالم الملكوت
وقراءة المصلي وتنقله في ركوعه وسجوده هو حكمة من اختراقه صلى الله عليه وسلم
السبع الطباق بما جاوزه وما يفتح به على المصلي حال صلاته من جميع اسرار وشوارق
انوار هو حكمة ما شاهده صلى الله عليه وسلم من العجائب بين اطباق السموات
ورفع همة المصلي عن الوقوف مع شيء مما فتح به عليه وتعلق قلبه بربه
هو حكمة من عدم التفاته صلى الله عليه وسلم الى شيء من هواتف الكون
وعجائب الملكوت حتى انتهى برا انه بين يدي ربه وقيام المصلي وقعوده
وركوعه وسجوده وفي اثناء ذلك من ذكر واستغفار وصلاته على النبي صلى الله
عليه وسلم هو حكمة من عبادة اجناس الملائكة ومدة اشتغال المصلي بصلاته
من تكبيرة الاحرام الى الجلسة الوسطى هو حكمة من ترقيه صلى الله عليه وسلم
من عالم الملكوت الى عالم العزة وجلوس المصلي للتشهد هو حكمة من
قيامه صلى الله عليه وسلم مقام قاب قوسين او ادنى وتشهد المصلي هو
حكمة من مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما
اوقفه الله تعالى حيث شاء حياه صلى الله عليه وسلم بقوله التحيات لله
الى قوله الصلوات ثم رد الله عليه بقوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته فطلب النبي صلى الله عليه وسلم ان يؤمنه هو واهل الصلاح من امته
بقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلما سمع الملك مناجاة النبي
صلى الله عليه وسلم مع ربه شهد له سبحانه بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم
بالرسالة فامن الله الجميع النبي صلى الله عليه وسلم واهل الصلاح من امته
والملك بقوله السلام عليكم فبقيت سنة المصلين الى يوم الدين ورجوع
المصلي الى تمام صلاته بعد التشهد الاول هو حكمة من مراجعته صلى الله
عليه وسلم الى ربه يسأله التخفيف وساعتهم فذكرها عند الامر بها ان
جمع فيها انواع ما تعبد به فيها ذكر الله وتلاوة كتاب الله والدعاء
له وتسبيح الله وتكبيره وفيها منع الكلام بغير ذكر الله وهي ساعة من

ساعات

ساعات الانس بالله وفيها رفض ما سوى الله ومجاهدة الشيطان لئلا يفسد
عليه عمله لمراته وهي ساعة من ساعات جهاد العدو في سبيل الله ومنع
الاكل والشرب وهي ساعة من ساعات تطوع الصوم له ونصب الرجل
والوجهة لكعبة الله وهي ساعة من ساعات الطواف ببيت الله ووقوف
العبد في صلاته لمناجاة الله وهي ساعة من ساعات ومزيد بعرفة لدعاء
الخير وطلب ما عند الله وفيها الدعاء للمسلمين وهو نوع من واجب
الصدقات على اهل الحاجات من عباد الله انتهى الى اخ منه وقال
شيخ شيوخنا جسوس في اختصار حاشيته التي على نكتة قيل الصلاة جامعة
للعبادات وزائدة عليها لانها متوقفة على بذل ما هو جار مجرى الزكاة فيما
يستر به العورة ويتطهر به من الماء وفيها امساك عن الاطيبات جار مجرى
الصيام وامساك في مكان مخصوص جار مجرى الاعتكاف وتوجه الى الكعبة جار مجرى
الحج ومجاهدة النفس في دفعة الشيطان جار مجرى الجهاد وذكر الله
ورسوله جار مجرى الشهادتين وفيها زائد على العبادات ما اختصت
به من وجوب قراءة القرآن والكمال الخشوع والسجود وغير ذلك انتهى
ومن روضة الاخبار وانما فرض هذه الصلاة في ليلة المعراج لانها افضل الاوقات
واشرف الحالات واعز المناجات والصلاة بعد الايمان افضل الطاعات
وفي التعبد احسن الهيئات واما الحكمة في هيئتها فلانه صلى الله عليه وسلم
لما اسري به شاهد ملكوت السموات بانيها وعبادات سكانها من الملائكة
فاستكثر عليه الصلاة والسلام عبادة ذلك منه فجمع الله له الصلوات
الخمس عبادات الملائكة كلها لان منهم من هو قائم ومنهم من هو راكع ومنهم
من هو ساجد وجالس ومسبح الى غير ذلك فاعطى الله تعالى اجور عبادات
اهل السموات لمن اذا اقاموا الصلوات الخمس واما الحكمة في ان جعلها
الله مثنى وثلاث ورباع فلانه عليه الصلاة والسلام شاهد هياكل الملائكة
تلك الليلة المعراج اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع فجمع الله ذلك في صور انوار
الصلوات عند عروج ملائكة الاعمال بارواح العبادات لان كل عبادة تتمثل
في هياكل النورانية وصورها كما ورد ذلك بل تخلق الملائكة من الاعمال الصالحة
كما ورد في الاحاديث وكذلك جعل الله اجنحة الملائكة على ثلاثة [illegible]
فجعل اجنحتها التي تطير بها الى الله تعالى موافقة لاجنحة ليستغني والله
ذكره في روح [illegible] عند منزله تعالى ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

وقول الناظم وورد المألوف هو بالجر عطف على جزءا والمألوف
المعتاد الذي ألفته والمعنى كما أمرك بالمحافظة على الصلاة التي وقتها
والقيام بها كذلك أمرك بالمحافظة أيضا على أورادك المعتادة عندك
من صلاة نافلة وذكر ودعاء وتلاوة قرآن وصلاة على النبي صلى الله عليه
وسلم وغير ذلك إذ المحافظة على الأوراد تبلغ إلى الحب والورد لغة
هو الشرب قال تعالى وبئس الورد المورود وفي الاصطلاح هو ما يرتبه العبد
على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار وأنواع العبادات وقال
في بغية المستفيد وحقيقة الأوراد عقود وعهود أخذها الله تعالى على
عباده بواسطة المشايخ فمن قبل المشايخ وحافظ على العقود ووفى
بالعهود كان له خير الدارين ومن تهاون بالمشايخ ولم يف بالعقود
والعهود كان ذلك سبب الزيغ وخوف سيئته قال الله تعالى يا أيها
الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال تعالى كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وهذه الآيات
الثلاث هي أصول الأوراد من لدن زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى
يومنا هذا اه وقال شيخنا في الكوكب الوقاد وأما معنى الورد فإنه
مشتق من الورود لأن عباد الله يردون إلى حضرة القدس ومحل الأنس
وسكنى جنات الفردوس وفي بغية النفوس بأورادهم التي كانوا مقيمين عليها
في دار الدنيا ملازمين لها وهي مأخوذة من المورد الذي هو محل السقي
فإن السالك يلازم الموارد ناتيها من كل ناحية كالظماء مشتاقة إليها
كما يلازم الصلحاء الأوراد ويسقون بسببها من شراب المحبة ما يغيبون
به عن المكونات في مشاهدة المكون أو هي التي تسرع بهم إلى مقعد
صدق عند مليك مقتدر وفي التمثيل أسرع من واردات القطا وفي
الحكم العطائية لا تزهدن في الأوراد فإن على قدر الأوراد تكون الواردات
والواردات هي العوارف الربانية التي تأتي أرباب القلوب بالعلوم والمعرفة
وأسرار الغيوب وفي الخبر من كان على ورد من صلاة أو صوم فمنعه منه مرض
أو نوم أو سفر كان له الأجر تاما أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي ذر
والحاكم وصححه وابن حبان اه وقال سيدي ابن عباد على قول الحكم لا يستحقر
الورد إلا جهول في الورد عبارة عما يقع بكسب العبد من عبادة ظاهرة
أو باطنة والوارد هو الذي يرد على باطن العبد من لطائف وأنوار فيستحق

بما

بها هداه ويستنير بها قلبه وسره فالورد ما من العبد لله تعالى من معاملة
وعبودية والوارد ما من الحق سبحانه للعبد من لطف وكرامة والورد أحق
ما يعتني به العبد وفي إحيائه من الوارد لوجهين أحدهما أن الورد يختص
بهذه الدار لا يبقى إلا فيها فهو منقطع بانقطاعها والوارد يبقى بعدها فينبغي
للعبد أن يستكثر من الأوراد قبل فوات نفعها فلا يمكنه خلف ما فات منها
والثاني أن الورد هو حق الحق منك والوارد هو حظك منه وقيامك بحقوقه
عليك أولى وأليق بالعبودية من طلب حظوظك ووقوفك معها فإذا ثبتت
مزية الورد على الوارد باعتبار العبد كان استغفاره من تعلقه أجهل
وكان شيخنا جعفر الأثر نقل كلاما من لطائف المنن يتعلق بهذه الحكم قال عقبه
وفي كلامه رحمه الله تعالى تنبيه على تأكد أمر الأوراد وعظم موقعها من
الدين وأن مراعاتها من أحسن سمات العارفين وقد رؤي الجنيد رضي
الله عنه وفي يده سبحة فقيل له أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة فقال نعم
سبب وصلنا به إلى ما وصلنا لا أتركه أبدا وكان يدخل كل يوم حانوته
ويسبل الستر ويصلي أربعمائة ركعة ثم يعود إلى بيته ورؤي بعد وفاته
في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت تلك الإشارات وفنيت تلك
العبارات وأبيدت تلك الرسوم وغابت تلك العلوم وما نفعنا إلا ركعات كنا
نركعها في السحر اه وفي قوت القلوب ومداومة الأوراد من أخلاق المؤمنين
وطرائق العابدين وهي مزيد الإيمان وعلامة الإيقان وسئلت
عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان عمله ديمة وكان إذا عمل عملا أتقنه وفي الخبر المشهور اكلفوا
من الأعمال ما تطيقون فإن الله عز وجل لا يمل حتى تملوا وفي الحديث
الآخر أحب الأعمال إلى الله عز وجل ما دووم عليه وإن قل وقد روينا
في خبر من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى
وقال في الإحياء في باب فضيلة الأوراد وبيان أن المواظبة عليها هي
الطريق إلى الله تعالى ما نصه اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا
نجاة إلا في لقاء الله تعالى وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبا لله
تعالى وعارفا به سبحانه وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب
والمواظبة عليه وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله
وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بدوام

الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضروري وكل ذلك لا
يتم الا باستغراق اوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس
لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة
على الذكر والفكر بل اذا ردت الى نمط واحد اظهرت الملال والاستثقال
وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من
فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم
باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة
مختلفة فالذكر والفكر ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات او اكثرها فان النفس
بطبعها مائلة الى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر اوقاته الى تدبيرات الدنيا
وشهواتها المباحة مثلا والشطر الاخر الى العبادات رجح جانب الميل الى الدنيا
لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما
مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا ويصفو في طلبها القلب
ويتجرد واما الرد الى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب فيه وحضوره الا
في بعض الاوقات فمن اراد ان يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في
الطاعة ومن اراد ان ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب
في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره مخطر ولكن الرجاء
غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله ان يغفر له بجوده وكرمه
فهذه امور انكشفت للناظرين بنور البصيرة فان كنت لست من اهله فانظر الى
خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال تعالى لاقرب عباده
اليه وارفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه
تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا
طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل
فسبحه وادبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل
فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك
في النهار سبحا طويلا وقال تعالى ومن اناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى
وقال تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن
السيئات ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبم وصفهم فقال تعالى
امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن

المضاجع

المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال
سبحانه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك ان الطريق الى الله
تعالى مراقبة الاوقات وعمارتها بالاوراد على سبيل الدوام ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم احب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة
لذكر الله تعالى ثم بين رحمه الله اعداد الاوراد وترتيبها وجعل اوراد
النهار سبعة واوراد الليل اربعة هـ **فائدة** قال العلامة المحقق الهرجي
سيدي احمد بن عجيبة رضي الله عنه في شرح الحكم الورد ينقسم على ثلاثة اقسام
ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد اهل السلوك من السائرين
وورد اهل الوصول من العارفين **فاما** ورد المجتهدين فهو استغراق
الاوقات في انواع الطاعات وعبادتهم بين ركوع ودعاء وصلاة وصيام وقد
ذكره في الاحياء والقوت اوراد النهار واوراد الليل وعين لكل وقت وردا
معلوما واما ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغب
وترك العلائق والعوائق وتطهير القلوب من المساوي والعيوب وتحليتها
بالفضائل بعد تخليتها من الرذائل وعبادتهم ذكر واحد وهو ما يعينه
له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب **واما** ورد
الواصلين فهو اسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة او نظرة
مع العكوف في الحضرة هـ **تنبيه** حملنا الورد اولا على المعنى
الاعم الشامل للصلاة النافلة والذكر والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وهو يحتمل امرين احدهما ان يكون
المراد به هنا الورد الذي يرتبه العبد على نفسه بواسطة المشايخ
بحيث اخذه عن الشيخ والتزم القيام به وهذا كالذي قبله من اوراد
السلف مما التزم ايضا بالالتزام والعهود والنذر كما في الكوكب الوقاد
لشيخنا سيدي المختار الكنتي وقد سئل رضي الله عنه عمن فاته وقت
الورد هل يقضيه ام لا فاجاب بانه تجب عليه اعادته اذ هو حكم
النبي بفعله لانه عليه الصلاة والسلام كان اذا عمل عملا اداومه وقال
خير العمل ما كان ديمة ولو قل هـ **والثاني** ان يكون المراد بالورد
خصوص النوافل التي ابتدأها على النبي ايضا كصلاة الضحى واربع ركعات

قبل الظهر واربع بعدها واربع قبل العصر وركعتين او ست ركعات بعد
المغرب وبعد العشاء وغير ذلك فيكون الناظم حث اولا على المحافظة
على الفرائض لانها راس مال العبد وثانيا على اتباعها بالنوافل لانها
ربحه وقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما
تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب
الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي
يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سالني لاعطينه
وان استعاذني لاعيذنه قال العلماء ومعنى كنت سمعه وبصره الخ
هو على حذف مضاف اي كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه
وحافظ بصره فلا ينظر الا ما يحل ابصاره وحافظ يده فلا يبطش بها فيما لا يحل
وحافظ رجله فلا يمشي بها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا او ندبا او
اباحة فالمراد ان من صح باته كلها لله وبالنوافل يقتضي شهوة النفس
فهو كناية عن غاية الحفظ والتولي فلا يكله الى نفسه طرفة عين والله
الموفق وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اوصاني خليلي صلى الله عليه
وسلم بثلاث بصيام ثلاثة ايام من كل شهر وركعتي الضحى وان اوتر قبل ان
ارقد رواه مسلم واخرج الترمذي وابن ماجه عنه ايضا رضي الله عنه مرفوعا
من حافظ على شفعة الضحى غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر
وفي حديث سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه مرفوعا من صلى الضحى
ركعتين ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة
ورفع له مائتي درجة وفي جمع الوسائل لابن سلطان جاء في حديث
انس مرفوعا من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا
كتب من القانتين ومن صلى ستا كفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من
العابدين ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة وفي اسناده
ضعف لكن له شواهد من حديث ابي الدرداء وابي ذر لكن في اسنادها ضعف
ايضا قلت لكن يتقوى بعضه ببعض مع ان الحديث الضعيف يعمل به
في فضائل الاعمال هـ واخرج ابو داود والنسائي وغيرهما مرفوعا من
حافظ على اربع ركعات قبل الظهر واربع بعدها حرمه الله على النار
وفي الاحياء عن مكحول رضي الله عنه قال من صلى اربع ركعات قبل الظهر

يعني

يعني اول ركعة بلا م الفجر ان وايد الغرس وكل الله به ثلاثين ملكا يستغفرون له
وروى الطبراني من حديث مرفوعا من صلى اربع ركعات قبل العصر حرم الله بدنه على
النار واخرج ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رحم الله امرءا صلى قبل العصر اربعا وفي رواية لابي
نعيم قال صلى الله عليه وسلم من صلى قبل العصر اربع ركعات غفر الله له
عز وجل مغفرة عزما وروى ابن ماجه من حديث مرفوعا من صلى ست ركعات بعد المغرب
لم يتكلم بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة وفي رواية من صلى
بعد المغرب ركعتين قبل ان يتكلم رفعت صلاته في عليين واما بعد العشاء
فينبغي ان يصلي العبد ثلاث عشرة ركعة في اخرهن الوتر فانه اكثر ما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بعد من الليل قال في الاحياء والاكياس
ياخذون اوقاتهم من اول الليل والاقوياء من اخره والحزم التقديم فانه
ربما لا يستيقظ او يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فاخر
الليل افضل والله سبحانه يوفقنا لطاعته ويتداركنا برحمته في امين
ثم قال الناظم رحمه الله

واعمل اخي بسنة المختار ... وذاك نهج السادات الاخيار

السنة في اللغة السيرة والطريقة وفي الشرع ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم
وداوم عليه واظهره في الجماعة ولم يدل دليل على وجوبه وهذه هي السنة
المقابلة للفرض وغيره وليست مرادة هنا بل المراد بالسنة هنا ما اتى به
صلى الله عليه وسلم من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة
والمباحة والمختار صفة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختاره من
جميع خلقه وقوله فذاك الاشارة الى العمل بالسنة والنهج الطريق
الواضح كالمنهج والمنهاج كما في القاموس والسادات جمع سيد كما تقدم
والاخيار نعت للسادات جمع خير مخفف من خير بالتشديد كالمتقين
بالخير وهو الاسم الحسن والمعنى اعمل ايها الاخ في الله بسنة النبي
صلى الله عليه وسلم وتمسك بها واقتد به واهتد بهديه فان العمل
بسنته صلى الله عليه وسلم هو طريق السادات الاخيار من العلماء والصلحاء
الابرار قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية اي اقتدوا
بسنتي واهتدوا بهديي وقال تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله ويسلموا تسليما

وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة قال الحكيم الترمذي الاسوة
في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال
سهل بن عبد الله التستري في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان
الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وقد روى ابو داود والترمذي وقال حديث حسن عن ابي
نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول
الله كانها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
وان تامر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم
ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في رواية وكل
ضلالة في النار وفي الحديث الصحيح عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عنه عليه الصلاة والسلام قال لا الفين احدكم متكئا على
اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما
وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها
قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنزه عنه قوم
فبلغ ذلك فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء
اصنعه فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروى الديلمي وغيره
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرءان صعب مستصعب على من كرهه وهو
الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرءان ومن تهاون
بالقرءان وحديثي فقد خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي
ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرءان وفي الحديث
ايضا من استن بسنتي فهو مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وفي
حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان احسن الحديث
كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن الحسن
البصري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم عمل قليل في سنة خير من عمل
كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم كما في الشفا ان الله يدخل العبد
الجنة بالسنة تمسك بها وروى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة المتمسك

بسنتي

بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وفي حديث بلال بن الحارث
انه صلى الله عليه وسلم قال له من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي كان
له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن
ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها
لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيئا وقد تقدم لنا حديث افتراق امتي
على اثنتين وسبعين فرقة وفي الشفا مطولا عن انس رضي الله عنه قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قدرت ان تمسي وتصبح ليس في قلبك
غش لاحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني
ومن احبني كان معي في الجنة قال القاضي ابو الفضل في الشفاء رضي
الله عنه ومخالفة امره وتبديل سنته صلى الله عليه وسلم ضلال وبدعة
متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى ومن
يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى
الاية ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا اسنادها لما ذكر عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث
في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فا
فلاناديهم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك وغيروا فاقول فسحقا
فسحقا فسحقا وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني وقال صلى الله عليه وسلم من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو
رد وقال صلى الله عليه وسلم وجيء بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال
ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم
فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية وقال عليه
السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست
تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني
اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ ه تنبيه قوله فذاك نهج السادات
الاخيار هو اشارة الى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين
والائمة المجتهدين والعلماء العاملين من اتباع سنته والاقتداء بهديه
وسيرته صلى الله عليه وسلم وفي الموطا عن ابن شهاب عن رجل من
ءال خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمان انا نجد

صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي
ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة
الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق بكتاب الله واستكمال لطاعة الله
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من
خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها
واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا
ومن ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي رواه مسلم حين صلى بذي
الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وفي حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه الذي رواه البخاري وغيره حين قرن بين
الحج والعمرة فقال له عثمان تراني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن
لادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس وكان ابن
مسعود رضي الله عنه يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة
وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على
السبيل والسنة ذكر الله في نفسه ففاضت عيناه من خشية الله تعالى فـ
يعذبه الله تعالى ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله
خطاياه كما تحات عن الشجرة ورقها وان اقتصادا في سبيل الله وسنة خير
من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اقتصادا
واجتهادا ان تكون على منهاج الانبياء وسنتهم وروى الشيخان ان عمر
بن الخطاب رضي الله عنه قال وقد نظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك وروى الامام
احمد والبزار ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يطوف بناقته في مكان
فسئل فقال لا ادري الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله
ففعلته وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالف قولي الحديث فاضربوا به
عرض الحائط ومتابعة الامام مالك رضي الله عنه للسنة وتعظيمه لها مشهور
معروف وقال شيخ الصوفية ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري رضي

الله

الله عنه من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى
نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال واكل الحلال واخلاص النية
في الاعمال **تنبيه** العمل بالسنة من اعظم علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم قال في المواهب ومحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات
اعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه
وسيرته والوقوف عند ما حد لنا من احكام شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم اية
محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله تعالى
اياه وقد قال الحكيم وهو محمود الوراق كما افاده المحاسبي في كتاب القصد
والرجوع

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

قال وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه من نعمه الظاهرة
والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة منة
الله على عبده منة تاهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه
وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالى في قلب ذلك العبد فاذا دار ذلك النور
اشرقت له ذاته فرأى في نفسه وما اهلت له من الكمالات والمحاسن فعظمت
به همته وقويت عزيمته وانقشعت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور
والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد احدهما الاخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة
والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى ... وحنينه ابدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجب المحبة والمحبوبية ولا يتم الامر الا بهما فليس
الشأن ان تحب الله بل الشأن ان يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه
ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا واطعته امرا واجبته دعوة واثرته طوعا
وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق وعن طاعة غيره
بطاعته وان لم تكن كذلك فلا تتعن فلست على شيء وتأمل قوله
تعالى فاتبعوني يحببكم الله اي الشأن في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا

لا ينال الود إلا باتباع الحبيب وقال المحاسبي في كتاب الفهم والرجوع
وعلامة محبة العبد لله عز وجل اتباع مرضات الله والتمسك بسنن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فإذا أذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة
ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه وأسرعت
الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الإيمان في القلب كما يدخل حب الماء
البارد الشديد برده في اليوم الشديد حره للظمآن الشديد العطش فيرتفع
عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعات غذاء لقلبه وسرورا له
وقرة عينه في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد
في أوراد العبادة كلفة وهي التي حكى عن أنس مرفوعا ومن أحيا سنتي فقد
أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة وعن ابن عطاء من ألزم نفسه
في آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة
الحبيب في أوامره ونواهيه وأفعاله وأخلاقه وقال ابن إسحاق الرقي
من أقران الجنيد علامة محبة الله إيثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه
وسلم وعن غيره ولا يظفر على الحقيقة من نور الإيمان إلا باتباع السنة ومجانبة
البدعة فما من صاحب إعراض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول
عليه الصلاة والسلام بدعواه علما لدنيا أو تلقيه فهو من لدن الشيطان
والنفس وإنما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء به الرسول
عليه الصلاة والسلام عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان لدني رحماني
ولدني شيطاني والمحك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم
وأما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز الاستغناء عن الوحي بالعلم
اللدني إلحاد وكفر يخرج عن الإسلام موجب لإراقة الدم والفرق أن موسى
عليه السلام لم يكن مبعوثا إلى الخضر ولم يكن الخضر مأمورا بمتابعته ولو
كان مأمورا بها لوجب عليه أن يهاجر إلى موسى ويكون معه ولهذا قال له
أنت موسى نبي بني إسرائيل قال نعم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى
جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والإنس في كل زمان ولو كان موسى وعيسى
حيين لكانا من أتباعه فمن ادعى أنه مع محمد كالخضر مع موسى أو جوز
ذلك لأحد من الأمة فليجدد إسلامه وليتشهد شهادة الحق فإنه مفارق
لدين الإسلام بالكلية فضلا عن أن يكون من خاصة أولياء الله تعالى وإنما
هو من أولياء الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الرحماني هو ثمرة

العبودية

العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم وبه يحصل
الفهم في الكتاب والسنة بأمر يختص به صاحبه كما قال علي بن أبي طالب
وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء دون الناس فقال لا
إلا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع
هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس
ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ه‍ وفي تنبيه
المغترين للعارف الشعراني رضي الله تعالى عنه وقد كان السلف الصالح رضي
الله تعالى عنهم يحثون الناس لا سيما أصحابهم على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب
البدع ويشددون في ذلك حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه ربما كان يهم بأمر ويعزم عليه فيقول له بعض الناس إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يفعل ذلك ولم يأمر به فيرجع عما كان عزم عليه قال وهم مرة
أن يأمر الناس بنزع ثياب كانوا يلبسونها حين بلغه أنها تصبغ ببول العجائز
فقال له شخص إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس منها ولبسها الناس
في عصره فاستغفر الله تعالى ورجع وقال في نفسه لو كان عدم لبسها من الورع
لما لبسها صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا أن الإمام زين العابدين رضي الله عنه
قال لولده اتخذ لي ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة فإني وجدت شيئا وعى
في الصلاة أني رأيت الذباب يجلس على النجاسة ثم يقع على ثوبي فقال له ولده لم
يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثوب واحد لصلاته وخلائه فرجع
الإمام عما كان عزم عليه قال فعليك يا أخي باتباع السنة المحمدية في
جميع أفعالك وأقوالك وعقائدك ولا تقدم على فعل شيء حتى تعلم موافقته
للكتاب والسنة اللهم اجعلنا من العاملين بسنته المقتدين بهديه
وسيرته وتوفنا على ملته صلى الله عليه وسلم آمين ثم قال رحمه الله

• والزم أخا الوقار والتواضعا • ودع قبيح الكبر والتنطعا •

ذكر الناظم في هذا البيت ثلاثة أمور اثنان محمودان تجب ملازمتهما
والاتصاف بهما وهما الوقار والتواضع والثالث مذموم قبيح يجب تركه
والتباعد عنه وهو الكبر فأما الوقار فيقال في القاموس هو كسحاب الرزانة
وفي المصباح الوقار الحلم والرزانة مصدر وقر بالضم مثل جمل جمالا ويقال
أيضا وقر يقر من باب وعد فهو وقور مثل رسول والاسم الوقر فعول بمعنى
فاعل مثل صبور وشكور ومعنى الكلام أنه يأمر الأخ في الله بالوقار أي

إلا الرزانة والسكون والطمأنينة والتؤدة وحسن الهدي والسمت
وإياك وما ينافي الوقار كالخفة والطيش والهذر في القول وكثرة الضحك
بالقهقهة فإن ذلك يزري بك ويفارق ويجر عليك الأنذال والسفهاء وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبعد الناس عنها وأوفى الناس مجلسا
لا يكاد يخرج شيء من أطرافه وروى أبو سعيد الخدري كان النبي صلى الله عليه
وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه
وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم تربع
وربما جلس القرفصاء وكان صلى الله عليه وسلم كثير السكوت لا يتكلم في غير
حاجة يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول
ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم
أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ومن صفته صلى الله عليه وسلم
يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب ومن الحديث الآخر إذا مشى
مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير عجز ولا وكل أي غير ضجر ولا كسلان
وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إن أحسن الهدي هدي محمد صلى
الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه كان في كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه كان
سكوته على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر وقالت عائشة رضي
الله تعالى عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا
ويحض عليها ويقول حبب إلي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة وبالجملة فقد ألقى الله عليه صلى الله عليه وسلم من
المهابة ما لا مزيد عليه حتى أن رجلا قام بين يديه عليه الصلاة والسلام فأخذته
رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فإني لست بملك ولا جبار إنما أنا ابن
امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته وروى أبو داود أن
قيلة بنت مخرمة رأته في المسجد قاعدا القرفصاء فأرعدت من الفرق وعن عمرو
بن العاصي رضي الله عنه قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأت عيني منه
قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه ما قدرت قال العلماء وإذا كان هذا
وهو من أجلاء الصحابة رضي الله عنهم فما بالك بغيره فعلم أنه صلى الله عليه وسلم



لما أنه كان يباسطهم ويمزح معهم ولا يقول إلا حقا ويتواضع لهم ويؤانسهم
لما قدر أحد منهم أن يجالسه ولا يجاذبه لما ألقى الله تعالى عليه من المهابة
والجلالة • رحمة كله وحزم وعزم • ووقار وعصمة وحياء •
فهذا وقاره صلى الله عليه وسلم فتمسك به وعليك بالاقتداء بهديه فإن خير
الهدي هديه صلى الله عليه وسلم وإياك وما ينافيه وفارق من الطيش
والخفة وكثرة المزح والسفه والضحك بل الوقور ينبغي أن يكون ضحكه
تبسما وجلوسه تربعا وكلامه فصلا قال بعض أهل الأدب محذرا مما
ينافي الوقار وإياك وتشبيك الأصابع وإدخال الأصابع في الأنف والعبث بالقلنسوة
ووضع اليد على اللحية وتقليم الأظفار بحضرة الناس وإذا مشيت فلا تنفض
رجليك ولا تنظر في عطفيك ولا تتمايل تمايل الحمقى ولا تثب وثوب الطفل
ولا تقف على الجماعات ولا تشتكي أحدا أن تأخر عنك ولا تقف عنه إن كان
معك وإذا ركبت فلا تحرك عقبيك ولا تمش ما بين رجليك ولا تنفض بـ
الدابة وأقصى ما تحرك لتحملها على جذب العنان إلى غير ذلك مما ذكروه
وتعجبني هنا مقامة للعلامة ابن مخشي ونصها يا أبا القاسم إن رداء
الوقار والحلم • أزين ما تعطف به ذو العلم • فتحلم وتوقر وإن لم يكونا من
جبلتك • وتعلمهما وإن عدما في شمائلك • أول ما يستدل به على عقل
الرجل أن تتناسب حركاته وسكناته • وأن تخرج من الطيش والنزق
طمأنينته وأناته • فباشر أكثر الأمور بالتأني والأناة • وإذا مشيت على
الأرض فامش بالهون • ولا تبد متكاثر القلب وإن لقيت فابتهج ولا تطل
العبوس وإن رأيت تمتنع فجا • وكن ربيط الجأش دون الكوارث ولا تنفعل •
وتلقها بين التماسك ولا تنفعل • رزينا لا تحملك خيفة على خفة • شبه
جبل لا تنقض مناكبه رجفه • الأريب لا يحمل على رفيقه رأسا نزقا طائشا •
ولا بين جنبيه صدرا حنقا كمرجل جياش • عليك بالحلم وإن ثبت بالعظم
إن يقبل أخوك بعاقبته بالإغضاء • وإن استعطف بعاقبته بالإرضاء • وإن
استكبر صاحبك وثار ثائره فرد له منك ساكنا لا ثائره • فإن في أم الغضب أشد
ما في أم اللهب • فخف على نفسك ثبوت شعله • وأنف السلاح من
انتقاده والتقلد به • ولا تزل بشواكله حتى ينطفي • ويمضي أمده إلى أن ينتهي
ولن يطفئ مثل حلم يبين أي على جوانبه • وعفو تهمي سحائبه على ذوائبه •
وأما التواضع فهو لغة التذلل والخضوع وعرفا فقالوا عرضي وح الأسلس

عن مقتضى جاهه وتنزله عن مرتبة امثاله وعدم تطلعه الى حظوظ من تبعه ومن
رسالة الامام القشيري التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على
الحكم وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن
قاله وسئل الجنيد عن التواضع فقال خفض الجناح للخلق ولين الجانب
لهم وقال ابن عطاء التواضع قبول الحق ممن كان وقال المحققون التواضع
ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية ويرى الحالة التي هو فيها اعظم
من ان يستحقها ولذلك قال ابو يزيد رضي الله تعالى عنه ما دام العبد يظن ان
في الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل له فمتى يكون متواضعا فقال اذا لم ير
لنفسه مقاما ولا حالا ومن الحكم ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه فوق ما
صنع ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى انه دون ما صنع وقد نقل الحطاب
عن الفاكهاني ان التواضع يكون واجبا وهو التواضع لله ولمن امر الله بالتواضع
له كالرسول والامام والحاكم والوالد والعالم ومندوبا وهو التواضع لسائر
الخلق اذا قصد به وجه الله وممنوعا وهو التواضع لاهل الدنيا لاجل
دنياهم ولاهل الظلم وهو الذل الذي لا عز معه قال الحطاب وقد ورد من تواضع
لغني ذهب ثلثا دينه اي لاجل غناه قال الواحدي الغني الشاكر هو المراد بغيره
وقال الشيخ التاودي في الخبر من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه فان تواضع له
لغناه ذهب دينه وروي ايضا مرفوعا لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل
ماله وقال الشيخ العلامة سيدي محمد جسوس وورد ايضا التكبر على الاغنياء تواضع
والتكبر على المتكبرين تواضع وللمحلي

ان المستكبر الا تقول لمن • عند لقائه الكبر الذي فيه •
ولا حال ما الله نيلو زينته • الا مقابلة التيه بالتيه •

هو من الدرر المكنونة وفي الاحياء اذا لقيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم
واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك مذلة لهم وصغار وقد ورد
في فضل التواضع ما لا يحصى كثرة قال الله تعالى واخفض جناحك للمومنين
وقال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي
احد على احد ولا يبغي احد على احد رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم
ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد

لله

لله الا رفعه الله رواه مسلم ايضا وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى
والشرف التواضع واليقين الغنى وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن
الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل على الله والتواضع
والزهد في الدنيا وقال عليه الصلاة والسلام ما من احد الا ومعه ملكان
وعليه حكمة يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه
وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع
في غير مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة
وخالط اهل الفقه والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا بقباء وكان صائما فاتيناه عند افطاره
بقدح من لبن وجعلنا فيه شيئا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل
فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما
اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم
التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله وقال صلى الله عليه وسلم
يوما لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع
واوحى الله الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتعاظم
على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من
اجلي وقال المسيح على نبينا وعليه السلام طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب
المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون
الفردوس يوم القيامة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى
الله تعالى يوم القيامة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شائن له
ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش رفعك الله واذا تكبر
وعدا طوره رهصه الله في الارض وقال اخسأ اخسأك الله فهو في نفسه كبير وفي اعين
الناس حقير حتى لهو احقر عندهم من الخنزير وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه وجدنا الكرم في التقوى والغنى في اليقين والشرف في التواضع ولما
ولي الخلافة قال اني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصري قال بلى
ولكن المومن يهضم نفسه وسئل بعض التابعين هل رايت ابا بكر قال نعم رايت

ملكا في زي مسكين وقال ابن عباس كان أبو بكر كثيرا ما ينشد

إذا أردت شريف الناس كلهم • فانظر إلى ملك في زي مسكين

ذاك الذي حسنت في الناس سيرته • وذاك يصلح للدنيا وللدين

وكان رضي الله عنه إذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وقال زيد بن وهب رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلى السوق وبيده الدرة وعليه كساء فيه أربع عشرة رقعة وعوتب في إزار مرقع فقال يقتدي بي المؤمن ويخشع به القلب وقال قيس بن أبي حازم لما قدم عمر رضي الله عنه الشام تلقاه عظماؤها فقلت له اركب هذا البرذون يراك الناس فقال إنكم ترون الأمر من ها هنا وإن الأمر من ها هنا وأشار بيده إلى السماء خلوا سبيلي ونادى يوما الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس لقد رأيتني وأنا أرعى على خالات لي من بني مخزوم فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب فقال عبد الرحمن بن عوف ما أردت إلا أن قصرت على نفسك فقال ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسي فقالت لي أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها وقالت عائشة رضي الله عنها إنكم تغفلون عن أفضل العبادة التواضع وقال ابن المبارك رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس لك بدنياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من أعطي مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالا يوم القيامة وقال كعب ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه وقال مجاهد إن الله تعالى لما أغرق قوم نوح عليه السلام شمخت الجبال وتطاولت وتواضع الجودي فرفعه الله فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقيل أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه وفي رسالة القشيري وقال أبو سليمان الداراني لو اجتمع الناس على

أن يضعوني كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد إلا على التراب وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع في المشي ويقول إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزهو وكان عمر بن عبد العزيز يكتب ليلة شيئا وعنده ضيف فكاد السراج يطفى فقال الضيف أقوم إلى المصباح فأصلحه فقال له ليس من الكرم استخدام الضيف قال فأنبه الغلام قال لا هي أول نومة نامها فقام إلى البطة وجعل الزيت في المصباح فقال الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال له ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر وقال وهب مكتوب في بعض ما أنزل الله من الكتب إني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته وقال سفيان الثوري أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني وقيل ركب زيد بن ثابت فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال مه يا ابن عم رسول الله فقال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا فأخذ زيد يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورؤي أبو هريرة رضي الله عنه وهو أمير المدينة وعلى كتفه حزمة حطب وهو يقول طرقوا للأمير وقال عمر بن الورد التواضع أحد مصايد الشرف وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع ويقال لا عز إلا لمن تذلل لله عز وجل ولا رفعة إلا لمن تواضع لله عز وجل ولا أمن إلا لمن خاف الله عز وجل ولا ربح إلا لمن باع نفسه من الله عز وجل وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت أنظر إليه وأتأمله فقال لي ما لك تنظر إلي فقلت له شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له أنا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك قال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال صاحب الذخيرة ما نال إلا وضيع ولا ضاع إلا الغبيط وكل من تواضع لله رفعه شعر

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر • على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه • إلى طبقات الجو وهو وضيع

قيل لعبد الملك بن مروان أي الرجال أفضل فقال من تواضع عن قدرة وزهد

عن رغبة وترك الشهرة عن قوة **تنبيه** قال العلامة جسوس رحمه
الله تعالى في شرح الشمائل التواضع تارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه
وتارة يكون عن شهود عظمة ربه وهذا هو التواضع الحقيقي الذي لا يمكن
الانفكاك عنه **قال في الحكم** التواضع الحقيقي هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته
وتجلي صفته لا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف وذلك لأن شهود عظمته
تعالى هو الذي يخمد النفس ويذيبها ويضمحل إذا تجلت وبه تنقطع
نزعة الرياسة والكبر من القلب فإن من شاهد عظيما من الخلق ذا هيبة
ومرتبة لا يمكنه إلا الخضوع له فكيف بمن تتجلى له عظمة الله تعالى فما تجلى
الله لشيء إلا خضع له فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ولذا
قال ذو النون المصري رضي الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة
الله سبحانه فإنها تذوب وتصفو ومن نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب سلطان
نفسه لأن النفوس كلها حقيرة عند هيبته ومن أشرف التواضع أن لا ينظر
إلى نفسه دون الله اهـ **وقال** في عوارف المعارف واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة
التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفي
ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتنطبع للحق وللخلق بمحو
آثارها وسكون وهجها ونسيان حقها والذهول عن النظر إلى قدرها ولما
كان له صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفى من تجلي نور الشهود كان أعظم
الخلق تواضعا وقد رفع الله ذكره اهـ وأعلى على كل قدر قدره ومن يبلغ قدرا
أعظم من قدره صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم يبق له الشأن في التواضع
وخفض جناح ولين نفس وبالجملة فالتواضع والأدب والوقوف عند الحد
هو ملاك كل خير وسبب كل علو وشرف من تواضع لله رفعه الله كما في الحديث
وحسبك شاهدا على ذلك أن الله تعالى لما خير صلى الله عليه وسلم بين أن
يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا اختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عند
ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة
وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع اهـ **وقد ذكر** الإمام الترمذي في
الشمائل والقاضي عياض رضي الله عنهما جملة من تواضعه صلى الله عليه
وسلم **وعن** أبي أمامة رضي الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا
وقال صلى الله عليه وسلم إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس

العبد

العبد **وكان** صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المرضى
المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا
بهم حيثما انتهى به المجلس جلس **وفي** حديث عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما
أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله **وعن** أنس بن مالك أن امرأة من الأنصار
كان في عقلها شيء فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت إن لي
إليك حاجة فقال اجلسي في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك زاد
في رواية فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من
حاجتها **قال** أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم
بحبل من ليف عليه إكاف وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة
فيجيب وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي
أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة **وعن عائشة**
والحسن وأبي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على بعض كان صلى الله
عليه وسلم في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعلف ناضحه ويقم البيت ويعقل البعير
ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق **وعن**
أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى
الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها
ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأحمله فقال صاحب
الشيء أحق بشيئه أن يحمله **وفي الحديث** عنه صلى الله عليه وسلم لو
دعيت إلى كراع أو ذراع لأجبت ولو أهدي إلي كراع أو ذراع لقبلت رواه
البخاري **وفي** الحديث أيضا أنه ليعجبني أن يحمل الرجل الشيء في يده
يكون مهنة لأهله يدفع به الكبر عن نفسه **تتمة** تقدم قوله صلى الله
عليه وسلم لا تقوموا كما تقوم الأعاجم الخ قال الشهاب في شرح الشفاء
وقد اختلف العلماء في القيام للتعظيم المعتاد هل هو مكروه أم لا فقيل
مكروه لأنه لا أصل له في الحديث وحديث من أحب أن يتمثل له الناس قياما
وجبت له النار ونحوه حتى ذهب بعضهم إلى حرمته والأحسن ما قاله القاضي

زعم بعض الشيوخ رضي الله عنه أنه مستحب لأهل العلم والصلاح وللحكام العدول بل قد
يجب إذا خشي من تركه ضرر الجبابرة الملوك ويستحب لمن فيه مناصب ولاية و
الأرحام نحو ما ورد بالبر ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للأنصار لما قدم
عليهم سعد رضي الله تعالى عنه قوموا لسيدكم والمنهي عنه إنما هو ما كان
على سبيل الرياء والتكبر ويحمل حديث سعد على أنه كان مريضا وقدم مكة
راكبا فأمرهم صلى الله عليه وسلم بالقيام ليعينوه في النزول عن دابته خلاف
الظاهر مما مر وقد فعله صلى الله عليه وسلم وكان يقوم لفاطمة رضي الله
عنها إذا جاءته وإنما نهاهم ليلا يكون لهم سنة ويتخذ عادة هـ ومن شرح
الشمائل للشيخ جسوس ونصه ابن رشد القيام للرجل على أربعة أوجه
وجه يكون فيه محظورا لا يحل وهو أن يقوم إكبارا وتعظيما وإجلالا لمن
يحب أن يقام إليه تكبرا وتجبرا على القائمين إليه ووجه يكون فيه
مكروها وهو أن يقوم إكبارا وتعظيما وإجلالا لمن لا يحب أن يقام إليه ولا
يتكبر على القائمين إليه فهذا يكره للتشبه بفعل الجبابرة ولما يخشى
أن يدخله من تغيير نفس المقوم إليه ووجه يكون فيه جائزا وهو أن
يقوم تجلة وإكبارا لمن لا يريد ذلك ولا يشبه حاله حال الجبابرة ويؤمن أن
تتغير نفس المقوم إليه لذلك وهذه صفة معدومة إلا فيمن كان بالنبوة
معصوما لأنه إذا تغيرت نفس علي بالدابة التي ركب عليها فمن سواه بذلك
أحرى ووجه يكون فيه حسنا وهو أن يقوم إلى القادم عليه من سفر فرحا
بقدومه ليسلم عليه أو القادم عليه المصاب بمصيبة فيعزيه بمصابه وما أشبه ذلك
هـ قال ومن القيام المستحب على ما في شراح المختصر القيام لمن نزل به سرور ليهنئه
والقيام للعالم والصبي وللوالدين وقال المواق في سنن المهتدين قال الشيخ
محيي الدين النووي ويستحب القيام لمن كان فيه فضيلة من علم أو صلاح أو شرف
أو ولاية مصحوبة بصيانة للبر والاحترام هـ ثم التفصيل المتقدم إنما هو إذا لم
يترتب على ترك القيام مفاسد أو أذاية وإلا وجب كما في شرح المختصر
وقد ذكر القرافي في سنن المهتدين نقلا عن ابن رشد في القاعدة التاسعة والستين
والمائتين فيما هو الحق أن الناس قسمان الأول ما وردت به السنة بعينه كابتداء
السلام والثاني ما لم يرد في النصوص ولا كان في السلف لأنه لم يكن أسباب اعتباره
بلزومه موجودة حينئذ وتجددت في عصرنا فتعين فعله لتجدد أسبابه
كأنواع المخاطبات للملوك ولو لم والي ونعته من العظماء والقيام للآتي أو قد

كله

كله ونحوه من الأمور العادية لم تكن في السلف ونحن اليوم نفعلها ونحو ذلك
جائز مأمور به وإن كان بدعة ولقد حضرت عز الدين بن عبد السلام
وكان من أعيان العلماء وأولي الجد في الدين والثبات على الكتاب والسنة
غير مكترث بالملوك فضلا عن غيرهم لا تأخذه في الله لومة لائم فقد سئل
عن القيام الذي أحدثه أهل زماننا مع أنه لم يكن في السلف هل يجوز فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وترك القيام
في هذا الوقت يفضي إلى المقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا هذا
نص ما كتب وهو معنى قول عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضية بقدر ما
أحدثوا من الفجور وأما الكبر فقد قال العلماء هو خلق في النفس
وأفضليتها على غيرها والعمل به وضده كمال التواضع خلق في وضع
النفس والعمل به تواضع أدناه الاكتفاء بالدون وأعلاه قبول الحق
من كل أحد كما نقل ومن حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من
في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن
يكون ثوبه جميلا فقال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمص الناس غمصه بالصاد المهملة كضرب وسمع وفرح احتقره كما
اغتمصه وعابه وتهاون بحقه والنعمة لم يشكرها وهو مغموص عليه
مطعون عليه في دينه قاله في القاموس ولا شك في قبح الكبر وذمه
قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق
وقال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى
إنه لا يحب المستكبرين وقال تعالى وخاب كل جبار عنيد وفي الحديث
القدسي العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني في واحد منهما
قصمته وفي رواية قذفته في جهنم ولا أبالي وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن
قال التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر على الصفا فوقفا فمضى ابن
عمرو وأقام ابن عمر يبكي فقالوا ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن فقال هذا يعني
عبد الله بن عمرو زعم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله في النار على وجهه وقال
صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين
فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من

النار عنق له اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاثة
بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها آخر وبالمصورين وقال صلى الله
عليه وسلم بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد
تجبر واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد غفل وسها ونسي
المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وقيل
يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال صلى الله عليه وسلم اليس بعده الموت
وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه
السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني آمركما باثنتين وانهاكما
عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا اله الا الله فان
السموات والارضين وما فيهن لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا اله الا
الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارضين وما
فيهن كانتا حلقة فوضعت لا اله الا الله عليها لقصمتها وآمركما بسبحان
الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وفي الحديث الا اخبركم
باهل النار كل عتل جواظ متكبر رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم
لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ازاره بطرا رواه ايضا البخاري ومسلم
وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل
راسه يختال في مشيته اذ خسف الله به فهو يتجلجل في الارض الى يوم
القيامة قال النووي مرجل راسه اي ممشطه ويتجلجل بالجيمين اي يغوص
وينزل وقال ابو بكر رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان
صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله جنة عدن نظر اليها
فقال انت حرام على كل متكبر وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون
يوم القيامة في مثل صور الذر تطؤهم الناس ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم
كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم
نار الانيار يسقون من طينة الخبال عصارة اهل النار وفي حديث آخر
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة
في صور الذر تطؤهم الناس لهوانهم على الله تعالى وقال بعض السلف اول
ذنب عصي الله به الكبر قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا
الا ابليس ابى واستكبر وقال سفيان بن عيينة من كانت معصيته في شهوة
فارجوا له التوبة فان آدم عليه السلام عصى مشتهيا فغفر له وان كانت

معصيته

معصيته في كبر فاخشى عليه اللعنة فان ابليس عصى متكبرا فلعن وكان
الاحنف يجلس مع ابن الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم
يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فرأى اثر ذلك في وجهه فقال
عجبا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن عجبا
لابن آدم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات
قال في ادب الدنيا والدين الكبر يكسب المقت ويلهي عن التآلف ويوغر
صدور الاخوان وحسبك بذلك سوءا عن استقصاء ذمه ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لعمه العباس انهاك عن الشرك بالله والكبر فان الله
يحتجب منهما وقال اردشير بن بابك ما الكبر الا فضل حمق لم يدر صاحبه
اين يذهب به فيصرفه الى الكبر وما اشبه ما قال بما حكي ان مطرف
بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن ابي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي
الخيلاء فقال له عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال له
المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك نطفة مذرة وفي آخرك جيفة
قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فاخذ ابن عوف هذا فنظمه

عجبت من معجب بصورته • وكان بالامس نطفة مذرة •
وفي غد بعد حسن صورته • يصير في اللحد جيفة قذرة •
وهو على تيهه ونخوته • ما بين ثوبيه يحمل العذرة •

قال وقد كان المهلب افضل من ان يخدع نفسه بهذا الجواب الغير الصواب
ولكنها زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فاما الحمق
للمرح والجهل المتيح فبعيد ما حكي عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس في
حلقة العلاء بن عبد الرحمن وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال اتدرون لم جلست
اليكم قالوا جلست لتسمع قال لا ولكني اردت ان اتواضع لله بالجلوس اليكم
فهل يرى من هذا افضل او ينفع فيه عذل وقد قال ابن المعتز لما عرف اهل
النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا
وليس بفاعل ولو تصور المعجب المتكبر ما فطر عليه من جبلة وبلي به من
مهنة لخفض جناح نفسه واستبدل لينا من عتوه وسكونا من نفوره وقد
وصف بعض الشعراء الانسان فقال

• يا مظهر الكبر اعجابا بصورته • انظر خلاك فان النتن تثريب
• لو فكر الناس فيما في بطونهم • ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة • وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك • والعين مرمصة والثغر ملعوب
يا ابن التراب ومأكول التراب غدا • أقصر فإنك مأكول ومشروب

واعلم أن للكبر مجانبا وللإعجاب مباينا من جلب في الدنيا قدره وعظم فيها
خطره لأنه قد يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير وقال محمد بن
علي لا ينبغي للشريف أن يرى شيئا من الدنيا لنفسه خطيرا فيكون بها تائها
وقال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك
وكان يقال اسمان متضادان بمعنى واحد التواضع والشرف وللكبر
أسباب فمن أقوى أسبابه علو اليد ونفوذ الأمر وقلة مخالطة الأكفاء
حكي أن قوما مشوا خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أبعدوا عني نعالكم
فإنها مفسدة لقلوب نوكى الرجال ومشوا خلف ابن مسعود فقال ارجعوا
فإنها زلة للتابع وفتنة للمتبوع انتهى تنبيه قال أهل العلم كيف يصح
للإنسان أن يتكبر وأن يرى أنه أفضل من غيره وهو لا يدري الخاتمة قال
أبو علي الدقاق من شرط الولي في آن يرى نفسه أقل الناس وأقل المريدين
ولا يرى له حقا على أحد ومن رأى لنفسه خيرا من أحد من غيره أن يعرف من تنبته
ومرتبته الآخرة في الغاية لا في الوقت فهو جاهل بالله مخدوع لا خير فيه
وقال الشي بشي في رايه

وأني يباع الناس وتك موصلا • وأكابر أختي تغيباب الغني
فإن ختام الأمر عنك مغيب • ومن أيسا تخسيب نجاه من الحكم

وفي الإحياء واعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه ولا يستعظمها إلا وهو يرى
لها صفة من صفات الكمال ومرجعها إلى كمال ديني وهو العلم والعمل أو دنيوي
وهو الحسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار فهذه سبعة الأول
العلم وما أسرع الكبر إلى العلماء ولذا قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم
الخيلاء فلا يلبث عالم أن يتشبع في نفسه بجمال العلم وكماله ويستعظم
نفسه ويحتقر الناس وينظر إليهم نظره للبهائم ويتوقع أن يبدأوه بالسلام
فإن بدأ أحدا أو رد عليه بشرا أو قام له أو أجاب له دعوة رأى ذلك صنيعة
ويدا له عليه يلزمه شكرها واعتقد أنه أكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون
من مثله وأنه ينبغي أن يخدموه ويغدو موته شكر الله على صنيعه بل الغالب
أنهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم

من خالطه منهم ويستسخر في حوائجه فإن قصر منهم مقصر فيما استنكره كأنهم
عبيده أو أجراؤه وكأن تعليمه العلم صنيعة منه لهم ومعروف لديهم واستحقاق
حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا وأما تكبره في أمر الآخرة فيرى نفسه
عند الله تعالى أعلى وأفضل منهم فيخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ويرجو
لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلا أولى من أن يسمى
عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الإنسان به نفسه وربه وخطر
الخاتمة وحجة الله تعالى على العلماء وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا
وتقتضي أن يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره
في شكر نعمته ولذا قال أبو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما
قال فإن قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وأمنا
فاعلم أن لذلك سببين أحدهما أن يكون اشتغاله بما يسمى علما
وليس بعلم حقيقي وإنما العلم الحقيقي ما يعرف به العبد نفسه وربه عز
وجل وخطر أمره في لقاء الله تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية
والتواضع دون الكبر والأمن قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء
فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل
الخصومات وطرق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى امتلأ بها امتلأ
كبرا ونفاقا وهذه العلوم بأن تسمى صناعة أولى من أن تسمى علوما
السبب الثاني أن يخوض في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيء الأخلاق
فلم يشتغل أولا بتهذيب نفسه وتزكية قلبه بأنواع المجاهدات ولم يرض
نفسه في عبادة ربه تعالى فيبقى خبيث الجوهر فإذا خاض في العلم أي علم كان
صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير أثره وقد ضرب وهب
لهذا مثلا فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار
بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة وكذا العلم
يحفظه الرجال فيحولونه على قدر هممها وأهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع
تواضعا وذلك لأن من همته الكبر وهو جاهل إذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به
فازداد كبرا ومن كان خائفا في جهله فإذا ازداد علما علم أن الحجة قد تأكدت
عليه فيزداد خوفا وتواضعا والعلم من أعظم ما يتكبر به وأعظم ما يتواضع
به ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك لمن
اتبعك من المؤمنين واستأذن تميم الداري عمر في القصص فأبى أن يأذن

له وقال له انه النجح واستاذنه رجل كان امام قومه اذا سلم من صلاته ان
يذكرهم فقال اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا وصلى حذيفة بقوم فلما سلم قال
لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا اني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل
مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعيف من متاخري هذه الامة فما اعز
على بساط الارض عالما يستحق ان يقال انه عالم ثم لا يحركه عز العلم وخيلاؤه
فان وجد من هو بعيد في زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل يكون النظر اليه عبادة
فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا مثل ذلك ولو في اقصى
الصين لسعينا اليه رجاء ان تشملنا بركاته وهيهات ان يسمح اخر الزمان
بمثله بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه
الخصلة **قال العلامة** سيدي التاودي بن سودة بعد ان نقل كلام الامام الغزالي
المتقدم بلفظه هذا كلام الغزالي في زمانه وقد توفي سنة خمس وخمسمائة
والله يشتبه فلكم الويلات بقوله ابو حامد في خرسنة فلو سمع الشيخ
ما في تكبر العلماء والى هذه وما يرون لانفسهم من الحقوق على غيرهم والتمييز
بين الناس هلكى وانفسهم ناجين ومن راى ذلك فقد هلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم واعظم
ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى نقله في شرح الجامع
والله المرجو في منه الهداية ومما قيل في ذمه من الشعر قال القاضي ابو
حفص بن عمر في ذمه وما يتعلق به

ولا تنتسب الى كبر فهذا • ابوك الترب يخجلك انتسابا
ولا تعجب اخا كبر فقدما • على النفس الاعادي والصحابا
ولا تحسب مطالبه [illegible] • كفى بالله في حرب ان تحابى
وحاذر ان ترى في القوم راسا • ولا تنس الذنوب وكن ذبابا
ترى ابليس هنا فعساك ان لا • تمنى ان تكون غدا ترابا

ولابي نواس في ذمه

خف زيك الكبر يغشاك ميسمه • فانه ملبس نازعته الله
فلا يؤسس حلة على جرد ممنوقة • يجوي مقاديرا ان كلمته تاها
يرى عليك له فضلا يسبب به • ان نال في العاجل السلطان والجاها
اني لامقت نفسي عن تخونها • فكيف امن مقت الله اياها

ولابي العتاهية

عجز

عجبت للانسان في فخره • وهو غدا في قبره يقبر
ما بال من اوله نطفة • وجيفة اخره يفخر
اصبح لا يملك تقديم ما • يرجو ولا تاخير ما يحذر

وقال بعض الادباء

يا مغتني العجب ان الدهر غدار • خفض عليك فللاقبال ادبار
وفي الغنا الكبر فيما الكبر بالسقط • والبغي والعجب اقذاء واقذار

اللهم اصلح فساد قلوبنا واعف بفضلك عن اجرامنا وذنوبنا وكن لنا في جميع الاحوال
بمنة الشفيع المشفع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اله قال رحمه الله

وجانب السلطان والحكاما • ولا تلح اخي الحكاما
فانه في المذاق حلو كالعسل • وحشوه سم وكم من قتل

حذرك الناظم هنا من امرين احدهما مصاحبة السلاطين والحكام والثاني
الولاية وهما امران مذمومان لا سيما في زماننا هذا اما مصاحبة السلاطين
والدخول عليهم فمعروف ذمه في الشرع فقد نص العلماء على انه لا ينبغي لذي
الدين والمروءة والحسب سيما اهل العلم ان يداخلهم ولا ان يمشي في ملاقاتهم والاجتماع
بهم كما كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم لما في ذلك من الافات
المخلة بالدين فالداخل على السلطان المتطارح على بابه ان كان من
اهل الزهد والورع والصلاح فحالته تنافي ذلك ولا تجامعه البتة وان كان
من اهل العلم والاقتداء فكذلك بل اشد فان زلة العالم يزل بها عالم
فان العامة اذا راوا العالم يتقرب الى الملوك ويخدمهم ويتردد الى ابوابهم
اعتقدوا ذلك صوابا وقالوا لو كان في ذلك حرج لما اومى وهاما بعلمه هذا
العالم المقتدى به فيسلكون سبيله في ذلك وينغمسون فيما انغمس فيه
وان كان الداخل عليهم من اهل الدنيا والتصاون واهل الهمم العالية
فقد ازرى بعرضه واسقط منزلته وبذل عرضا نفيسا لان ما يبذله له
السلطان ما عسى ان يبلغ وعلى كل حال فكل شيء منه فموسخ لا بركة فيه
ولا تحصل منه ثمرة لا في دينه ولا في دنياه لان كل اموالهم من الحرام او الشبهة بلا شك
فينبغي للحر ان يرغب في نفسه ومعالي همته والتعلق باموال الناس لا همة
له ولا مروءة ولله در القايل

لا تخضعن لمخلوق على طمع • فان ذلك وهن منك في الدين
استغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

واعلم بانك لا تعطاك خير دلالة * الا بامر لذ سواك من كيس
فاسترزق الله مما في خزائنه * فانما امره بالكاف والنون

وقال بعضهم

لا تصحبن ملكا ومما يلوذ به * ولو اتتك منهم غنى او تمكينا
يستخدمونك في لذات انفسهم * وينبذونك نبذ النعل اذ بليا

قال في الاحياء من علامات علماء الاخرة ان يكون مستقصيا منقبضا عن السلاطين فلا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وان جاءوا اليه فان الدنيا حلوة خضرة وزمامها بايدي السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف في طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع انهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم فيزدري نعمة الله عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم ويتكلف في كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح او ان يطمع في ان ينال من دنياهم وذلك هو السحت وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الاخرة طريقهم الاحتياط وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء امناء الرسل على عباد الله تعالى ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه انس وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وقال حذيفة اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم على الامير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ما ليس فيه وقيل للاعمش لقد احييت العلم لكثرة من ياخذ عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون ابواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقي لا يفلح منهم الا القليل ولذلك قال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رايتم العالم يغشى ابواب الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء وقال مكحول الدمشقي رحمه الله من تعلم القران وتفقه في الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض في بحر من نار جهنم بعدد خطاه

وقال

وقال سمنون ما اقبح بالعالم ان يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسال عنه فيقال هو عند الامير قال وكنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا وحاسبت نفسي بعد الخروج فارى عليها الدرك وانتم ترون ما القاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت ان انجو من الدخول عليه كفافا مع اني لا اخذ منه شيئا ولا اشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا اشر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو اخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه ياتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو اتيتهم فقال يا بني اتي جيفة قد احاط بها قوم والله لئن استطعت لا اشاركهم فيها قالوا يا ابانا اذا تهلك هزالا قال يا بني لان اموت مؤمنا مهزولا احب الي من ان اموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله اذ علم ان التراب ياكل اللحم والشحم دون الايمان وفي هذا اشارة الى ان الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وقال ابو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب شيئا من دنياهم الا اصابوا من دينك افضل منه وفي تنبيه الغافلين ما نصه عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا اشتد حسابه وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال ان الرجل ليدخل على ذي سلطان ومعه دينه فيخرج من عنده وليس معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله وقال بعض المتقدمين اذا رايت عالما يختلف الى الاغنياء فاعلم انه مراء واذا رايت عالما يختلف الى الامراء فاعلم انه لص وعن ميمون بن مهران رضي الله عنه ان في صحبة السلطان خطرين ان اطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك والسلامة ان لا يعرفك وعن الفضيل بن عياض قال لو ان رجلا لا يخالط هؤلاء يعني السلاطين ولا يزيد على الفرائض فهو افضل من رجل يخالط السلطان ويصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويجاهد وعن الضحاك بن مزاحم قال اني لاتقلب الليل كله على فراشي اتمنى كلمة

ارضى بها سلطاني ولا اضحك بها خالقي فلا افعل ما عليها ومن سراج الملوك
قد اتفقت حكماء العرب والعجم على النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب
كليلة ودمنة ثلاثة لا يسلم منها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء
على الاسرار وشرب السم على التجربة وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب
البحر واعظم منه خطرا من صحب السلطان ومن حكمة الهند صحبة السلطان
على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر وانما يشبه بالجبل الوعر
فيه الثمار الطيبة والسباع العادية والثعابين المهلكة فالارتقاء اليه شديد
والمقام فيه اشد وليس يتكافأ خير السلطان بشره لان خير السلطان لا يعدو
مزيد الحال وشر السلطان قد يزيل الحال ويتلف النفس التي بها طلب
المزيد ولا خير في الشيء الذي في سلامته مال وجاه وفي نكبته الجائحة والتلف
ولقد قيل للعتابي لم لا تصحب السلطان على ما فيك من الادب قال لاني رايته
يعطي عشرة الاف في غير شيء ويرمي بالرجل من السور في غير شيء ولا ادري اي الرجلين
اكون وقال معاوية لرجل من في بيتك اياك والسلطان فانه يغضب غضب
الصبي ويبطش بطش الاسد وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد
العزيز يا ميمون احفظ عني اربعا لا تصحب السلطان وان امرته بالمعروف
ونهيته عن المنكر ولا تخلون بامراة وان اقرأتها القرآن ولا تصلن من قطع
رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا وقد راينا
وبلغنا ممن صحب السلطان من اهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه
فيفسد هو به فكان كما قيل

يعدو البليد الى الجليد سريعة ... والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه
ليقيمه فخر الحائط عليه فاهلكه

ومعاشر السلطان شبه سفينة ... في البحر ترجف دائما من خوفه
ان ادخلت من مائه في جوفها ... يغتالها المائج ما يدخل في جوفه

ومن كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلي بصحبة السلطان والملوك فانهم لا عهد
لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربوك
عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء
والذنب عنده لا يغفر وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد يهابه
الناس وهو لمركوبه اخوف وفي كتاب كليلة من صحب السلطان انه يرضى

عمن

عمن استوجب السخط ويسخط على من استوجب الرضا من غير سبب معلوم
وقالت العلماء خاطر من ركب البحر واشد مخاطرة منه من داخل السلطان
وقالوا اسرع الاشياء تقلبا قلوب الملوك وقيل من تحسن سيرته في
السلطان اغتنى فتشبث له ولو بعد حين حكاية انشد الذي كسى
عبد الله حمدان الفزهي الملك المكتفي قبل ان يملك حماة

متى اراك ومن تهوى وانت كما ... تهوى على رغم شانيك في بدن
فناك انشد ولا مال حاضره ... تعنيت بالملك والاحباب والركن

فوعده اذا ملك حماة ان يعطيه الف دينار فلما ملكها انشد له

مولاي هذا الملك قد نلته ... بني غير مغرور من الخالق
والذي منه اذا جيته ... وذا اوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف واقام معه ولم يمد في اسعاره حتى انفق المال الذي اعطاه
ولم يحصل بيده زيادة عليه فقال في ذلك

اذاك الذي اعطوه لي جملة ... قد استرجعوه قليلا قليل
فليتهم لم يعطوا ولم ياخذوا ... وحسبنا الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المكتفي فاخرجه من بيت كان اتى له فيه فقال

اخرجني من كان بيت مهدي ... ولي فيك من حسن الثناء بيوت
فان عشت لم اعدم مكانا يضمني ... وانت ستدري من سيموت

فحبسه المكتفي فقال ماذا ذنبي اليك فقال وحسبنا الله ونعم الوكيل ثم امر
بخنقه فلما احس بالهلاك قال

اعطيتني الالف تعظيما وتكرمة ... يا ليت شعري اعطيتني ثمني

قال الصفدي لو كنت حاضرا لانشدت الذي كسى عبد الله حمدان قول القائل

وكنت كالمتمني ان يرى فلقا ... من الصباح فلما ان راه عمي

ولذلك يقولون من اراد العز بالسلطان لم يلبث حتى يذل وقال
ابو الفتح رحمه الله

يا من يروم خدمة السلطان عادته ... ما الرشد عندك الا اللحظ والنفع
دع الملوك يحيى من وجودك ما ... ترجوه عند بني الحرمان والعدم
اني ارى صاحب السلطان في كلف ... ما تنطفي اذا فاتني البغي كلف
بجسمه تعب والنفس خائفة ... وعرضه عن ثقة والدين منثلم

تتمة قد علم مما تقدم ان اللائق بالعاقل هو الفرار من صحبة

الملوك والدخول عليهم وان استدعاه السلطان او دعته ضرورة للدخول
عليه فلا بد له من آداب يستصحبها اوصى بعض الحكماء ولده فقال
يا بني اياك وان تكون الى السلطان فان الدنو اليه هلاك وبعدا وقبحا
ليس منه فكاك واذا استدعاك بنفسه فكن منه على حذر ولا تامن مكره
وغدره فيبس القدار اذا غدر وكلمه من حيث يريد لا من حيث لا يريد
وارفق به كما ترفق بالطفل الصغير ولا تدخل بينه وبين احد من اولاده
وعشيرته واهل بيته وان حدثته فحدثه بما يعجبه من الاشياء
معناه ومبني بالحكمة واعمل بها وقال في اخي لولده اذا افتقدت من
السلطان او غيره ممن له ولاية او قوة او شركة فلا تنم اليه فانه لا يزيدك
ذلك الا نفورا منك فاذا فعلت ذلك ان تنم به كما نممت اليه وكن اصبر الناس
عنه عند جرحه وابعدهم منه عند غضبه ولا تعارضه فيما يريد ان يفعل
ولا تنقل اصحابه ولا ما يلوذ به من حاشيته وذريته ومحبيه وعاملهم
باحسن الاخلاق التي تحبه واحملهم كما تعامله بذلك ومن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال لي ابي يا بني اني ارى امير المومنين يستخليك
ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني
اوصيك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجربن عليه كذبا ولا تغتابن
عنده احدا قال الشعبي رحمه الله فقلت لابن عباس كل واحدة منها خير
من الف فقال اي والله ومن عشرة الاف وقال بعض الحكماء اذا زادك
السلطان تانيسا فزده اجلالا واذا جعلك اخا فاجعله ابا واذا
زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده واذا ابتليت بالدخول على
السلطان مع الناس فاخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاء له ولا تكثر
في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة ويروى ان
بعض الملوك استصحب حكيما فقال اصحبك على ثلاث خصال قال
وما هي قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل
حتى تستشيرني قال هذا لك فما لي عليك قال لا افشي لك سرا
ولا ادخر عنك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم الصاحب المستصحب
انت وقال ابن رحمي اذا اخذت منك ملكا من الملوك فلا تطعمه في معصية
خالقك فان احسانه اليك دون احسان الملك وايقاعه بك اغلظ
من ايقاعه وقالوا مع السلطان وكانك تتعلم منه واثني عليه وكانك


تستشيره

تستشيره واذا اخلاك السلطان مع نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك
والدخول بينه وبين بطانته فانك لا تنجو منهم بتغيير منك فيكونون عونا عليك
واياك ان تتعاطى من اذا شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه
فعله وفي الامثال القديمة احذر ان تزاحمك الخدمة وفي ذلك قيل

ليس الشفيع الذي ياتيك متزرا ۞ مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد اذا صحبت السلطان فدار مداراة التي لا تعرف قلة
الصحبة الى وجه الاجمع تنبيه ثان هل يجوز اخذ جوائز السلطان وصلاته
ام لا قال الامام ابو حامد في اختصار الاحياء ينبغي ان ينظر فيه فلا يأخذ
ان كان من الذي اخذ الموقف على المسلمين والمصادرات ويحل ان كان
من المواريث والاموال الضائعة والفيء والغنيمة والجزية بشرط ان يكون
في من يصرفه اليه مصلحة او حاجة وقد ذهب عمر رضي الله عنه الى انه ما من
مسلم الا وله في بيت المال حق ه قلت ولم يبق اليوم فيء ولا غنيمة ولا جزية
وانما امر اليوم من المكوس الموضوعة على المسلمين والمصادرات ليس الا
فالورع ترك الاخذ منهم وللعلماء في هذا المقام مقال والله يغني الجميع
بفضله واما الامر الثاني وهو تولية الاحكام فمعلوم ذلك فيه خطر
عظيم وبلاء جسيم فالولاية كما قال الناظم في الكناية حلوة المذاق
كالعسل لما ينشأ عنها من حلاوة الامر والنهي والسطوة والعلو
والعظمة ونفوذ الكلمة وغير ذلك مما تتمناه النفوس وتهواه من
محاسن الدنيا الفانية ولكنها مع ذلك في باطنها سم قاتل لوقته لما ينشأ
عنها ايضا من الكبر والعجب والخيلاء واحتقار الناس وغير ذلك
من انواع الجور والظلم وكثير من الناس فتلتقم الولاية بسمها اذ غالب
احوال من تولى الاحكام ان تعرض على فتنة امر حتى ابتلي بفعله وتشتيت
جمعه وضياع اولاده واهله من بعده وهتك ستره وفضيحته في نفسه
هذا في الدنيا واما في الاخرة فلا تسأل ولذا الحكم بين لا السلف الصالح رضي الله
عنهم والعلماء العاملون والاخيار يهربون من ذلك ويفرون منه ويعدونه
فتنة ومحنة وبلية خوفا من فتنة الدنيا وعذاب الاخرة وفي المجتبى
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه استعمل بشر بن عاصم الثقفي على
صدقات هوازن فتخلف فلقيه عمر فقال ما خلفك اما ترى لنا عليك
سمعا وطاعة قال بلى ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول من ولي احدا من المسلمين الناس اتي به يوم القيامة حتى يوقف به
على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى
فيها سبعين خريفا فخرج عمر كئيبا حزينا فلقيه ابوذر فقال مالي اراك
حزينا قال وما يمنعني من البكاء وقد سمعت بشر بن عاصم يقول قال
صلى الله عليه وسلم من ولي احدا من الناس اتي به يوم القيامة حتى يوقف
به على جسر جهنم فان كان محسنا نجا وان كان مسيئا انخرق به الجسر فهوى
فيها سبعين خريفا وهي سوداء مظلمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة رواه البخاري وقال
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب
لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم رواه مسلم وفي الحديث ويل
للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين اقوام يوم القيامة ان ذوائبهم
كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والارض ولم يكونوا عملوا على
شيء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يلي عشرة فما فوق ذلك
الا اتى الله يوم القيامة يده الى عنقه فكه بره او اوبقه اثمه اولها ملامة
واوسطها ندامة واخرها خزي يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اللهم
من ولي من امر هذه الامة شيئا فرفق بهم فارفق به ومن شق عليهم فاشقق عليه
وقال صلى الله عليه وسلم ما من امير يلي امر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح
لهم الا لم يدخل معهم الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم قال من ولاه الله شيئا
من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون
حاجته وخلته وفقره يوم القيامة وروى الطبراني من ولي امة من امتي
قلت او كثرت فلم يعدل فيهم كبه الله تعالى على وجهه في النار وروى الحاكم
وصححه مرفوعا ما من احد يكون على شيء من امور هذه الامة فلا يعدل فيهم
الا كبه الله في النار وروى الامام احمد مرفوعا ما من امير عشرة الا يؤتى به يوم
القيامة مغلولا لا يفكه الا العدل وروى الحاكم مرفوعا من ولي عشرة فحكم
بينهم بما احبوا او بما كرهوا جيء به مغلولة يده الى عنقه فان عدل ولم يرتش
ولم يحف فك الله عنه وان حكم بغير ما انزل الله وارتشى وحابى فيه شدت
يساره الى يمينه ثم رمي به في جهنم فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام وروى
الطبراني مرفوعا ما من امتي احد ولي من امر الناس شيئا لم يحفظهم بما يحفظ
به نفسه الا لم يجد رائحة الجنة وروى ابن ابي الدنيا مرفوعا لا يلي احد

من امر الناس شيئا الا وقفه الله على جسر جهنم فيزلزل به الجسر زلزلة فناج
او غير ناج لا يبقى منه عظم الا فارق صاحبه فان هو لم ينج ذهب به في جب مظلم
كالقبر في جهنم لا يبلغ قعره سبعين خريفا وروى الطبراني مرفوعا من ولي من
امر المسلمين شيئا فغشهم فهو في النار وروى ايضا كذلك من ولي شيئا من
امر المسلمين لم ينظر الله في حاجته حتى ينظر في حوائجهم وروى ايضا عن
ابي جحيفة ان معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه حجب باب الناس فجلس
فجاء ابو الدحداح فقال له معاوية الا تكلم حين جئت فقال بلى ولكن
سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا احببت ان اضعه عندك
مخافة ان لا تلقاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس
من ولي عليكم عملا فحجب بابه عن ذي حاجة او قال دون حاجة المسلمين
حجبه الله ان يلج باب الجنة ومن كانت همته الدنيا حرم الله عليه جواري
فاني بعثت بخراب الدنيا ولم ابعث بعمارتها وروى ايضا عن معاوية
وابن مسعود رضي الله عنهما مرفوعا لا يقدس الله امة لا يقضى فيها
بالحق ويأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع وروى ايضا مرفوعا
يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري وروى
الامام احمد والبزار عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لكعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء قال وما امارة السفهاء
قال امراء يكونون بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم
بكذبهم واعانهم على ظلمهم فاولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون علي
حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وانا منهم
ويردون علي حوضي وفي الزواجر وعن عبد الله بن انيس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر العباد يوم القيامة حفاة عراة غرلا
بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا
الملك الديان لا ينبغي لاحد من اهل الجنة ان يدخل الجنة وعنده مظلمة
حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك احدا قلنا يا رسول الله كيف وانا
نأتي حفاة عراة غرلا بهما قال بالحسنات والسيئات جزاء وفاقا ولا يظلم
ربك احدا وعنه صلى الله عليه وسلم من ضرب سوطا ظلما اقتص منه
يوم القيامة وفي سراج الملوك قال معقل بن يسار سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة

الا لم يجد رائحة الجنة وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة
وبئست الفاطمة وقال ابو ذر رضي الله عنه قلت امرني يا رسول الله
قال انها امانة وانها خزي وندامة يوم القيامة الا من اخذها بحقها
وادى الذي عليه فيها وقال سفيان الثوري رضي الله عنه لان تلقى الله
تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه اهون عليك بان تلقاه بذنب واحد
فيما بينك وبين العباد وفي الاحياء ان عبد الله بن عامر لما استعمله ابن
عثمان بن عفان اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطا عنه
ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه فتامل رحمك الله
هذه الاحاديث الشريفة وما اشتملت عليه من المواعظ اللطيفة
تجد الولايات من اعظم البليات وخصوصا في هذه الاوقات
ويعجبني قول الحريري في بعض مقاماته فيا ايها المترشح بالولاية. المرخي
للرعاية. الى كم الاختيال بدولتك. والاغترار بصولتك. فان الدولة تزحزح
قلب. والامر يدور قلبا. وان اصغى الى عذل من صفح تابع رعيته.
واشتغل في الدارين بما ساعت رعايته. فلانك ممعن به الاخ ويلقيها
ويحب العاجلة وينتقيها. ويطمع الى غيرها ويرديها. واذا تولى سعى
في الارض ليفسد فيها. والله لا يحب الفساد. ولا تتحمل بلا انسلام. وعلى
تلقى الاساءة ولا الاحسان. بل سيوضح لك الحيران وتحاكم بما تدان
وفي معنى ما تقدم لنا قول الامام ابن الوردي في لاميته

جانب السلطان واحذر بطشه ... لا تعاند من اذا قال فعل
لا تلي الحكم وان هم سألوا ... رغبة فيك وخالف من عذل
ان نصف الناس اعداء لمن ... ولي الاحكام هذا ان عدل
فهو كالمحبوس عن لذاته ... وكلا كفيه في الحشر تغل

نسأل الله العافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة بمنه
ولما كان القضاء من اصعب الولايات واعظمها خطرا خصوصا في
هذا الزمان الذي انطمست فيه معالم الدين وانقطع فيه العدل بالكلية
وكثر فيه الجور والظلم والبغي من الولاة المعتدين والظلمة
المعتدين خصصت الكلام بالقضاء وان كان في الخلاف عموم الحكم

السابع



السابع فقال

لا سيما القضاء فهو مرضي ... لمبتغيه وفتنة وشين
فقاضيان قد اتى في النار ... وواحد في جنة الاخيار

القضاء لغة ياتي على وجوه بمعنى الامر ومنه وقضى ربك والاتمام ومنه
فاذا قضيتم الصلاة والفعل ومنه فاقض ما انت قاض والارادة ومنه
فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون والموت ومنه ليقض علينا ربك
والكتابة ومنه وكان امرا مقضيا والفصل ومنه وقضي بينهم بالحق
والخلق ومنه فقضاهن سبع سموات قال الازهري ومرجع هذه الوجوه
الى انقضاء الشيء وتمامه واما شرعا فقال ابن راشد وتبعه ابن
فرحون القضاء الاخبار عن حكم شرعي على سبيل الالزام او هو امر القاضي
بحكم شرعي على طريق الالزام او هو جلوس الحاكم للحكم مقابل الانشاء وقال
ابن عرفة القضاء صفة حكمية توجب لموصوفها نفوذ حكمه الشرعي
ولو بتعديل او تجريح لا في عموم مصالح المسلمين فيخرج ولاية التحكيم وولاية
الشرطة واخواتها والامامة قال بعض العلماء وفرق بعض الفقهاء
بين الفصل بين الخصمين فهو لغة على الفصل الفعلي والقضاء
اي ما ذكر. قال ابن راشد والحكمة في مشروعيته رفع التشاجر
ورد النوائب وقمع الظالم ونصر المظلوم والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وللقاضي شروط منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب واشار
الى ذلك في المختصر بقوله اهل القضاء عدل ذكر فطن مجتهد ان وجد
والا فامثل مقلد ونفذ حكم اعمى وابكم واصم ووجب عزله وندب ورع غني حليم
نزه نسيب مستشير بلا دين وحد وزائد في الدهاء الخ ثم ذكر بعد انه قد
يكون فرض عين وقد يجب على الشخص وقد يندب في حقه فقال ووجب المتعين
او الخائف فتنة ان لم يتول او ضياع الحق القبول والطلب ثم قال وحرم لجاهل
وقاصد دنيا وندب ليشهر علمه والمعنى ابلاك بالرخ والولاية فانها
سم قاتل ولا سيما تولية القضاء فانه في وقتنا هذا امر صعب للطالبه
ومبتغيه وشرها وقد ورد في الحديث ان القضاة ثلاثة كما يأتي
قال شيخ شيوخنا كنون رحمه الله في اختصاره القضاء محنة من دخل
فيه ابتلي بعظيم لانه عرض نفسه للهلاك اذ التخلص فيه عسير قال عمر رضي
الله عنه وددت اني انجو من هذا الامر كفافا لا علي ولا لي بالمعروف منه

واجب لا سيما في هذا الزمان قال مالك قال لي عمر بن حسين ما ادركنا فقيها
استقضي بالمدينة الا عن كتابة القضاء عليه لا رجلين سماهما قال ابن عبد
السلام وهذا حين كان القاضي يعان على ما وليه ومن كان بعضهم يكره على
من ولاه ولا يقبله ان تنفعه عذره واما حين صار القاضي لا يعان بل من ولاه ربما
اعان عليه من مقصوده ان يبلغ هواه على اي حال كان فان ذلك الواجب يتغلب
مع ما نسأل الله السلامة قال واكثر الحكام الشي عينة في زماننا انما اشتري بعينه
على مسميات خسيسة ه ومن روض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم من
حكم بين اثنين تحاكما اليه ولم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله وعن انس
يرفعه القضاة جسر للناس يمرون على كفورهم يوم القيامة ه وفي النوادر
عن علي رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس من
قاض ولا وال الا يوتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على
الصراط ثم ينشر صحيفة سيرته فتقرأ على رؤوس الخلائق فان كان عدلا نجاه
الله بعدله وان كان غير ذلك انتفض به الجسر انتفاضة فصار بين كل
عضو منها اعضائه مسيرة كذا وكذا ثم ينخرق به الجسر الى جهنم وفي
قوت المغترب وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة اقسام فقال
القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور
وهو يعلم او قضى بالجور وهو لا يعلم فهما في النار وقال بعض العلماء لو قال
لي قائل من اشر الناس لاخترت في القاضي فقلت هذا ولو قيل لي من احمق
الناس لاخترت في القاضي فقلت هذا وفي المدخل ولم يزل السلف
الصالح رضي الله عنهم اجمعين يفرون منه الفرار الكلي حتى قد حكي عن
بعضهم انه تركه في الكلاف حتى رجع عنه ذلك وقد امتنع الامام ابو حنيفة
رضي الله عنه حين طلب للقضاء فقال اني لا اصلح فقيل له لا بد من ذلك فقال
لهم هذا لا يحل لكم فقالوا لم فقال لاني احد امرين اما ان اكون صادقا فيما
قلته فلا يحل لكم ان تولوا من لا يصلح وان كنت كاذبا فلا يحل لكم ان تولوا الكاذب
فتم كونه وحكاياتهم في هذا اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر وكانوا يعدون
تولية القضاء من الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يبكي وبا من
تولى من مفارقيهم ومن الحديث قال صلى الله عليه وسلم ليأتين على القاضي
العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط وقال
صلى الله عليه وسلم من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين رواه ابو داود

والترمذي

والترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم قال ابن الصلاح معناه والله اعلم فقد ذبح
من حيث المعنى لا من حيث الصورة وذلك انه بين عذاب الدنيا ان رشد
وبين عذاب الاخرة ان فسد وقال المنذري معناه عرض نفسه لعذاب يجد فيه
الم الذبح بغير سكين في صعوبته وشدته لما فيه من التحكمي وقال
بعضهم اشار بالذبح بغير سكين لطول التعذيب وقال ابن حجر الهيتمي الي ادبه
الكناية عن ان القاضي عرض نفسه بقبوله القضاء الى حصول مشقة لا تكاد
في العادة ربما يلحقه من عذاب الله وغضبه ومن ثم نهى السلف عنه الا يسيرا
عظيما ولم يسعف الممتنع منه قبوله وان تعين عليه لعذره بخوفه منه وفزعه
في وركاته وغوائله الكثيرة الفضيحة الغالب حصولها لمن دخل فيه وقال
البشتالي في وثائقه فاسمع قوله صلى الله عليه وسلم من ولي القضاء فقد
ذبح الخ وتدبر واقض منه ما ارى من الاسعد واشد واياك ان تغرك الدنيا بعمل
وتقرب اليك بزخرفها وتقول لعلي احكم بالعدل فاكون في الجنة كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة فهالكان وناج فالناجي من حكم بكتاب
الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال فالقضاء محنة من دخل فيه
فقد ابتلي بعظيم لانه قد عرض نفسه للهلاك اذ التخلص منه على من ابتلي به
عسير فالهروب من القضاء واجب وطلب السلامة منه لا سيما في هذا الزمان
لازم ه وقد روى الامام احمد في المسند ان عثمان قال لابن عمر رضي الله عنه اقض بين
الناس فقال لا اقضي بين اثنين ولا اؤم رجلين اما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ فقال عثمان بلى فقال اني اعوذ
بالله ان تستعملني فاعفاه وقال لا تخبر بهذا احدا وروي ان اياذ طلب
للقضاء فهرب فقيل له لو وليت وقضيت بالحق فقال من يقع في البحر الى متى يسبح
وروى الخطيب في تاريخه ان المنصور طلب ابا حنيفة للقضاء فابى فحلف
المنصور ليفعلن وحلف ابو حنيفة انه لا يفعل فقال له الربيع يحلف امير المؤمنين
وتحلف انت فقال امير المؤمنين اقدر على كفارة يمينه مني فحبسه المنصور
اياما ثم احضره فقال له ابو حنيفة يا امير المؤمنين انا لا اصلح للقضاء فان
كنت صادقا فلا اصلح وان كنت كاذبا فلا اصلح للقضاء فرده الى السجن وضربه
بالسياط فلم يقبل القضاء وروي انه مات في السجن ويروى ان الخليفة كتب
الى امير البصرة ان اختر رجلين وانفذهما الي لاولي احدهما القضاء فوقع
الاختيار على القاسم بن ربيعة الجوشني واياس بن معاوية الذي كان قاضي ا

فقال اني بعثت اليكما لاقلد احدكما القضاء فتقدم القاسم وقال يا امير
المومنين والله الذي لا اله الا هو ان ابا اسامة اصلح للقضاء وانفذ فيه مني فان كنت عندك
صادقا فقلده فيه وان كنت كاذبا فلا يحل ان يلي امور المسلمين من يبارز
الله بمثل هذا اليمين فقال الخليفة لابي اسامة ما تقول فيما قال فقال انك جئت
به الى شفير جهنم فجدد نفسه فيما حالته فيتقي الله ويتوب اليه منها فقال له
الخليفة فكشف لهما انت لعلها بوراه ومن كتاب عقلاء المجانين لابي القاسم الحسن
بن محمد النيسابوري ان الخليفة كتب الى عبد الله بن وهب في قضاء مصر فجنن نفسه
ولزم بيته فاطلع عليه رشيد بن سعد وهو يتوضا في صحن داره فقال له يا ابا محمد
الا تخرج الى الناس فتقضي بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد جننت نفسك ولزمت بيتك فرفع اليه راسه فقال الى هنا انتهى عقلك
اما علمت ان العلماء يحشرون مع الانبياء وان القضاة يحشرون مع السلاطين
ومن الصفوة المحمدية اخبرني الشيخ احمد العطار من جماعة شيخنا الشيخ
نور الدين الشوني رحمه الله قال نزلت الحجة شخصا من ابنت شخصا وافقا
في اللحد فلما عارضني ضربت رجليه بالفاس فكسرته ونزلت فجعلته في
جانب ولحدت ذلك الشخص ثم نمت وانا خايف من ذلك الامر
فرايت ذلك الرجل في المنام وهو يقول جزاك الله عني خيرا التي كسرت
رجلي حتى نزلت الى الارض فلا تالي اربعين سنة لم يوخذ مالي في الجلوس
فقلت وما ذنبك قال جلست يوما على كرسي قاض فعوقبت بذلك
فاذا كان هذا حال الجالس على كرسي القاضي فما حال القاضي
نفسه نسال الله اللطف وعن بعض قضاة الكوفة قال مررت يوما
بمجنون ينطق بالحكمة وكان جالسا في السوق بجانب داري قال فجلست اليه من اراد
منكم ان ينظر خير الدنيا والنار في الاخرة فلينظر ما هو فيه اخيه وقال في اغب
روينا عنه صلى الله عليه وسلم انه قال شكت بقعة الى ربها انها جعلت حشا
فاوحى الله اليها اما ترضين ان لم اجعلك بقعة قاض وكان ابن شبرمة
يقول يا جارية هاتي غداي لا اخرج الى الجامع ومن الواقد نقل عن ابي بكر
مربوطا عجمي الى الله تعالى فقال اللهم وحقي عبدك كذا وكذا اصنعه
ثم جعلتني في اساس كنيف فقال او ما ترضى ان عدلت بك عن مجالس
القضاة ومن الزواجر قال مكحول لو خيرت بين القضاء وضرب عنقي لاخترت
ضرب عنقي ولم اختر القضاء وقال ايوب السختياني اني وجدت اعلم الناس



اشدهم منه فرارا ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة
فابى فعاوده وقال لتجلس والا جلدتك فقال ان تفعل فانت مسلط وان
ذليل الدنيا خير من ذليل الاخرة وقيل لسفيان الثوري ان شريكا قد
استقضي فقال اي رجل قد افسدوه والحاصل ان هذا المنصب اخطر
المناصب واقطع المتاعب والمثالب وقد افردت قضاة السوء تاليفا
مستقلا سميته جر الغضى لمن تولى القضا وذكرت فيه من احوالهم الفظيعة
واعمالهم الشنيعة ما تمجه الاسماع وتستقبحه الطباع فكان الجميع امة على
فعله ترهيب القطع والتعذيب بانهم ليسوا من الحنفية بل ولا من المسلمين
نسال الله العافية بمنه وكرمه امين انتهى ومن المدخل يكفي في التنفير
عن القضاء ما حكي ان بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام جلس الى جنبه
رجل اسود الوجه ابيض البدن فكان اذا اراد ان يفصل الحكم بين الخصمين
نظر الى وجهه ثم بعد ذلك يفصل الحكم فسيل عن موجب ذلك فقال ان الولد
فسالوه فاخبرهم انه كان ينبش القبور فجاءت قاضي البلد قال فذهبنا اليه
ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجيت في اخذ الكفن فاذا بشخصين قد
دخلا فرغبت منهما فرجعت في ناحية من القبر فقال احدهما للاخر تقدم
فجا الى قدميه فشمهما فقال هاتان قدمان ما عصتا الله قط فقال له
تقدم فجا الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ما عصى الله قط فقال له تقدم
فجا الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما اكلت حراما قط فقال له تقدم
فجا الى يديه فشمهما فقال هاتان يدان ما عصتا الله قط فقال له تقدم
فجا الى فمه فقال هذا لسان ما عصى الله قط فقال له تقدم فجا الى عينيه
فشمهما فقال هاتان عينان ما عصتا الله قط فقال تقدم فجا الى اذنيه
فشمهما فسكت فقال له ما بالك فقال هاتان اذنان جاء يوما خصمان
فاصغى الى احدهما اكثر من الاخر فارتفعا يضربانه فضربت فجعل لي هذا
من سوا المقمعة في وجهي فاصبح كما ترونه فانظر رحمنا الله واياك
الى هذه الحكاية ما اعجبها فانها الصالح الذي يكون على مثل ما كان عليه هذا
الشيخ مرور مما اعني شيء يكون هذا وقال الحواق القضاء مع معرفته محنة
عظيمة عافانا الله منها ومن سائر المحن لان القاضي على وجل وحذرا عند
محنه وفضله وقد اكثر الناس من نقل الاثار الدالة على الحذر منه ومحاولته
المطولات ويكفي من ذلك ما في جامع ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين ومعنى الذبح
بالسكين فكيف بغير سكين قال وقيل لبعض القضاة كيف حالك فقال
كيف حال من ثلثا صفقته في النار ومن الثواب وغيرهم ما روى ابن القاسم وابن
وهب واشهب انه قال مالك لو خيرت بين القضاء وبين القتل لاخترت
القضاء ولو خيرت بين القضاء وضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي
وهذا في الاوقات التي بينها وبين النبوة وفي الدرجة الثانية من خير القرون
فما بالك بزمن كثرت الفتن التي اخبر عنها الصادق صلى الله عليه وسلم التي يبعث
ما ينتظر بعدها الا الكبرى العلامات واذا الزمت بالناس فتنة فلا فتنة اليك غير
مفتونين ولا منجيين والمغير بما بالله ولولا يبقى مانع من ولاية القضاء في هذا
الزمان الا دروس العلم واهله الى حين البيع فيه لكفى قال العلامة الى نعوة
رحمه الله في حاشيته واذا كان هذا في زمانهم مع كثرة وجود امثالهم من الجبال
الى واسخ علما وعملا في مشارق الارض ومغاربها فكيف في زماننا هذا وقد
سال بعضهم الفقيه العلامة الاورع الولي الصالح الانفع ابا محمد سيدي الحي بن احمد
البشتالي رحمه الله تعالى عن خطة القضاء فقال ما نصه اما اذ سالتني
عن خطة القضاء فالذي يكفيني لي فيها انها هداء في الى اس وسم ناقل في الجوف
وسلسلة في العنق وسنارة في الحلق وهذا ما كفى لي فيها وقد علمت ان
درء المفاسد مقدم على جلب المصالح والسلامة ومن التنبيه اعلم ان
اكثر المؤلفين من اصحابنا وغيرهم بالغوا في الترهيب والتحذير من الدخول
في ولاية القضاء وشددوا في كراهة السعي فيها ورغبوا في الاعراض عنها
والنفور والهروب منها حتى تغني رجوعها كثير من الفقهاء والصلحاء
ان من ولي القضاء فقد سهل عليه دينه والقى بيده الى التهلكة
وساء اعتقادهم فيه تنبيه رحمك الله من سعى في شهرتك واوقع
من سنة غفلتك فهذه اقوال العلماء الابرار واحوال الصلحاء الاخيار
فقد بالغوا في التحذير واكثروا عن هذه الخطة من التنفير هذا
مع متانة دينهم وقوة يقينهم وقلة طمعهم وشدة احتياطهم
وورعهم وتضلعهم من العلوم الشرعية الاصلية والفرعية وتنوع
من خير الزاد وخوفهم وعيابهم من فضائح يوم المعاد وصلاح
اهل ملة ووجود الاعوان فكيف بك وانت في زمان قل خيره وكثر شره
وبسط يد الجهل وعم من يعول لهذا المنصب اهل من كل تغي تني يده

وعلم



وعلم نبيه فليس يتولاه الا من والله الا من لا خير فيه فقد صار لعبة يلعب
بها كل حمار ناهق ومتجر فاسق لا يعرف الحق ولا يراقب الله في
الخلق يحكم بشهوته ويميل للباطل بسبب رشوته همته في جمع الحطام
واكل اموال الضعفاء والايتام لم يدر التعيس انه بهذا الفعل
الخسيس صار من اخوان ابليس فانه لم يعلم ان الجور في الاحكام من
اكبر الكبائر واعظم الاثام وقد ورد في الحديث ان اعتى الناس على
الله وابغض الناس الى الله وابعد الناس من الله رجل ولاه الله من
امر امة محمد شيئا ثم لم يعدل بينهم ومن الحديث ايضا ان الله مع
القاضي ما لم يحف فاذا جار تبرا الله منه ولزمه الشيطان فالحذر
الحذر ايها الاخوان ان تميلوا الى ذلك او يغركم ما هنالك وارغبوا الى
الله ان يبعدنا واياكم من هذا المنصب وبلائه فانه من اشد البلاء واعظم
المحن وقد قال العلامة الامام سيدي ابو القاسم بن خجو رحمه الله تعالى في
شرحه لنظم جموع ابن جماعة ان من يحكم بين الخلق بغير شيء يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالله وباء بغضب من الله لانه خان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واجترى على الله وعادى الله ورسوله واستوجب لعنة الله
قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة الاية
جهرا بالا ويل لمن يحكم بين اثنين بغير ما انزل الله مرة في عمره ان مات
ولم يتب من ذلك الا ان من يحكم بغير الشرع من الظالمين الطاغين ومن
الحق من المجتنبين بغير شيء من المرسلين ومن المكذبين المعني بين على
رب العالمين ومن المبدلين للدين ومن المغيرين لدينهم ودين المسلمين
ثم ان كل حاكم تولى الحكم بين اثنين فذلك انه لنفسه منه لانه خليفة الله النبي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وجد الصواب المشروع بالكتاب والسنة
وقضى به فقد اصاب وصدق فيرتقي على صدقه وان لم يجد وجه الحكم المشروع
بالكتاب والسنة وقضى بتخمينه وظنه في وجه الصواب من غير ان يجد فانه
فهو كاذب فاجر كافر متعد باسم وان خالف قصدا وعنادا الذي علمه
ان المصلحة في غير شيء يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معاند كافر اثم
من كفر بالله فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين تنبيه اعلم
ان كل ما ورد من احاديث الترهيب والتخويف والوعيد انما هو في حق
قضاة الجور والظلم العلماء او الجهال الذين ادخلوا انفسهم في هذا

المنصب الشريف بغير علم فان القضاء خطة شريفة والتغيير لوازم من
الشرع انما هو من الظلم والجور لا من القضاء فان الحكم بين الناس بال
عدل من افضل اعمال البر والجور فيه واتباع الهوى من اكبر الكبائر كما
تقدم قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس الاية وقال
تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقال تعالى
في حق الجائرين واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وفي كنوز الحقائق
مما رواه الاصبهاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا في يوم بالامام بين ثم
عدل يوم واحد افضل من عبادة ستين سنة فالاتيان بحد ساعة في حق
الله من معاصي ستين سنة واخرج الحاكم والطبراني ان لا ايها الناس لا يقبل
الله صلاة جائر واخرج الطبراني ان من يوم ثلاثة لا يقبل الله منهم شهادة
ان لا اله الا الله فذكر منهم الامام الجائر وفي القوت ان ابا بكر رضي الله عنه
عند موته قال في وصيته لعمر رضي الله عنه انك لو عدلت على الناس كلهم
وجرت على واحد منهم لمال جورك بعدلك اللهم انا نسالك العفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة فارحم الراحمين تتميم حديث
القضاة ثلاثة رواه الحاكم فاثنان في النار وواحد في الجنة وذكر في
الجامع عن بريدة خاتمة اخرج ابو داوود والترمذي وغيرهما
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي وزاد غيرهما رواية
والرائش يعني الذي يسعى بينهما واخرج ابن ماجة وابن حبان والحاكم
لعنة الله على الراشي والمرتشي واخرج الطبراني انه بعثه الجالة تقال ر
الراشي والمرتشي في النار واخرج الامام احمد ما من قوم يظهر فيهم الربا
الا اخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا اخذوا بالرعب واخرج
ابن ماجة وابي عن ... يحكم بين عشرة الا جيء به يوم القيامة مغلولة يداه فلا
عدل ولم يرتش ولم يحف فك الله عنه وان حكم بغير ما انزل الله وارتشى
وحابى فيه شدت يساره الى يمينه ثم رمي به في جهنم فلم يبلغ قعرها
خمسمائة عام واخرج الطبراني باسناد صحيح عن ابن مسعود رضي الله
عنه قال الرشوة في الحكم كفر وهي بين الناس سحت وروى ابو داوود
في سننه عن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من شفع لرجل شفاعة فاهدى له عليها هدية فقبلها فقد اتى بابا عظيما من ابواب
الربا وعن مسروق قال سمعت ابن مسعود يقول من رد عن مسلم مظلمة

فاعطاه

فاعطاه على ذلك قليلا او كثيرا فهو سحت فقال الرجل يا ابا عبد الله ما
كنا نرى ان السحت الا الرشوة في الحكم فقال ذلك كفر نعوذ بالله من
ذلك وقد تساهل الناس في هذا الامر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم فلست ترى احدا يأتي احدا في غرض من الاغراض الا وقدم بين
يديه شيئا من حطام الدنيا يدفعه فيما يجد به امامه رائع او غيره بعد وما
جاء بلا شيء فلا يلتفت اليه فضلا عن ان يعينه في غرضه فلم يبق من
يعمل عملا لله عز وجل واما اهل الولايات فلا تسال عن حالهم
وشدة حرصهم وفي هذا المعنى قيل ولله در القائل

تنبه وحكمته منه ∴ وخل القيل والقالا
فساد الدين والدنيا ∴ قبول الحاكم المالا
اذا اتت الهدية دار قوم ∴ تطايرت الامانة من كواها

اللهم لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا امين قال الناظم رحمه الله

وان تبغ لنفسك السعادة ∴ اياك والفتوى مع الشهادة
فكم لذا بالشرع من تملق ∴ يبيت في الظلمة وما تعلق
كم يفعل الشاهد من تنقيل ∴ للبيع والجل وما تذليل
كم كذب وكم يقع احتمال ∴ يا ليته يبعد هذا العمل
فهو عند القاضي مثل جار ∴ ملاله هي الاكبار

لما كان التصدر للفتوى والشهادة من اصعب الامور واعظمها خطرا ا
في زماننا هذا لفشو ميل الناس الى الدنيا وشهواتها وحرصهم عليها
ورغبتهم في التوصل اليها بكل وجه وقلة الورع في العلماء وغلبة الجهل
على كثير من المنتصبين للشهادة كان اللائق بالعاقل الذي يريد الخلاص
لدينه ان يتجافى عن ذلك وينزه نفسه عنه طلبا للسلامة لنفسه دنيا واخرى
فلذلك نهى الناظم عنهما معا في هذين البيتين ومعنى الكلام ان اردت ايها
الاخ في الله السعادة لنفسك والسلامة في الدنيا والدين فاياك ان تتعاطى
هاتين الخطتين وهما التصدر للافتاء والانتصاب للشهادة لشدة
صعوبتهما في هذا الوقت اما الفتوى فهي اسم مصدر بمعنى الافتاء وهو
الاخبار بحكم الشرع لا على وجه الالزام وتطلق على الحكم الذي وقع الافتاء به
فيقال فتوى مشهورة او ضعيفة ولم يزل السلف الصالح رضي الله عنهم
من العلماء الاعلام يفرون من مثل ذلك ويفرون منه اذا المسائل عنه الى من سالهم

علماء الدنيا الذين يتعلمون لغير الدين وأما علماء الآخرة فشأنهم التي أرشدهم الله
والتقرب منه ما وجد والتوكل سبيلا قال في الإحياء ومن علامات علماء
الآخرة أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى
الخلاص سبيلا فإن سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث
أو إجماع أو قياس جلي أفتى وإن سئل عما يشك فيه قال لا أدري وإن سئل
عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن
كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر العلم
ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري قال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن
سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف
بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله
عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد
أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يفتي
الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شيء
أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا
سكوته أشد علي من كلامه وقال بعضهم إن العالم الذي إذا سئل عن مسألة
فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا
تعبرون علينا إلى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف
عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان إبراهيم التيمي
إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم إلي ولما سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع في الأرض وشرها قال لا أدري حتى
نزل عليه جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري إلى أن أعلمه الله عز وجل
أن خير البقاع المساجد وشرها الأسواق وكان ابن عمر يسأل عن عشر مسائل
فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان في العلماء من يقول لا أدري أكثر
ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل والفضيل
بن عياض وبشر بن الحارث وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول أدركت
في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما منهم من أحد يسأل عن حديث أو فتيا إلا ود أن أخاه كفاه ذلك
وفي لفظ آخر كانت المسألة تعرض على أحدهم فيردها إلى الآخر والآخر
يردها إلى الآخر حتى تعود إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء

فصار المهروب منه مطلوبا وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء
الإمامة والوصية والوديعة والفتيا وكان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما
وأشدهم دفعا لها أورعهم وقال ابن حصين إن أحدهم ليفتي في مسألة لو
وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر ولم يزل السكوت
دأب أهل العلم إلا عند الضرورة وكان أنس إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن
وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان
ابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب هـ ومن الجامع الصغير من رواية ابن
عساكر عن علي رضي الله عنه من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء
والأرض ومن تنبيه المغترين للإمام الشعراني فلا تكن يا أخي إن أحدا من
السلف كان يحب التقدم في أمر من أمور الدنيا بل كان أحدهم يحيل الفتيا ويقول
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المفتي يدخل فيما بين الله تعالى وبين عباده
وكان الزهري رحمه الله تعالى مع وفور علمه لا يفتي ويقول من أفتى بغير وفور
علم كان للإمام معاقبته لأن المفتي على شفير جهنم قلت ولذا الذي يتصدر
غالب القوم للفتيا احتياطا لأنفسهم هـ وروى المحاسبي ما من عالم إلا ويسأل
عن ثلاثة أشياء عما أفتى به هل كان عن علم أو جهل وهل قصد به الحق
وجه الله العظيم أو غيره وهل أراد وجوه العابدين والنصيحة أو الطبع والتعالي
ومن القوت قال أبو حفص النيسابوري الكبير وكان من تلامذة الجنيد
إنما العالم الذي يسأل عن مسألة في الدين فيغتم حتى لو حج خرج منه نفقة
ثم من الخوف يخاف أن يسأل في الآخرة عما سئل عنه في الدنيا ويفزع أن لا
يتخلص من السؤال إلا أن يرى أنه فرض عليه الجواب لفقد العلماء
ومن هنا كان ابن عمر يسئل عن تسع مسائل ويجيب في واحدة ويقول
تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون عليه في القيامة تقولون أفتانا ابن
عمر بهذا وكان إبراهيم التيمي إذا سئل عن مسألة يبكي ويقول لم تجدوا من
تسأله غيري أو احتجتم إلي وقد كان سفيان بن عيينة يبكي في زمنه بقلة
أهل العلم وفتيه وكان مع ذلك يتمثل لنفسه ويقول

خلت الديار فسدت غير مسود ** ومن الشقاء تفردي بالسودد

قال وكان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى الأمير الذي تقلد أمور
الناس فضعها في عنقه قال في الإحياء إشارة إلى أن الفتيا في القضاء
والأحكام من توابع الولاية والسلطنة قال [illegible]

السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روي مسندا لا يفتي الناس إلا ثلاثة
أمير أو مأمور أو متكلف فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتين والمأمور نائبه
والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان
الصحابة رضي الله عنهم يتحرزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على
صاحبه وكانوا لا يتحرزون عن علم القرآن وطريق الآخرة إذا سئلوا عنه وفي
بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير
متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال هـ ثم ذكر في الفرق بين ما
نفع أولا عن الإحياء قال وروى بعض أصحاب الحديث بعض الفقهاء بعد
موته في المنام فقال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره
وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيئا وما حمدنا عاقبته وحذرنا عما
بعض الأشياخ قال رأيت بعض العلماء في النوم فقلت ما فعلت تلك العلوم التي
كنا نتجادل فيها ونناظر عليها قال فبسط يده ونفخ عليها وقال كانت كلها
هباء منثورا ما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل قال وقال بعض
السلف العلماء يحشرون في زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين
قال في الإحياء وفي معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه
وقد ورد في علماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم
القيامة ومن الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل إلى الجاه والمنزلة
عند أهلها قال صلى الله عليه وسلم إن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون المرء عالما حتى يكون
بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك
حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع قال والعجب
بعد أنه لو كان في هذه الأعصار لا من يرجع في الجنايات لقدم عليه جمع من
العبيد بل قدم عليه كثيرا ممن هو في الجنايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب
إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه
ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهافتون على علم الفقه والبلد مشحون من الفقهاء
بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء
الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به هل لهذا
سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة
مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به

على

على الأعداء فهيهات هيهات قد اندرس علم الدين بتلبيس العلماء السوء
فالله تعالى المستعان وإليه الملاذ في أن يعيذنا من هذا الغرور الذي يسخط
الرحمن ويضحك الشيطان قال فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة
والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن
سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى
وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولإرادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم
قال فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق خمسة الأربعة وسفيان
الثوري رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا زاهدا وعالما بعلوم
الآخرة وفقيها في مصالح الخلق في الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه
خمسة خصال اتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهي
التشمير والمبالغة في تفاريع الفقه لأن الخصال الأربعة لا تصلح إلا للآخرة
وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة إن أريد بها الآخرة قل
صلاحها للدنيا فشمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن
تقاس الملائكة بالحدادين قال وعلماء الدنيا يشتغلون بما يتيسر به
اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء
كلهم عليهم السلام قال وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية
التباعد عن مظان الخطر قال وعلى الجملة فالأشغال التي وردها النبي أن
لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون النية للعمل لا للرياسة وأما علماء
الدنيا فإنهم يتبعون غرائب التفريعات في الحكومات والأقضية ويتعبون
في وضع صور تنقضي الدهور ولا تقع أبدا وإن وقعت فإنما تقع لغيرهم لا لهم وإذا
وقعت كان في القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم في آناء الليل
وأطراف النهار في خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد من السعادة من
باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر إيثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب
من الله سبحانه وشرها أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا
عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع في الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر
عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح
العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ثم قال قال بعض العارفين
إنما انقطع الأبدال في أطراف الأرض واستتروا عن أعين الجمهور لأنهم لا يطيقون
النظر إلى علماء الوقت لأنهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند

الجاهلين علماء **قال سهل** التستري رضي الله عنه ان من اعظم المعاصي الجهل بالجهل
والنظر الى العامة واستماع كلام اهل الغفلة وكل عالم خاض في الدنيا فلا ينبغي
ان يصغى الى قوله بل ينبغي ان يتهم في كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما احب
ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله عز وجل ولا تطع من اغفلنا قلبه عن
ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا والعوام العصاة اسعد حالا من الجهال
بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العاصي العامي معترف بتقصيره
فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان انه عالم فان ما هو مشتغل به من العلوم
التي هي وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال
مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على اكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع
الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذي الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم
فانظر رحمك الله هل ترى اليوم عالما يصدق عليه انه من علماء الاخرة
يبتغي بعلمه وجه الله ينفع الناس له وينفعهم بعلمه ان احتاجوا اليه
هيهات ما اعز وجوده في هذا الوقت بل لا ترى الا طلاب الدنيا منكبا
عليها حريصا على جمعها متنافسا في شهواتها ولذاتها متواضعا لاهلها
متملقا للاغنياء ولو كان البغض في الدين هذه احوالهم وخصوصا المتصدرين
منهم للافتاء فانهم افسدهم قلبا واشدهم حرصا واكثرهم طمعا
فاحوالهم مختلفة واقوالهم عن الحق متحيدة وقلوبهم الى حب الرياسة
والجاه منصرفة وعلى طلب الدنيا منكبة فهم يفتنون ولا يفتون اذ
غالب الخصومات المتشعبات بين الخصوم هم الموقدون لنيرانها فانه
فان احد الخصمين ياتي الواحد منهم يستفتيه في نازلة فيطلع على مرامه
ويطلع عليه المسئلة فياخذ منه اكثر مما يستحقه بل اضعافا مضاعفة
ويخبره بان النقل قوله والحق له دون خصمه ويعده بانه سيغنيه باثبات
ذلك له فلا يلبث الا اليسير حتى ياتيه الخصم الاخر بهدية يضعها بين
يديه او بواسطة من اهله واقاربه او نحو ذلك فيمشي قليلا ثم يقول له
لولا انه وقع لي عارض لانا ما افتيتك وانا يجب علي كذا فلا ينبغي ان
ذلك الخصم معه في قيل وقال حتى يسقط له بعض ما قال له اولا وقد لا يبقي بل
له من ذلك شيئا وفي الغيب تراه يكذب نفسه بنفسه فيقول كنا افتينا
في هذه النازلة بكذا او قد كنت لنا ان الامر خلاف ذلك ونحو هذا من العبارات
التي لا تصدر من المجانين فضلا عن العقلاء فضلا عن العلماء والحكام عليهم

يحبون

يحبون منهم ذلك ويبقى ونحو عليه لتوصلهم به الى مقاصدهم واغراضهم من الخصوم
وتطويل الخصومات وعدم فتح ابوابهم من اهلها وانثيال المدخولات
عليهم اذ ما دامت الخصومة حاصلة بين اثنين الا وهما ينفقان على كل
حركة وسكون وقد شاعت هذه الافعال فيهم وذاعت بين عوام الناس
حتى صار العالم عندهم المفتي اذل من الخراز والحداد وقد ورد ان من
اسر سريرة البسه الله رداءها ان خيرا فخير وان شرا فشر ومن امثالهم
يقول الاديب [illegible] رحمه الله

اهل الرياء لبستم ناموسكم … كالذيب يدلج في الظلام العاتم
فملكتم الدنيا بمذهب مالك … وقسمتم الاموال بابن القاسم
وركبتم شهب البغال باشهب … وباصبغ صبغت لكم في العالم

وهذه هي صفات علماء السوء الذين ياكلون اموال الناس بالباطل
ويصدون عن سبيل الله **فهي الغرض** قال ومن اخبار داود عليه السلام
ان الله عز وجل اوحى اليه يا داود لا تسأل عني عالما قد اسكرته الدنيا
فيصدك عن طريق محبتي اولئك قطاع الطريق على عبادي المريدين يا داود
ادنى ما اصنع بالعالم اذا اثر شهوته على محبتي ان احرمه لذيذ مناجاتي
يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد الي هاربا كتبته
عنده جهبذا ومن كتبته جهبذا لم اعذبه ابدا **وروينا** عن عيسى عليه السلام
مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا تترك الماء
يخلص الى الزرع كذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الاخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا
العباد يسلكون الى الله عز وجل ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها
جص وباطنها نتن ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى
وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة من العلماء فليتقرب الى الله عز وجل
ببغضه فانه ممقوت في السماء والارض **وكان الاوزاعي** يروي عن بلال بن سعد
انه كان يقول ينظر احدكم الى الشرطي والعون فيستعيذ بالله عز وجل منه
ويمقته وينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة
فلا يمقته وهذا العالم احق بالمقت من ذلك الشرطي وقد وصف الله علماء
السوء باكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الاخرة بالخشوع والخشية فقال في علماء
الدنيا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه
الى قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الاخرة وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله

الى قوله اجراهم كثيرا عند ربهم قال وفي الخبر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين
المشرق والمغرب وما يزن عند الله بعوضة وعلماء الدنيا الكاذبون لعابا لعلم
لا كلون لعابا الدين المتخذون الاصدقاء والاخلاء من ابناء الدنيا المعرضون عن الاخرة
لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم معهم وهم في كل زمان بلوهم ويحسن
قولهم وسماعهم اللهم انا نعوذ بك من علم لا ينفع ونسألك هلاكنا وهلاك
علماء الدين وعامة المسلمين بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والحاصل
ان العلماء رضي الله عنهم العاملون في زمن الاوائل يتحكمون امر
الفتوى ويهربون منها ويرونها من الاسد او اشد ويحتالون فيما
يجيبون به غاية الجهد وقد انشد شيخ الاعصار والامصار ابو
عبد الله القصار رحمه الله تعالى ورضي عنه

تسع ابى منها اولوا الا *** لبا حلاو والهمم السنية
الابطال هني ورع *** تدعو الطامع حسن نية
وعلى الشفعاء نحو التوسل *** كنه والحكومة في القضية
وكذا الامامة والعد *** بعنه والنهوض للوصية
ثم الاجابة للكلا *** م وللفرائض والهدية
وسد الزمان واهله *** الا القليل من البرية

والى اذ بالوساطة الفتوى وقد كان ابن عمر اذا سئل قال اذهب
الى هذا الذي تولى امر الناس فضعها في عنقه كما تقدم قال
شيخنا كثيرا في تقييده فانظر كيف انعكس الحال حتى صار
الرجل لا تجيء نازلة يقال انا لله وانا اليه راجعون وقد قال
ابن مسعود رضي الله عنه الذي يفتي عن كل ما يستفتى فيه مجنون
وفي مسند الدارمي عن ابن عمر العلم ثلاثة كتاب
ناطق وسنة ماضية ولا ادري وقد سئل الامام مالك عن ثمان
واربعين مسئلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري وقال
ان الرجل اذا سئل عن المسئلة فلم يجب وانه يحتج عنه فلا تمر
هي بلية هو رضي الله عنه اذا ما سمعت وحسبك ولا تحمل احدا
على كتفيك فانه كان يقال اخسر الناس من باع اخرته بدنياه
واخسر منه من باع اخرته بدنيا غيره وفي الصحيح ان شر الناس
عند الله يوم القيامة عبد اذهب اخرته بدنيا غيره

تنز

نسأل الله العافية تنبيهات الاول قال الشيخ كثيرا في تقييده
بعد ما تقدم ان الافتاء عند العلماء انما هو بيان حكم الله في النازلة
المسؤول عنها من غير زيادة فيها ولا نقصان عليها ولا تدعيمها
بشقشقات اللسان وسفسطات بهتان ولا شعوذة وهذيان
كما هو شأن مفتيي هذا الزمان لا كثرهم فانهم في الحقيقة الافتان
ليموهوا انهم من اهل العلم والعرفان او ما دروا انه عند الامتحان يعني
المهمه او يهان

من تحلى بحلية ليس فيه *** كذبته شواهد الامتحان
ومهما تكن عند امرئ من خليقة *** ولو خالها تخفى على الناس تعلم

وما في الفتى ابى على الشيخ بلغه ولا اخفاء على منصف نصوح ان افتخارهم
بتشدق وبيح

لقد غلبتنا غالة الفقه حتى *** لقد غلب التصحيف على الفصيل
ثم يصبح وينوح

وقد يدعي علم الشيء بغية معشر *** وما عندهم في العقد الصحيح ما كفى

وكيفوا في حد ذلك انهم على شيء وان تم غلبة الشهوة الباطل عقلا
ونحت لهم ابواب التاويل فيه فجعلوها شبهة يتشدقون بها
فضلوا واضلوا وعليهم اثمهم واثم من تبعهم وفي ذلك ما ينبغي ان يفهموا
من اوزار الخلق وربما سيسأل كل واحد منهم عن ذلك ليس بينه
وبين الله ترجمان ولذلك تجد بعضهم اذا جاءهم المستفتي بمن سم
سألوه عما في هذه فيه ويقولون هل تصحيحه او بطاله متى له فلا يتمهل
كان من اداه وما قوله فيه والله زخرف ما من القول وبالطله والباطل
كما لا يخفى في زماننا لا ساحل له ثم بعد ذلك فهو الكلام الا بمنزلة
ووقوع في غير محله حتى هيهات والفتوى علمها بالغلبة على تلقيها المحذور
المخصوص البعض ونحو ذلك يقولوا العامي فلم تعناها الشيء عن البتة ولقد
سمعت بعض العوام يقول انا بالله وبالشيخ وانا الشيخ فلا اعلم
اتلا وهذه مقالة شنيعة جدا ان لم تكن في بيئة من الكفر كانت
عينه نسأل الله العافية وحسن الخاتمة بمنه وفضله والخوف الى
ونحوه او فقه ما هو عليه مفتي الوقت الجهلة ولو اتبع الحق
اهواءهم لفسدت السموات والارض الا به فمن جهة الكلام يعود اهله

انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكأنما قتل الناس
جميعا بل نجد الواحد منهم اذا نزلت الحجة يقول لولا ان افتيت الخصم
الاول لا افتيت خصمه وبعضهم لا يجد شاهدا على ذلك ولا يبالي
وهمه فيفتي لكل بما يوافق شهوته ولا يبالي في ذلك خالف
او خالف وفيه ولذلك نجد الخصوم يتسابقون الى المفتين
تسابق الكلاب الى الجيف ليغتنموا ما عندهم من الباطل
المتعسف خشية ان يسبقهم خصومهم الى ذلك فيفتي عليه
افتاء المفتين ثانيا الا بالبذل الكثير على ذلك وذلك لما
رسخ في هؤلاء الخصوم العوام من صنع هؤلاء المفتين ان الفتوى
تابعة للهوى السابق وان الشرع هو ما يوافق النفس وتهواه
حتى اذا سمعت بعضهم يقول انا بالله والشرع فانما يقصد ذلك
ويراه فلا حول ولا قوة الا بالله كلا والله ثم والله ان العلماء في
كانوا يجدون الهول من ورود النازلة غاية ويتثبتون في فهمهم لها
وطلب نصوص محملها واثبات ما يحتاج الى الاثبات من صورها
الى غير ذلك مما يتعلق بها بعد ذلك يتمهلون في الجواب وكل
يتحيلون خشية عدم مصادفة الصواب الذي هو بالنسبة للحقيقة
متعذر فكيف وحق ما وليس هو تابعا للهوى الحق ولا للهوى باذل
حكما ما هو ملوم من قواعد الفقه ان خمسة السبيل كلهم في الا تقال الى احد
سبيل الحق ومجمع سبيل الباطل لان كل سبيل الحق واحد وكل سبيل
الباطل متعددة قال ابن الخطيب

الحق يعلو والاباطيل تسفل والله عن اعلامه لا يسأل

ه مختصر او فقد نقل الشيخ بناني عن الامام الحسن رحمه الله
عن فتوى المختصر وتلقيه خطر ما نصه من هذا اما يفعله المفتون
اليوم لان الافتاء انما كان في الصدر الاول لاحد امرين اما
توقف القاضي في الحكم او سبيل الصلح الا انه خيف ان يكون حكمه
في بلاد من محله فيلجئون بالصلح مختبرا للمفتي واما الان فلا
نرى احد يشتغل عنه في الصلح الا بعد الاستفتاء ليكتفي من الحق
له او عليه فيحتال على ابطاله وترى المفتي الواحد يكتب
لكل واحد من الخصمين نقيض ما كتبه للاخر في نازلة واحدة

نسئل

نسئل الله ان يصلح امورنا فيه قال الشسولي عقب نقله وهو صحيح
واقع في هذا الزمان كثيرا فينبغي لمن اعتنى على دينه ان لا
يفتي لمن علم ان قصده التحيل فيه قال الشيخ كنون وكلهم البرع
ذلك اي حل وقوله فينبغي جوابه فيجب كما هو ظاهر والله
اعلم فيه الثاني وجد بخط الشيخ بناني رحمه الله تعالى ما نصه

شرط الذي يمكن ان يستفتي ويقتدي بفعله ان افتى
دين قوي وتقى مشتهر ومفهوم هذا هذبته البعض

وفي الكتاب عملا بما عرفوه واما شيء كان المفتي فيه فلا ينبغي للطالب
العلم ان يفتي حتى يراه الناس اهلا للفتوى قال سحنون الناس هنا
العلماء قال ابن هرمز وينبغي نفسه اهلا لذلك قال اللخمي اي
اثر هذا الكلام وما افتى مالك حتى اجازه اربعون محنكا لان التحنيك
وهو التلحي تحت الحنك من شعار العلماء وهذا شان العقلاء الذي من
المتقدمين واما اليوم فقد اخذ هذا السياج وهان الناس امر الدين
فتجرأ فيه بما يصلح وما لا يصلح وعسر عليهم اعتراف جهلهم وان
يقول احدهم لا ادري فلاجرم آل الحال بالناس الى هذه الغاية
بالاقتداء بالجهال والمتجرئين على دين الله هـ وقال ابن فرحون
واعلم انه لا يجوز للمفتي ان يتساهل في الفتوى ومن عرف بذلك
لم يجز ان يستفتى والتساهل قد يكون بان لا يتثبت ويسرع بالفتوى
او الحكم قبل استيفاء حقه من النظر والفكر وربما يحمله على ذلك
توهمه ان الاسراع براعة والابطاء عجز ولان يبطئ ولا يخطئ اجمل به
من ان يعجل فيضل ويضل وقد يكون تساهله بان تحمله الاغراض
الفاسدة على تتبع الحيل المحظورة او المكروهة بالتمسك بالشبه
طلبا للترخص على من يروم نفعه او التغليظ على من يروم ضره قال ابن
الصلاح ومن فعل ذلك فقد هان عليه دينه قال واما اذا صح المفتي
قصده واحتسب في طلب حيلة لا شبهة فيها ولا تجر الى مفسدة ليخلص
بها المستفتي من ورطة يمين ونحوها فذلك حسن جميل قال
اللخمي اذا كان في المسئلة قولان احدهما فيه تشديد والاخر فيه
تسهيل فلا ينبغي للمفتي ان يفتي العامة بالتشديد والخواص وولاة
الامر بالتخفيف وذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين

والتلاعب بالمسلمين وذلك دليل على فراغ القلب من تعظيم الله تعالى
واجلاله وتقواه وعمارته باللعب وحب الرياسة والتفقه لغير
الله دون الخالق ونعوذ بالله من صفات الغافلين والعالم شك
المفتي في هذا او اشد التنبيه الثالث حكى المازري
الاجماع على تحريم اخذ المفتي والقاضي الاجر على نفس الفتوى
والقضاء الا ان كان من حبس او بيت مال مستقيم واما اخذها
على كتب الفتوى او الحكم فممنوع ايضا ان اخذ اكثر من معتاد
عمله وكذا غيره ان كان من عندهم وان اخذ قدر ذلك ففيه ممنوع
لكنه من جرح صيانة للدين والعرض وينبغي اجتنابه على
الورع لان الذي يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه هذا الذي نص اليه
نحو من ائمة المذهب قاله بعض الشيوخ تتمة مما ينبغي
للموفق ان يحذر ويجتنب زمنه التوكيل على الخصومات والدعاوي
التي تقع بين الناس اليوم فان الوكالات كما قال بعض العلماء
امانات ولا ينبغي لاولي الامانات ان يتوكلوا لاهل الجنايات
وقال علماؤنا مالك كفى بك خيانة ان تكون امينا للخونة قال تعالى
ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الاية وروى الامام
السهمي فنقل عن ابن عباس مرفوعا كفى بك اثما ان لا تزال مخاصما
وروى الشيخان وغيرهما عن عايشة رضي مرفوعا ابغض الرجال
الى الله الالد الخصم وروى ابن ابي الدنيا في الغيبة عن ابي
هريرة رضي مرفوعا من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله
حتى ينزع وقد عد في الزواجر من الكبائر الخصومة بالباطل
او بغير علم كوكلاء القاضي وذكر النووي في اذكاره عن الامام
الغزالي ان الخصومة انما هي لمن خاصم بالباطل او بغير علم
كوكيل القاضي فانه يتوكل قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب
قال ابن حجر قال بعض المتاخرين وعدم قبول شهادة وكلاء
القاضي مسالة في بيته ولا في ابقه فيها بالنسبة لاكثر وكلاء
القاضي الان لا يتكلموا به وكلا للتي على مباسط قبيحة شنيعة
وكبائر بل جرائم فظيعة وروى الحاكم وصححه عن ابن عمر
مرفوعا من اعان على خصومة بغير حق كان في سخط الله حتى ينزع

وروى

وروى ابو داود رضي مرفوعا من اعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب
من الله وروى الطبراني ايما رجل شد غضبا على مسلم في خصومة
لا علم له بها فقد عاند الله حقه وحرص على سخطه وعليه لعنة
الله تتابع الى يوم القيامة وفي حديث الطبراني ايضا ومن اعان
على خصومة لا يعلم احقا او باطلا فهو في سخط الله حتى ينزع وروى
الاصبهاني من اعان ظالما بباطل ليدحض به حقا فقد برئ من
ذمة الله وذمة رسوله ومن مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم انه
ظالم فقد خرج من الاسلام وقد نص العلماء على انه ينبغي للقاضي
ان ينظر في امور الوكلاء ولا يترك ان يتولى ذلك الا ثقة مامونا على
اموال الناس وكذلك يكون مامونا على النساء ولا يصح ذلك الا لمن
هذه صفته قال سحنون ولا يمكن من ذلك من علم بتوليد الخصام
او مغالطة البينات او العمل بما لا يجوز واذا علم منه ذلك اخرجه
ومنعه من التوكيل ويامر القاضي الوكلاء ان لا يخدعوا لاحد مما
يعيب لبعضهم قلت وكيف يمكن اليوم ان ينظر في احوال الوكلاء
ويمنعوا مما ليس بثقة ولا مامون وهم اعوانهم وحبائل الحكام في
الظلم ومن لا يوافقهم ومنهم يتوصلون الى اخذ الرشى في الخصوم فالوكيل اليوم
ليس عنده نظر لموكله بل عنده نظر القاضي لا يفعل الا ما يامر به
ولا امانة ولا ثقة معه ومن فيه بعض ذلك يمنع بل كلهم يخونون
موكليهم باخذ الدراهم من خصمائهم وقلب الاحوال عليهم والى بلادة
والتغفل ان في رسوم خصمائهم كما هو معلوم مشاهد واما توكيلهم
للنساء فلا تسال عما فيه من الفساد وبالجملة فهذه التوكيل
اليوم لا يتعاطاها الا من لا دين له ولا حياء ونسال الله العافية
بمنه وفضله واما الشهادة التي تعاطاها خلق كثير فانها
شرف العدالة كانت في الصدر الاول خطة شريفة وصنعة عالية
منيفة لا يتعاطاها الا اهل العلم والدين واهل الورع
من عباد الله المتقين وقد انعكس اليوم حالها وفسد
مالها فصارت خطة دنية وصنعة ردية لا يتعاطاها في الغالب
غالبا الا الجهال والاحداث الذين همهم الرياسة والطمع
وجمع المال فلا دين لهم ولا ورع ولا علم عندهم بالاحكام

ينبغي ولله در الكاتب ابي عبد الله محمد بن علي والشنداوي اذ يقول
ان العدول الاجلاء الذي ما ان بهم عن العدالة والتوفيق قد عدلوا
احداث سن والباب كسنهم تالله لو شهدوا ابي الكلب ما قبلوا
فهي باعتبار اولها رفيعة وباعتبار اخرها ومنا المعاهدات
وضيعة فلذلك كانت ممدوحة مذمومة باعتبارين
مختلفين وسأنقل من كلام العلماء ما يدل لما قلناه ويوضح
ما اليه اشرنا قال الامام ابن فرحون في تبصرة الحكام وقد
نطق الشرع ان الحكيم بفضل الشهادة ورفعها ونسبها تعالى
الى نفسه وشرف بها ملائكته ورسله وافاضل خلقه فقال
تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فجعل كل نبي شهيدا على امته
لكونه افضل خلقه في عصره وقال تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم ويكفي بالشهادة شرفا ان الله تعالى خصها بالعدل
من قبول شهادته ورد الفاسق بقبولها منه فقال تعالى ان
جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا وقال تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم
واخبر سبحانه وتعالى ان العدل هو الذي يقبله ممن ترضون
من الشهداء وعن جنه سبحانه وتعالى ان يقع قول العدول بالعدل
وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض
قال بعضهم الاشارة الى ما يدفع الله عن الناس بالشهود من
حفظ الاموال والنفوس والدماء والاعراض بقيام حجة الاسلام
وبقولهم تنفذ الاحكام ومن الحديث انه عليه الصلاة والسلام
قال اكرموا منازل الشهود فان الله تعالى يستخرج بهم الحقوق
ويدفع بهم الظلم واشتق الله تعالى لهم اسما من اسمائه الحسنى
وهو الشهيد تعظيما وكرما له ومن المنهج الفائق للعلامة
الونشريسي اعلم ان علم الوثائق من اجل العلوم قدرا واعلاها
انافة واعظمها اذ بها تثبت الحقوق ويتميز الحق مما لا فيها
ويتوثق بها ولذا اسمى معانيها وثائقا وقد وقعت الاشارة

الى

الى كثير مما يفيد ما نفعها ولو احفظها في كتاب الله عز وجل ابدا
مختنث علم الوثائق علم شريف يحتاج اليه الملوك والفقهاء
واهل الكتابة والسوقة والسواء كلهم يفتقرون اليه ويتعلمون
بما يأتي به وبه يحفظون بمنزله وبه يعرفون الى يعلمه فيتنزل كل كيفية
منهم على من تنتفعه ولا يخل بها عن من لنفعها ابن عرفة
فعلم الوثائق شريف جدا ويكفي انه اشتغال الكاتبين التابعين لها
وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يكتبونها على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم وبعده ومن صحيح مسلم وغيره ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كتب الصلح يوم الحديبية بين يدي النبي صلى الله
عليه وسلم ابن فرحون هي صناعة جليلة شريفة وبضاعة عالية
منيفة تحتوي على ضبط امور الناس على القوانين الشرعية وحفظ
دماء المسلمين واموالهم والاطلاع على اسرارهم واحوالهم ومجالسة
الملوك والاطلاع على امورهم وعيالهم وبغير هذه الصناعة لا
ينال احد ذلك ولا يسلك هذه المسالك قال الونشريسي
ولا خفاء في شرف علم الوثيقة في الجملة الا انها في زماننا هذا
كما قال ابن الخطيب السلماني في كتابه مثلي الكتب يفقد في
الوثيقة انها قد استحالت الى فساد وتخلصت صور تبعها الشرعية
ولبست صورة الملك فمن لبسها منه لتة الا غبية الكلام الذي
استحالت الى الفساد وكالماء المتغير اذا ربا والطعام
الطيب اذا عاد عذرة والعصير اذا تخمر او غيره مما استحالت
عينه فصار شرعية بالتكن الى غايتها وماد تتعلا ونسيستة
بالنظر الى ما عليها وسوء استحالها الى ما سنعلا من الصورة
من المادة ابن عبد السلام بعد كلام وبالجملة ان الخطط
الشرعية في زماننا اسماء شريفة على مسميات خسيسة
ابن عرفة وقد سلف للائمة رضي الله عنهم اعتناء بكتب الوثائق
وانتحله الكاتبين المنتخبين واهل الشورى من كبار الائمة السابقين
وغيرهم بفضل افتتاح هذه الصناعة تنقص اصالة الخلف
وتنال بالسخافة والحلف حتى لعدم اكثر العقلاء وعابها
بالعدل الجهل بعض النبلاء كما قيل

سيمت صناعة التوثيق لما في اشاع الجهل فيها ما اشاعه
فلا ونه من الخيل فيها في وعاونه تباع على الاشاعة
وما ذاك الا انهم احتقروها بالحس الى ... ولم يتمسكوا من الكتب
بالذي كان في ومن شاعهم فسال في
ارى الجهلاء قد استولى على الكتبة في الاعقد بيع فدان ولا عتبه
انتساخ بقوم راسا ما السع في حتى تبعد له في هجنة فصيبه
هذا مع تغافل بعض الفضلاء عليهم في اخذ الاجرة عليها وتهذيبهم
في الدكاكين البيعها وان كان قد حكى ابو الحسن الكبير اجماع
الامة على جواز هذا انتهى قلت وفي مثل هؤلاء الذين نبذوا
احكام الوثيقة بالعي انشد بعض فضلاء الشعرا
فسد نا خطة التوثيق لما في ان به اكل جاهل يد عيها
فتلك غنيمة حقه ولستحسن في بعد اكل ناهضا بي تعيها

ومن نشر المثاني وتحمل الشهادة كان حرفة كثير من
الفقهاء قديما ولا يرى نقصا لها الا ما تيمن في كفايته وديانته وكان
الاسم كبير المسمى ثم حدث في هذه الازمنة من التساهل والاخلال
بالواجب ما ادى الى تعطيل شروطها وصار يتعاطاها من كان
لا يطمع في لبس مروطها لها قبل
لقد هي لنا حتى بدا من هزلها في كلاها وحتى سامها كل مفلس
قال ولما زوج ولده الامام سيدي احمد بن يحيى الونشريسي مؤلف
المعيار وهو الامام سيدي عبد الواحد الكلف عليه القاضي المكناسي
تحمل الشهادة وقال لابيه هذه محنة للحس وهذه الخطة
عنى غنى جمعا كلها منه كمن تعقب منه بشيء وما كان في شهود
فاس في هذه الازمنة الا الا كابر كالامام ابن غازي وابن هارون
ودن قاف واضرابهم من لا احصيه وكان الاعتناء بها قديما
انشد من ذلك بعد حكي في اول السفر الثاني من نفح الطيب
ان اهل قرطبة كانوا لا يقدمون احدا للفتوى ولا القبول الشهادة
حتى يطول اختباره وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال
في غالب الاحوال خوفا من ان يميل به الفقر الى الطمع فيما في
ايدي الناس فيبيع به حقوق الدين ولقد اخبرني ثقات ان الحكم

اراد

اراد تقديم شخص من الفقهاء يختص به للشهادة فاخذ في ذلك
مع يحيى بن يحيى وعبد الملك بن حبيب وغيرهما من اعلام العلماء
فقالوا له هو اهل ولاكنه شديد الفقر ومن يكون في هذه الحالة
لا تؤمنه على حقوق المسلمين لا سيما وانت تريد انتفاعه وتصيره
وكمصوري في الدخول في المواريث والوصايا واشباه ذلك فسكت
ولم يبق منازعتهم وبقي محصورا ما كرههم لم يقبلوا قوله فشكى ابيه
ولده عبد الرحمن الذي ولي الملك بعده وعلى وجهه اثر ذلك
فقال له ما لك يا مولانا فقال الا ترى لهؤلاء الذين نقدمهم
وننوه عند الناس بمكانهم حتى اذا كلفناهم ما ليس عليهم فيه
مشقة ولا شكلة بل لا يعيبهم ولا هو مما يزري بهم شيئا صدونا عنه
واغلقوا ابواب الشفاعة وذكر له ما كان منهم فقال يا مولاي
انت اولى الناس بالانصاف فان هؤلاء ما قدمتهم انت ولا نوهت
بهم وانما قدمهم ونوه بهم علمهم او كنت تاخذ بهم الا بتعدهم
في مواضعهم قال لا قال فلا تحقهم فيما تخيرونه من العلم لينال الرا
به لذة الدنيا وراحة الاخرة فقال صدقت قال واما كونهم لم
يقبلوا هذا الرجل للشهادة بفقره فالعلة في ذلك تقنيسيم بما يغني
لك في الحالات تكن اقال وما هو قال تعطيه من مالك قدر ما
يجعله من الغنا ما يوصله الى تلك المنزلة ويبقى بلا عنك هذا
الخجل ردهم وتكون هذه محمدة ما سبقك اليها احد فتهلل وجه
الحكم واستند على عبد الملك بن حبيب وساله عن قدر ما يوصله
الى تلك المرتبة من الغنا فذكر له عددا فامر له به في الحين
ونوه قدره بان اعطاه من اهل هبلته مثل كربلاء ثم اذا كان له من
الغنا ما يكفيه عن اموال الناس ومن الدين ما يحجزه عن محارم
الله ومن العلم ما لا يجهل به التصرف في الشي بعقبة ابا عوا له
الفتوى والشهادة وجعلوا علامة لذلك بين الناس الغلانس
واليه داعه وقال المنلو وعند حديث اي مرا الشهود بان اهل
يستخرج بعض الحقوق ويدفع بعض الظلم والحديث وارد فيمن كانت
عدالته منهم وقد غلبت على اكثر هذه الطايفة الفسق
والا فساد حتى قال سفيان الثوري رضي الله عنه الناس كلهم

عدول الا الشهود وقال ابن المبارك في السلقة وانشد

قوم اذا غضبوا كانت رماحهم … بث الشهادة بين الناس بالزور
هم السلاطين الا ان حكمهم … على السجلات والاملاك والدور

وقال اخر

اياك تعتقد الشهود بانهم … احكامهم تجري على الحكام
قوم اذا هم راعوا وتحاسدوا … سفكوا الدما باسنة الاقلام
ولهي بقوم كانت بينهم … امضى وابلغ من رقيق حسام

وقال اخر

احذر حوانيت الشهود … فالفسق بين الازرق ليس
قوم لئلا يبسي قوم … ويطلبون ويشهدون

وقال شيخ الجماعة ابو محمد يحيى عبد الله القرطبي البيتين

شهدت الشهود في ذا الناس … ليس لها تالله من قياس
اعلم لا تتقون ولا عيبا … ولا تثبت ولا ذا كياسة
بعلمهم شتى وانسلوا من الحكام … بعلمهم توصلوا الى الكعسي الم
بعلمهم تلاعبوا ما بقي من الضلال … اذ علمهم بين الورى اشتغال
يا حسبي ان الشهود بانوا … عملا عليه في الانام كانوا
كانوا كما النجوم يقتدى بهم … انوارهم تخفى من عيونهم
جى بت كل كيلة تذكر الكبود … فما رأيت مثل كيلة الشهود
فقد تلاعبوا فما بقي من العدل … وهم بعيد واموهم سوى الخلق

وحكى شيخ المشاوري ان بعض اولياء الله بالمغرب وجد في قلبه قساوة فتوجه الى الله تعالى في دفع ذلك فسمع هاتفا يقول له اترك تضامن الشهود او كلاما هذا معناه وكان الامام العلامة القطب الزاهد الورع الولي سيدي محمد ابن الحسن عبد الكريم السي بخطه العنبر رحمه الله تعالى لا يرى في اصحاب العلم خطة شهادة وعمل فقهاء وغيرهم ويرى ان العدل الذي يشهدوا به والى الفقهاء وغيرهم مستحيل في زماننا عادة ويذكر قول ابن عبد السلام على ان الخطة الشرعية في زماننا هذه الساعة ثابتة على مسميات خسيسة ويرى ان تولي الخطة في زماننا هذا الجرح حتى عنه في دين متوليه ولا يقبل في ذلك عذر الا وقال ابن الخطيب ولقد اخذت بي ما كان على

مدة

مدة شيخنا ابن يحيى السراج الكبير وغيره ما ينيف على سبعين حين زمان تم تاركه وعلى مدة السلطان بالمغرب باسمي المسلمين ابي عنان عبد الله في تاريخ الكتيب عن خارج الدنيا الحسن حسن ان ابن تميم انشد له

اسمع اخي نصيحة … والنصح من محض الديانة
لا تقربن الى الشها … دة والوكالة والامانة
تسلم من ان تعزى لسر … ور او فضول او خيانة

الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه الاتلاع في مباني الايمان والاسلام والمومن انه ان اراد العبد انه يكون عدلا فليكن عاملا على جميع الواجبات في الاوقات وعلى الكمال الشروط والاداب والمستحبات وعلى تجنب المحرمات والمكروهات وعلى ما يتنزه من المباحات كالاكل في السوق ونحوه والذي لم يحصل نور البصيرة ولا يلتمس في حقه شهادة ابدا ولا يقولها حقا ولا يقبله احد ولهذا قال شيخنا العدل في هذه الازمنة يتعذر وجوده ولا يجوز تسمية شهود هذه التي ملان بالعدول ثم قال وكان شيخنا يقول من نحو ثلاثمائة سنة تقريبا عقد صحيح في نكاح على مقتضى الشرع فيما جاء لا نكاح الا بولي وشاهدي عدل هو في الكتب المحجوبين له ابيضا ما نصه سمعت القاضي ابا محمد المرزوقي يقول في كتاب ادب القاضي ما كان ان الشهادة كانت شايعة بين المسلمين ولم تكن مقصورة على ناس معينين حتى اخذ والاعيد اليه عدالة ونصبوها اشتغالا وعدالة وكان سمي ان الشروط يقول الناس عدول الا العدول وكان بعض البصريين يقول ان يقول العدول ويقول هو لا في المعدلون هو المدخل بعده كلام ما نصه فاذا اتفق زمان خرنا من الهوى من المذاهب لجمع في احد هذا الطرب من الاصل التلال المحكي فيما عظم لان القاضي ليس له امين ولا يصح في الغالب ان كل شهادة تعم دخانه ايسر هم وفيها من المفاسد اشياء عديدة في هذه التي ملان لا يمكن تتبعها الان ذلك يطول وقد تقدم

قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولي امرنا هذا من طلبه يعلى هذا
كل من طلب العدالة بذلك قدح في عدالته سيما في هذا الزمان
خصوصا لما احتوت عليه من الامور الفضيحة واكثر العدول في
هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى
كثرت شهادة الزور لانه لو اخذ العدالة وغيرها من المناصب
الدينية اهلها لقلت المفاسد بل تعدم بالكلية وقد ذكرت
لبعض المباركين شيخنا واثنيت عليه عنده وقلت له ان والده
يطلب له العدالة فقال لا حول ولا قوة الا بالله هو الان عدل كيف
تكونه فقلت له العدالة تجر فقال في هذا الزمان تجر ترف
العدالة هي العدالة وما ذكره بين الا ترى الى حال بعضهم في
المكتب اذا كتبه يطلب عليه مالا يستحقه ويشاح في ذلك
ولسان العلم يمنعه لان المجالس لا يخلو اغلاله من ازحمهم حتى اتب
ثم قال الى نبه الى ابعد ما يتبعا لكونه في هذا الزمان ويقع
ع ارتياقا وهوان يطلب الشاهد مالا يستحق ويمنع المجد للمجلد حتى
ادى الامر الى ان يتهم بعض الناس الاشهاد على حرفة لاجل
الاجارة به وغيرها من اعانتهم على اكل الحرام واقبح من هذا انه اذا
طلب من شهيد او اكثر في البيوع اداء الشهادة ثم عند القاضي ان يبيعها
يتناساها كانه لا يعلمها حتى اذا اعطي شيئا تذكرها اذ ذاك
من غير ارتياب لا سيما في هذه فات النساء ثم قال وابعد البعد من هذا ومما
شاكله اقبح من ان تذكر وتنزه الكتب عما ذكرها والاقلام عن كتبها
وقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن كقطع
الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا او يمسي مومنا ويصبح كافرا
يبيع دينه بعرض من الدنيا ولا شك ان من اخذ مالا لا يستحقه فقد باع
دينه بعرض من الدنيا اه شيخ شيوخنا جسوس رحمه الله بعد
نقله وقوله يعلى هذا كل من طلب العدالة بذلك قدح في عدالته نحوه
للابي في شرح مسلم على حديث ابي موسى رضي الله عنه لا تسأل الامارة الخ ونصه لم ازل
اسمع من الشيوخ ان طالب الولاية من شهادة او قضاء جرحة هو هذا كله
في ازمنتهم التي هي في الجملة من نور النبوة الكثير فيها اهل العلم
والفضل والديانة والورع فكيف بنا من كثر الفتن المتواترة التي لم

يمض



يمض منها الا العلامات
والطامة في الدين الكبرى العظيمة نسأل الله السلامة
مع رضاه ومغفرته في الدنيا والاخرة والنجاة من اهل البلاء والمحنة
ورحماه وحسن الخاتمة انه على ما يشاء قدير
هـ